منهج
الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
في الدعوة

جمع وترتيب

أيمن الصاوى

دار ابن عباس



مَنهَجُ الشَّيخِ ابنِ عُثَيمِين

فِي الدَّعوَةِ إِلَى اللهِ

جمع وترتيب

أيمن الصاوي





الطبعة الثانية

رقم الايداع

١٨٦٥٤ / ٢٠٠٥

مكتبة ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية

شارع الثورة بجوار سنترال الدولية

هاتف وفاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨ محمول: ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ : [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

أما بعد :

فهذه هي مقدمة الطبعة الثانية لكتاب منهج الشيخ ابن عثيمين في الدعوة إلى الله ، وإنني لأشعر بالحزن حين أكتب هذه الكلمات في هذا الزمان الذي قل فيه طلاب العلم الداعين إلى كتاب الله وإلى العلم والعمل به وبسنة نبيه ﷺ وكأن الشيطان قعد لهم على طريق الدعوة ويا أسفاه على حال طلاب العلم قبل غيرهم من البشر الذين ظلموا أنفسهم بعدم تمسكهم بالكتاب والسنة ولا يعرفون شيئاً عن الدعوة وفنها .

إخوة الإسلام إن لفظ الدعوة في القرآن ورد بأكثر من معنى :

ـ **فقد جاءت الكلمة فعلاً ماضياً** في قوله عز وجل : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ : [آل عمران : ٣٨] ،

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ : [فصلت : ٣٣] .

ـ **وجاءت فعلاً مضارعاً** في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ : [يوسف : ١٠٨] .

ـ **وجاءت فعل أمر** في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ : [النحل : ١٣٥] .

ـ **وجاءت اسم فاعل** في قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ : [الأحقاف : ٣١] .

وجاءت مصدراً في قوله تعالىٰ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم ﴾ : [الرعد : ١٤] .

ومن التدقيق في الآيات السابقة يتضح أن كلمة الدعوة فيها تشير إلى : الاستغاثة والرجاء والسؤال ، والعبادة ، وتفيد إنها لدين الله ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ وتفيد توجيه الناس إلى تبليغ دين الله عز وجل والدعوة إليه .

إخوة الإسلام : لقد أمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بالانذار والتبليغ والارشاد فقال له : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٧]، يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتم القيام ، وشمر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كل جبار عنيد .

وقد كان تكليف النبي ﷺ تكليفاً لأمته حيث صرحت الآيات بذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]] .

وبناء على ذلك جاءت النصوص القرآنية والنبوية تطالب الأمة أن تقوم بواجبها تجاه الدعوة نشراً وتبليغاً ، وتنفيذاً في الواقع وفي الحياة ليرى الناس الإسلام رؤية عملية ومن تلك النصوص القرآنية :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ وقوله تعالى : **﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾** وقوله تعالى : **﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾** وقوله تعالى : **﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾** وقوله تعالى : **﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾** وقوله تعالى : **﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾** .

هذه أوامر صريحة ومطلقة ، والأمر إذا أُطلق كان مفاده الوجوب كما قرر الأصوليون وخاصة إذا لم توجد قرينة تصرفه عن الواجب كما هنا ومن النصوص النبوية :

١ ـ قوله ﷺ « **بلغوا عني ولو آية** » رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

٢ ـ قوله ﷺ « **ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه** » رواه البخاري كتاب العلم باب قوله ﷺ : «**رب مبلغ أوعى من سامع**» ومسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها .

٣ ـ قوله ﷺ : « **الدين النصيحة** ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » » رواه البخاري في كتاب « الإيمان»

باب الدين النصيحة ، ومسلم في كتاب « الإيمان » باب الدين النصيحة .

٤ ـ قوله ﷺ : « **نضر الله امرءا سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه** » حديث حسن رواه أبو داود كتاب « العلم » ـ باب فضل نشر العلم ـ والترمذي في كتاب « العلم » ـ باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ـ قال : حديث حسن .

وهذه الأحاديث نطقت بوجوب الدعوة إلى الله على الأفراد والجماعة وإن كان قيام الدين وانتصاره وقيادته للبشرية أمراً واجباً فإن ما أدى إلى ذلك ووصل إليه يكون واجباً على قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ـ دعاة الإسلام ـ إن من أحوج الناس إلى الإخلاص هم الدعاة ؛ لأن أعمالهم أخروية يشترط لها النية والإخلاص في كل جزئياتها وإلا ضاعت سدى، ولأنهم أفقر الناس إلى ربهم وأحوجهم إلى عونه وتوفيقه ، لأن أعداءهم أكثر، ولا ناصر لهم إلا الله ولا ينجو إلا المخلصون .

وفي ميادين الدعوة إلى الله لا يثبت إلا المخلصون ؛ لأن الله يثبتهم ويعصمهم من الشيطان ولأن إخلاصهم يورثهم صبراً ، فيعينهم صبرهم على الثبات ، وكلما فتروا شحذ إخلاصهم وهممهم ، ولأنهم يحافظون على نتائج دعوتهم ، ويمضون قدما.

علماء الإسلام نحتاج لعلماء، الدعوة هى همهم فكم نحن بحاجة إلى تأمل وتدبر ما قصه الله علينا من قصص الدعاة المخلصين : كمؤمن آل فرعون الذي محض قومه النصح ، والعجب من الجن الذين سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم منذرين ، والأعجب من ذلك : الهدهد الذي بادر ساعياً في تصحيح العقائد وإزالة الشرك حين رأى من يسجدون للشمس من دون الله .

أفيكون الجن والطير أكثر حرصاً منا على دعوة التأمل لدين الله ـ عز وجل ـ

إخوة الإسلام : أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل إن ربي لسميع الدعاء ، اللهم إنا نسألك أن تردنا إلى العمل بكتابك وبسنة نبيك ﷺ.

آمين ـ آمين ـ آمين .

وكتبه

أبو عبد الله

أيمن بن عبد الله الصاوي.

غفر الله ذنبه وأصلح باله

آمين

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادي ولا نصير له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ومصطفاه .

أما بعد :

فإنه لطريق شاق .. حافل بالعقبات والأشواك .. وإنه لطريق محفوف بالفتن والأذى والابتلاء ، مفروش بالنصب والدماء .. طريق يدوي في جنباته عويل أهل الإجرام وأهل الكفر والنفاق . إنه لطريق الشرف والعزة والكرامة والنصر لمن صبر . إنه لطريق الشهادة وإن طال .

إنه لطريق الأنبياء جميعًا ، طريق نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين . وهو طريق من تبعهم وسار على هديهم من العلماء والدعاة المخلصين العاملين . ذلكم هو طريق الدعوة إلى الله عز وجل .

أيها الأخوة : لو كان هذا الطريق ميسرًا هينًا لينًا .. مفروشًا بالورود والزهور والرياحين خاليًا من النكبات والعقبات .. آمنًا من كيد الكائدين وحقد الحاقدين .. لو كان الطريق كذلك لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة . . .

أيها الأخوة : إن أهل الكفر والعصيان لا يحبون لأهل الطاعة والإيمان أن تعلو لهم راية . قال تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ [الصف : ٨، ٩] فالحق ظاهر خالد .. والباطل زاهق زائل .. ولن تستطيع جميع الأفواه ولو اجتمعت أن تطفئ نور الله عز وجل . . .

دعاة الإسلام . . لكي تكون الدعوة إلى الله لها كيانها وثقلها لا بد لنا من دعاة مخلصين صادقين متجردين . . لقيادة هذا الركب الطيب بكتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ ﷺ ـ أصحاب علم وفهم وبصيرة وفقه في الدعوة إلى الله وأصحاب فطنة لكي يقودوا السفينة إلى بر الأمان والجنان والرضوان .ومن هذا المنطلق يبرز دور الدعاة المخلصين الذين لا يعيشون لأنفسهم وذواتهم . . بل يعيشون لدعوتهم ودينهم مؤثرين النصب والتعب على ما يراه الآخرون راحة وسكونًا . . نحتاج لدعاة، الدعوة هي همهم الوحيد بالليل والنهار . . هي فكرهم في النوم واليقظة . . نحتاج لأهل دعوة في عالم الواقع وعالم الضمير وعالم النفس وإن هذا الطراز من الدعاة هو الذي تريده الصحوة والدعوة في هذا التوقيت الحرج الذي تمر به الحركة الإسلامية .. طراز من المخلصين من أبناء الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق ، في كل زمان ومكان. دعاة يصلحون ما أفسد الناس.

دعاة الإسلام : إن دعاة الباطل قد نشطوا لباطلهم من منصرين وشيعة وعلمانيين يقول الدكتور عبد الودود شلبي : « أذكر أنني ترددت كثيرًا جدًا على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد وفي فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها أيها المبشر الشاب : نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير ، إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض ، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن في كوخ فقير . أجرك كله ستجده عند الله إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء » .

دعاة الإسلام : هذا ما يقال لأهل الباطل ومع ذلك فهم يتحركون في جميع أنحاء الأرض . . إنه لعار علينا وأي عار بعد ذلك يتحرك أهل الباطل لباطلهم ولا يتحرك أهل الحق لحقهم !! **الله الله في الدعوة إلى الله . الله الله في كل من قصر في الدعوة إلى الله .**

دعاة الإسلام : إنكم تحملون شرف الأمة وعزها ونصرها بتوجيهاتكم للشباب بتوحدكم، بتوحد كلمتكم، بترككم الخلافات الدنيوية، نريد منكم

الكثير والكثير، ولتكونوا أنتم أول من يضحى بالمال بالنفس بالوقت حتى تكونوا قدوة لغيركم . . أنتم نور الأمة الذي يضيء لشبابها أنتم ميزان الأمة أمركم الله وأمر الأمة كلها بالتوحد فقال ـ عز وجل ـ ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا** ﴾ .

علماء الإسلام : إنها لتبعة ثقيلة حقًا . .

علماء الإسلام : ليكن منهجكم هو منهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله وهو رد البشرية الضالة إلى ربها جل وعلا وهدايتها إلى طريقه وتربيتها وإخراجها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلمات الشرك والإلحاد إلى نور التوحيد والإيمان ، وتزكية نفوس أبنائها وتهذيب أخلاقهم .

ولا تتعجلوا النتائج فإن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه !!

جيل الصحوة : إياك واتباع الهوى . . إياك والتقول على الله بلا علم . . إياك أن تقول ولا تفعل . . إياك من التكبر . . إياك من المفاخرة بين إخوانك .

يا جيل صحوتنا أعيذك أن أرى ... في الصف من بعد الإخاء تمزقا

لك من كتاب الله فجر صادق ... فاتبع هداه ودعك ممن فرقا

لك في رسولك قدوة فهو الذي ... بالصدق والخلق الرفيع تخلقا

يا جيل صحوتنا ستبقى شامخًا ... ولسوف تبقى بالتزامك أسمقا

وبعد أسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يبارك لي ولكم في القرآن العظيم .

كتبه

أبو عبد الله

أيمن عبد الله الصاوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

٢٩٦١٣٤١ / ٠٤٠ ، ١٤٠٣٥٩٤ / ٠١٢

أسباب اختيار الموضوع

أولاً : أن الشيخ ابن عثيمين من الشخصيات الإسلامية التي برزت في الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر ، فقد كان داعية بالمعنى الخاص . من ناحية الإصلاح الديني والوعظ والإرشاد والتربية والأخلاق كما لايخفى على كل من رآه أو قرأ له . وكان داعية بالمعنى العام من ناحية الآراء الاعتقادية والفقهية والسلوكية والتربوية .

ثانيًا : كان ابن عثيمين رحمه الله محط إعجاب بالغ لدى أهل العلم من أهل العصر والمصر فكانت آراؤه وأقواله تقوم مقام المعارضة والترجيح لما كان يتميز به من الإعتماد على الكتاب والسنة ، واقتفاء آثار السلف الصالح .

ثالثًا : أن أسلوبه ومنهجه موافق لروح العصر الذي نعيش فيه ، فتجد أكثر المسائل والموضوعات التي يتكلم فيها توافق عصره .

رابعًا : كان رحمه الله من أفضل الشخصيات التي تعرف كيف تدعو الناس وتسوسهم لعبادة ربهم كان ذلك واضحا من كلامه وأفعاله كما سمعنا ونقل عنه رحمه الله . وهذا من أفضل ما يتسم به الداعية ، أن يكون ربانيًا يعرف كيف يسوس الناس.

خامسًا : كانت دعوته رحمه الله دعوة شفافة تزيل الأكدار والأمراض التي تراكمت على هذا العصر ، فلم يكن يدعو لحزبية أو لوطنية بل كان يدعو للاعتصام بالكتاب والسنة والتوحد في الكلمة والعقيدة .

ترجمة مختصرة للعلامة ابن عثيمين رحمه الله [(١)] .

اسمه ونسبه

هو أبو عبد الله ، محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل من آل مقبل من آل ريس الوهيبي التميمي، وجده الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به . وهو من فخذ ـ وهبة ـ من تميم ، نزح أجداده من الوشم إلى عنيزة .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم عام (١٣٤٧ هـ) في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك . وقد رزق رحمه الله ذكاءً وزكاءً وهمة عالية في تحصيل العلم ومزاحمة ركب العلماء في حلق العلم ، وكانت بداية ذلك عام (١٣٦٠ هـ) عند ملازمته لشيخه العلامة المفسر عبد الرحمن ابن ناصر السعدي رحمه الله . بل إن نشأته كانت في التحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات لاسيما مكتبة الشيخ عبد الله ابن محمد المانع رحمه الله قاضي عنيزة ، حيث يقول أولاد الشيخ المانع : كان الشيخ ابن عثيمين وهو في مقتبل عمره وفي صباه يأتي إلى منزلنا في الصباح الباكر وعلى رأسه قفة يحمل فيها كتبه وأوراقه فيطرق الباب علينا ويستأذن ، ثم يصعد إلى المكتبة فيبقى فيها إلى الظهر ، ثم بعد ذلك ينزل من المكتبة ويُسلم علينا وينصرف .

وقد حفظ القرآن رحمه الله على جده لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان

(١) هذه الترجمة من كتاب « الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح بن عثيمين » بتصرف.

آل دامغ إمام مسجد الخزيرة ، ودراسته وحفظه للمتون المختصرة على شيخه محمد بن عبد العزيز المطوع ، وقد انتظم مع هذين الشيخين قبل أن ينضم إلى شيخه ابن سعدي رحمه الله .

وقد جلس للتدريس في حياة شيخه فكانت أول جلسة عقدها عام (١٣٧١هـ) أي قبل وفاة شيخه السعدي بخمس سنوات .

وقد لمس الشيخ السعدي من تلميذه الذكاء والنجابة فحرص عليه وعلى أن ينضم إلى حلقته ويفرغ نفسه للعلم .

وقد ذكر الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل : أنه لما اشتغل الناس في عنيزة بفلاحة الوادي ـ وادي الرمة ـ وغرس النخيل فيه وتوجهوا لذلك توجهًا عامًا كان منهم والد شيخنا ابن عثيمين رحمه الله ـ وأعمامه واستصحبوا معهم أبناءهم وكان منهم شيخنا ابن عثيمين رحمه الله فاشتغل رحمه الله بالزراعة في الوادي مع أهله نحواً من ثلاث سنوات وكان في ذلك الوقت من لا يملك أو يزرع في الوادي كأنه لا يملك رصيداً من الدنيا فلما افتقده شيخه ابن سعدي سأل والده عن سبب تخلفه عن الدرس فأعلمه الخبر فطلب الشيخ ابن سعدي رحمه الله من والده أن يرجع شيخنا ابن عثيمين ليواصل دراسته في حلقته بالمسجد .

ويقول الشيخ محمد العثمان القاضي : زاملت الشيخ ابن عثيمين عند الشيخ السعدي في عام (١٣٦٠ هـ) والمطوع وابن عودان . ولمست منه النجابة والذكاء والحرص وكان مشايخنا معجبين بفرط ذكائه وعلو همته .

أسـرتـه

توفى الشيخ رحمه الله وفي عصمتـه امرأة واحدة ، وهي أم أولاده جميعهم لا غيرها .

أم عبد الله بنت محمد بن إبراهيم التركي ، أنجب منها خمسة من الذكور هم ـ عبد الله ـ عبد الرحمن ـ إبراهيم ـ عبد العزيز ـ عبد الرحيم . ولم يتتلمذ أحد من أبنائه عليه رحمه الله .

وقال الشيخ رحمه الله أنه نظر في البسملة « بسم الله الرحمن الرحيم » فاختار منها أسماء الله فسمى بها ثلاثة من أولاده . وله ثلاثة من البنات ، زوج اثنتين منهما لطالبين من طلابه .

وله من الإخوة الذكور ، عبد الله بن صالح العثيمين ـ عبد الرحمن بن صالح العثيمين . وله شقيقة واحدة هي زوجة ابن عمه الشيخ محمد بن سليمان العثيمين .

وسبق أن تزوج الشيخ رحمه الله قبل زوجته أم عبد الله ـ ابنة عمه سليمان ابن محمد العثيمين التي توفيت على إثر ولادة وهي في عصمته ، ثم تزوج بعد وفاتها من ابنة الشيخ عبد الرحمن الزامل العفيان وظلت معه خمس سنوات لم ينجب منها، فطلقها ثم تزوج أم أولاده أم عبد الله .

صفاته

الصدق والإخلاص والإعراض عن الدنيا من أخص صفاته التي تميز بها .
كما تتجلى أروع الصفات لدى الشيخ أثناء سيره في طريقه من بيته إلى مسجده مرارًا بثلاثه شوارع ماشيًا لا يرضى أن يقله أحد في سيارته ، وما بين بيته إلى مسجده مسافة تزيد على الألف متر يتخللها أثناء الطريق أجمل وأروع الأخلاقيات والصفات التي يتحلى بها شيخنا رحمه الله فلا يمر بمنكر إلا أزاله ولا معروف إلا أمر به ونصح بفعله.

وإن نسيت فلا أنسى بشاشة وربيع وجهه المتفتح الذي يقابل به المارة من الناس وعن علاقته بالأطفال فحدث ولا حرج قد كانت بجوار منزله المدرسة السعودية الابتدائية ، وكنا نلاحظه يلاطف ويداعب تلاميذ المدرسة الذين يعترضون طريقه أبًا حنونًا ومربيًا وأستاذًا لهم ، كما كان يتفقد من على طريقه من أصحاب المحلات .

ومن أغرب المواقف وأروعها في هذا الطريق المبارك من مسجده إلى منزله أنه اقترب من منزله يومًا ، فإذا حشد من الناس وطوق من الشرطة والجنود حول منزله يمنعون أي إنسان يقترب من المكان لأن الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود يقوم بزيارة الشيخ في داره ، فأراد أن يخترق صفوف الجند ليصل إلى منزله ، فإذا بالجند يمنعونه من المرور بحجة أن الملك يقوم بزيارة الشيخ ابن عثيمين ، فقال لهم : أنا الشيخ ابن عثيمين وأكد لهم ذلك حتى وافقوا على مروره ودخوله إلى المنزل فإذا بالملك ينتظره في المجلس .

وكان الشيخ رحمه الله يومًا في مسجده الطين عام (١٤٠٣ هـ) بعد صلاة العصر عندما فرغ من الصلاة فقام إليه أحد المصلين ـ فطلب من الشيخ أن

يساعده بشيء من المال وشكا إليـه حالِه وعوزه فأخرج له الشيخ مبـلغًا يسيرًا من المال، فـغضب الأعـرابي ورفع صوته على الـشيخ أمـام المصلين ورمى بالمال في وجه الشيـخ ، فما كان من الشـيخ إلا أن ابتسم في وجهـه ودعا له : أصلحك الله، والأعرابي يزيد في حماقته أمام الشيخ والشيخ يزيد في حلمه .

ومن صفاته رحمه الله الحسبة فـي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فما أن يبلغه أحدهمـا حتى تجده مسارعًـا بنفسه لا يتوانى في تغيـيره إذا كان منكرًا ولا يتردد عن الأمر به إذا كان مـعروفًا مستعملاً أسلوب التـريث والتأني والتثبت في تغيير المنكر ، والزمان والمكان والحال المناسبة في الأمر بالمعروف .

ومن أسمى صـفاته قضاء الحوائج للناس فيـما يملك ولا يحب أن يتعالى على غيره، ولا أن يعظمـه أحد فقد كان الشـيخ خارجًا من الحرم المدني فسـبقه أحـد الطلاب فأحضر له نعلـيه ، فأمره الشيخ أن يعيد النعـال إلى مكانها ليقوم الشيخ بنفـسه بإحضـار نعليه ، كـما اجتمع فـيه جماع الخلق الحسن فـقد تأسى بالنبي ﷺ فى أخلاقـه .

زهده وورعه رحمه الله

هناك مواقف كثيرة بعضنا رآها والآخرون سمعوا بها أو أخفيت علينا تثبت حقيقة الزهد والورع الذي كان يتصف به الشيخ ، ولو أراد الشيخ رحمه الله لتولى المناصب كتولى القضاء حيث أصدر مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ قرارًا يقضي بتعيين الشيخ رئيسًا لمحكمة الأحساء ، وبعد مراجعات واتصالات ووساطات أعفى رحمه الله من القضاء ، ولو أراد الشيخ لجمع بمنصبه وشهرته ومكانته عند الأسرة الحاكمة في هذه البلاد الأموال الكثيرة، ولكن زهده وورعه يمنعانه من ذلك .

وأذكر بعض المواقف من زهده وورعه رحمه الله فمنها ما يدل على قمة ورعه في الفتيا ، وذلك في مسألة الإبر المغذية ـ الجلوكوز ـ ففي إحدى المحاضرات ذكر الحكم فيها فاعترضه أحد الحاضرين برأي طبي يتضمن في حكمه خلاف ما أفتى به الشيخ ، فأعلن الشيخ توقفه عن الحكم حتى يسأل شيخه العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، ثم عاد في اليوم الثاني بإجابة شيخه ولم يتأخر عنهم.

وموقفًا آخر ، كان رحمه الله إذا احتاج إلى أن يملأ قلمه بالحبر من الدواة من مكتبة الجامعة ليقوم باستعماله فيما يخص عمل الجامعة فإنه قبل أن ينصرف يفرغ ما تبقى في قلمه من الحبر في الدواة لأنه يخص الجامعة .

وموقفًا ثالثا يذكره الشيخ عبد الله التركي : قال : بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفًا لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب الكادر الجامعي ، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال

الاختصاص ، فـلم يتقدم الشيخ رحمه الله بأي بحث ، وحـينما سئل عن ذلك أجاب بـأن العالم لا ينبـغي أن يستـشرف للرتب والتـرقيـات ، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحـتساب والعمل لوجه الله وما يأتي تبـعًا لذلك فلا بأس به. وهناك أكثر من هذه المواقف لم أذكرها .

عقيدته رحمه الله

إن الشيخ رحـمه الله كانت عقـيدته هي عقـيدة أهل السنة والجماعـة علمًا وعملاً واعتقادًا بل إنه استفتح أول تأليف له بكتاب « فتح رب البرية في تلخيص الحموية » عندمـا لخص كتاب الحموية لشـيخ الإسلام ابن تيميـة وعرضه بأبسط الأساليب وقرب مـسائله وأوضح مبهمـه وكذلك فعل في « العقـيدة الواسطية » و«كتـاب التدمرية » ، «اقـتضـاء الصراط المستـقيم » لشيـخ الإسلام ابن تيمـيه وشرحه ،«نونية ابن القيم» وشرحه «كتاب التـوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه كتاب « العقيدة السفارينية»وغيرها من كتب السلف في العقيدة .

وعندما أراد البعض التشكيك في عقيدة الشيخ رحمه الله بسبب عدم فهمهم لمراده وضعف إدراكهم لمقصده الذي يرمي إليه وتـسببوا في التشويش على بعض طلبة العلم في ردودهم ، استاء الشيخ جدًا لذلك وأصابه الهم والغم وكان ذلك في عام (١٤٠٤ هـ) ، فما كـان منه إلا أن ألف كتابًا قرر فيه عـقيدته التي لا تخـتلف تمامًا فـي كل حرف منهـا عن عـقيـدة السلف ، والتي لا يخـالف في مضمـونها أي مسلم ينتـمي إلى منهج السلف الصالح ، ثم كتب الشـيخ بعدها بأسابيع كلمات مختصرة قال فيها ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أقول وأنا كاتب هذه الأحرف : أن عقيدتنا ولله الحمد والمنة في أسماء الله تعالى وصفاته، هي ما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى من بعدهم سواء في ذلك صفة المعية وغيرها ، وإننا نبرأ إلى الله تعالى ونتبرأ من كل قول يخالف ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى من بعدهم في أسماء الله تعالى ، وصفاته وغير ذلك ، ونعتقد أن الله تعالى هو العلي بذاته على جميع خلقه كما هو تعالى عليٌ بصفاته ، ونرى أن من قال أن الله تعالى بذاته مع خلقه في الأرض فهو كافر أو ضال إن اعتقد في نفسه ، وكاذب إن نقل عن غيره من علماء السلف ، كما نرى أنه يجب إنكار كل كلمة تستلزم ذلك بأي لفظ كانت ومن أي قائل صدرت ، لأن الحق أحق أن يتبع ، فالله تعالى فوق عرشه وعلمه محيط بكل شيء ، كما قال تعالى حين أخبر بخلق السموات والأرض : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

قال ذلك كاتبه محمد الصالح العثيمين في (٥ / ١١ / ١٤٠٤ هـ) وقام الشيخ بالتوقيع تحت هذا الكلام .

ثم يعلق مفتي المملكة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله على هذه الكلمات المضيئات بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

ما ذكره فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين أعلاه من إيضاح ما يعتقده في أسماء الله تعالى وصفاته ، وفي المعية حق مطابق لما يجب على كل مسلم اعتقاده في هذا الباب.

قال مُمليه الفقير إلى الله تعالى عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله ، وصلى على نبينا محمد وآله وصحبه (٥/ ١١ / ١٤٠٤ هـ) .

مشايخه

١ ـ الإمام العلامة المفسر عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله . فقد لازمه قرابة الست عشرة سنة أو قريبًا من ذلك .

٢ ـ الشيخ المحدث عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . مفتي عام المملكة العربية السعودية درس عليه الحديث ، فقرأ عليه صحيح البخاري وبعض كتب الفقه.

٣ ـ الشيخ المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى عام (١٣٩٣ هـ) ، وهو مفسر لغوي صاحب التفسير المشهور « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن » ، وقد درس عليه في المعهد العلمي بالرياض ، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : « كنا طلابًا في المعهد العلمي بالرياض ، وكنا جالسين في الفصل ، فإذا بشيخ يدخل علينا ، إذا رأيته قلت : هذا بدوي من الأعراب ، ليس عنده بضاعة من علم ـ على ما يوحى إليه مظهره ـ لأنه كان رث الثياب لا تبدو عليه آثار الهيبة ولا يهتم بمظهره ، فسقط من أعيننا ـ فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي وقلت في نفسي : أترك شيخي السعدي وأجلس أمام هذا البدوي ؟ ! فلما ابتدأ الشنقيطي درسه ، انهارت علينا الدُّرر من الفوائد العلمية من بحر علمه الزاخر ، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء وفحل من فحولها فاستفدنا علمه وسمته وخلقه وورعه وزهده» .

٤ ـ الشيخ على بن حمد الصالحي رحمه الله . وهو شيخه وقرينه في الطلب على يد الشيخ السعدي .

٥ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز قاضي عنيزة رحمه الله . فقد قرأ شيخنا العثيمين عليه : « مختصر العقيدة الواسطية » للشيخ السعدي ، و « منهاج السالكين»

في الفقه ، و« الأجرومية » و« الألفية » في النحو والصرف .

٦ ـ الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله . فقد درس عليه بعض كتب الفقه والفرائض .

٧ ـ الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله . فقد حفظ عليه القرآن كاملاً ، وهو جد الشيخ ابن عثيمين رحمه الله من جهة أمه .

مؤلفاته رحمه الله [1]

١ ـ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع .

٢ ـ أثر المعاصي على الفرد والمجتمع .

٣ ـ أحكام الأضحية والزكاة .

٤ ـ ٧٠ سؤالاً عن أحكام الجنائز .

٥ ـ ٦٠ سؤالاً عن أحكام الحيض .

٦ ـ أحكام الصيام وفتاوى الاعتكاف .

٧ ـ أحكام قصر الصلاة للمسافر .

٨ ـ أحكام من القرآن الكريم (الفاتحة والبقرة) .

٩ ـ الاختيارات والترجيحات .

١٠ ـ إرشاد العباد إلى معرفة الله وتوحيده .

١١ـ إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار .

---

(١) هذه المؤلفات بعضها كتبها الشيخ بنفسه والبعض الآخر كان عن طريق الأشرطة السمعية التى كان يلقيها أثناء دروسه ويقوم بتفريغها بعض طلبته ثم يقوم الشيخ بمراجعتها والنظر فيها والتعليق عليها » .

١٢ ـ أسئلة بعض بائعي السيارات .

١٣ ـ أسئلة مهمة .

١٤ ـ أسئلة وأجوبة عن ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة .

١٥ ـ أسئلة وأجوبة في صلاة العيدين .

١٦ ـ أسماء الله وصفاته .

١٧ ـ أصول التفسير .

١٨ ـ الأصول من علم الأصول .

١٩ ـ إعلام المسافرين ببعض آداب وأحكام السفر .

٢٠ ـ أقسام المداينة .

٢١ ـ الإلمام ببعض آيات الأحكام تفسير واستنباط .

٢٢ ـ بعض الأذكار والأدعية اليومية (مطوية) .

٢٣ ـ التحذير من فتنة التكفير .

٢٤ ـ تخريج أحاديث الروض المربع . (لم يطبع) .

٢٥ ـ تسهيل الفرائض .

٢٦ ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ **يا نساء النبي** ﴾ .

٢٧ ـ تقريب التدمرية .

٢٨ ـ التمسك بالسنة النبوية وآثاره .

٢٩ ـ تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام .

٣٠ ـ التوبة .

٣١ ـ توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور .

٣٢ ـ توجيه الراغبين إلى اختيارات الشيخ ابن عثيمين .

٣٣ ـ التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة .

٣٤ ـ ثمانية وأربعون سؤالاً في الصيام .

٣٥ ـ حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة .

٣٦ ـ حقوق الراعي والرعية .

٣٧ ـ حكم تارك الصلاة .

٣٨ ـ الحكمة من إرسال الرسل .

٣٩ ـ الخلاف بين العلماء ، أسبابه ، وموقفنا منه .

٤٠ ـ دور المرأة في إصلاح المجتمع .

٤١ ـ الربا ـ صوره ـ أقسام الناس فيه .

٤٢ ـ رسالة إلى الدعاة .

٤٣ ـ رسالة في أحكام الميت وغسله .

٤٤ ـ رسالة في أن الطلاق الثلاث واحدة ولو بكلمات .

٤٥ ـ رسالة في الحجاب .

٤٦ ـ رسالة في الدماء الطبيعية للنساء .

٤٧ ـ رسالة في زكاة الحلي .

٤٨ ـ رسالة في صفة الصلاة .

٤٩ ـ رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار .

٥٠ ـ رسالة في قصر الصلاة للمبتعثين .

٥١ ـ رسالة في المسح على الخفين .

٥٢ ـ رسالة في مواقيت الصلاة .

٥٣ ـ رسالة في الوصول إلى القمر .

٥٤ ـ رسائل وفتاوى المسح على الخفين والتيمم .

٥٥ ـ رسائل فقيهة .

٥٦ ـ زاد الداعية إلى الله عز وجل .

٥٧ ـ الزواج .

٥٨ ـ سؤال وجواب .

٥٩ ـ شرح أصول الإيمان ، نبذة في العقيدة .

٦٠ ـ شرح ثلاثة أصول .

٦١ ـ شرح حديث جبريل عليه السلام .

٦٢ ـ شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين .

٦٣ ـ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٦٤ ـ شرح الأصول الستة .

٦٥ ـ شرح كشف الشبهات .

٦٦ ـ شرح لمعة الاعتقاد .

٦٧ ـ شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٦٨ ـ الشرح الممتع على زاد المستقنع .

٦٩ ـ الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات .

٧٠ ـ صفة الحج والعمرة .

٧١ ـ الضياء اللامع من الخطب الجوامع .

٧٢ ـ الطاعة والمعصية وأثرها في المجتمع .

٧٣ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة .

٧٤ ـ الفتاوى الاجتماعية .

٧٥ ـ فتاوى أركان الإسلام .

٧٦ ـ فتاوى التعزية .

٧٧ ـ فتاوى الحج والعمرة والزيارة .

٧٨ ـ الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية .

٧٩ ـ فتاوى الصيد .

٨٠ ـ فتاوى منار الإسلام

٨١ ـ الفتاوى المكية .

٨٢ ـ الفتاوى النسائية .

٨٣ ـ فتاوى وتوجيهات في الأجازة والرحلات .

٨٤ ـ فتاوى ورسائل في الأفراح .

٨٥ ـ فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (كتاب الطهارة) .

٨٦ ـ فتح رب البرية بتلخيص الحموية .

٨٧ ـ فصول في حكم الصيام والتراويح والزكاة .

٨٨ ـ القضاء والقدر .

٨٩ ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى .

٩٠ ـ القول المفيد على كتاب التوحيد .

٩١ ـ كتاب العلم .

٩٢ ـ لقاء الباب المفتوح .

٩٣ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد .

٩٤ ـ مجالس شهر رمضان .

٩٥ ـ مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب .

٩٦ ـ مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي من عام (١٤٠٨ : ١٤١١ هـ).

٩٧ ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين .

٩٨ ـ محاذير الكوافيرات . (مطوية) .

٩٩ ـ مختارات من أعلام الموقعين .

١٠٠ ـ مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم .

١٠١ ـ مختارات من زاد المعاد .

١٠٢ ـ مختارات من الطرق الحكمية .

١٠٣ ـ مختارات من فتاوى الصلاة .

١٠٤ ـ مشكلات الشباب في ضوء الكتب والسنة .

١٠٥ ـ مصطلح الحديث .

١٠٦ ـ مكارم الأخلاق .

١٠٧ ـ من أحكام الأضحية .

١٠٨ ـ مناسك الحج والعمرة والمشروع في الزيارة .

١٠٩ ـ المنتقى من بدائع الفوائد .

١١٠ ـ منظومة في الأصول والقواعد الفقهية .

١١١ ـ من منكرات الأفراح .

١١٢ ـ المنهج لمريد العمرة والحج .

١١٣ـ نبذة في الصيام .

١١٤ ـ نيل الأرب من قواعد ابن رجب . (لم يطبع).

مرضه ووفاته

كان الشيخ رحمه الله قد أجرى عملية جراحية في مرض البواسير وكذلك كان رحمه الله مصابًا بسكر خفيف يعالجه بالحمية البسيطة ، ولم يكن لهما تأثير وليس لهما أثر في سبب وفاته ، وفي عام (١٤٢٠ هـ) بدأ الشيخ يشعر ببعض علامات المرض ولكنه لم يعره اهتمامًا ، وأثناء زيارته لبعض الأقارب في الرياض أخذه ابنه إبراهيم إلى مستشفى الملك فهد للحرس الوطني لغرض فحص النظر فنصحه الأطباء أن يجرى فحصًا عامًا فتبين أن الشيخ رحمه الله مصاب بمرض سرطان القولون ـ وهو مرض فتاك ، وكان بعض الأطباء يرى أن يستعمل الشيخ العلاج الكيماوي وبعضهم يرى أن يستعمل الإشعاع ، ومع هذا لم يؤثر المرض نفسيًا عليه رحمه الله ، واستقبل المرض بالصبر والاحتساب والإيمان ، وكان ولاة الأمر في المملكة تكفلوا بجيمع المصاريف من تأمين وسيلة النقل وغير ذلك حينما كان مسافرًا لأمريكا للعلاج فيها ، لكن عندما سافر كان قول الأطباء هناك هو نفس قول الأطباء في المملكة ، وهنا في هذا الوقت تفشى المرض في جميع أجزاء جسمه ، وقد كره الشيخ رحمه الله العلاج بالكيماوي في بداية الأمر حيث إنه يسبب تساقط الشعر ومنه اللحية إلا أن نصيحة الأطباء وأنه لا بد من العلاج بهذه الطريقة وافق رحمه الله على العلاج بالكيماوي . . . . . وعندما تدهورت الحالة الصحية لدى الشيخ منع الأطباء السلام عليه ومصافحته لأن هذا المرض سريع الانتقال .

وكان رحمه الله لديه إحساس كبير بقرب أجله ، فعند آخر درس ألقاه في الحرم المكي في رمضان ، وفي اليوم التاسع والعشرين اختتم آخر دروسه بقوله :

لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، فإذا بدموع السامعين تذرف ، علمًا بأن من يسمع صوت الشيخ في تلك الليلة يعرف مدى تأثره بمرضه .

وقد أوصى الشيخ الأطباء أن لا يستعملوا الصدمات الكهربائية إذا وافته المنية، وكانت التقارير الطبية تؤكد صعوبة استمرار حياته وكان يردد الآيات الكريمات : ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا**﴾ الآيات حتى وافته المنية بعد عصر يوم الأربعاء (١٥/ ١٠/ ١٤٢١ هـ) الموافق (١٠ / ١/ ٢٠٠١ م) عن عمر يناهز الرابعة والسبعين قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين، فرحمه الله رحمة واسعة وهكذا فجعت الأمة الإسلامية بأعظم الفجائع وأنكى المصائب ، وآخر الهرم الثلاثي بعد العلامة ابن باز والألباني رحمهم الله جميعا ، ولعل علامة الحزن والألم والبكاء قد خيمت على عامة وجوه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وكان أمرًا وحادثًا متوقعًا لما كان يمر به الشيخ من معاناة المرض الخطير الذي ألم به ، فما أن شاع الخبر بوفاة الشيخ بمستشفى الملك فيصل التخصصي بجده وإذا بجموع الناس والإعلاميين والصحفيين تكتظ بهم في المستشفى ما بين مصدق ومكذب حتى أعلن التليفزيون السعودي نبأ وفاة الشيخ كما تم الإعلان أيضًا عن الصلاة عليه زمانًا ومكانًا وهو بعد صلاة العصر من يوم الخميس (١٦ / ١٠ / ١٤٢١ هـ) بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ودفنه بمقبرة العدل بجوار قبر شيخه العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله .

نسأل الله أن يجعل شيخنا رحمه الله من الشهداء لأن المرض الذي أصابه وهو سرطان القولون نوع من أنواع داء البطن ، والنبي ﷺ قال : « **المبطون شهيد** » أي : الذي يصاب بداء البطن . فأسأل الله العلي العظيم أن يحشره مع الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

مقدمة الشيخ رحمه الله

إن الحمد لله ، نحـمده ، ونستغفره ، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهـد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهـد أن محمدًا عـبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى وديـن الحق ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ،وجاهد في الله حق جهاده ، وترك أمته على محجة بيضاء نقية ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

وخلفه في أمـته خلفاؤه الراشـدون الأئمة المهدّيون ،الذين سـاروا في الأمة على نهج رسول الله ﷺ ، عقيدة وعبادة ، وسلوكًا ، ومعاملة ،ودعوة إلى الله عز وجل، وجهـادًا في سبيله ، فأبـان الله بهم الطريق ، وأنار الظلمة ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عمر الفاروق ، ثم عـثمان ذو النورين ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي قال له النبي ﷺ،حيث بعثـه إلى خيبر : « **انفذ على رسلك حتى تنـزل بساحتهـم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخـبرهم بما يجب عليـهم من حق الله فيـه ، فـوالله لئن يهدي الله بـك رجلاً واحـدًا خيـر لك من أن يكون لك حمر النعم** »[١].

أمـــا بعــــد :

أيهـا الأخـوة الكرام : لا يخـفى على الجـميع مـا منَّ الله به على الأمـة الإسلامية في هذه البـلاد وفي غيرها من الحركة المباركة ، واليقظة الحـيَّة لشباب الإسلام ، في اتجاههم الاتجاه الذي يكمل به اتجاه سابق .

---

(١) سيأتى تخريجه .

هذا الاتجاه السليم الذي هدفه الوصول إلى شريعة الله من خلال كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ .

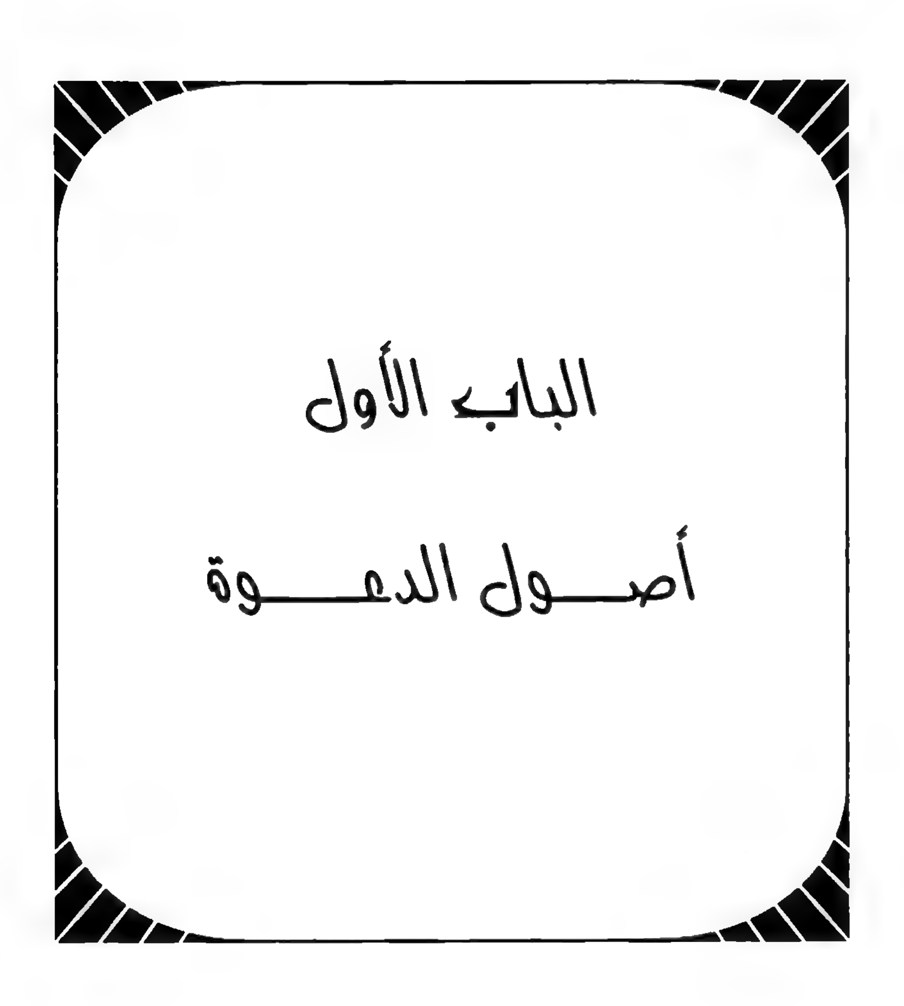
ولا شك أن هذه اليقظة وهذه الحركة كغيرها من الحركات واليقظات الطيبة المباركة ، سيقوم ضدها أعداء ؛ لأن الحق كلما اشتعل نوره اشتعلت نار الباطل، ولكن : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**﴾ .

إن هذه الصحوة الإسلامية التي نجدها ـ ولله الحمد ـ في شبابنا من الذكور والإناث ، هذه الصحوة التي ليست في هذه البلاد فحسب ، بل في جميع الأقطار الإسلامية ، إنها تحتاج إلى أمور تجعلها نافعة بناءة بإذن الله تعالى .

وفيما يلي سأبين ـ مستعينًا بالله ـ هذه الأمور ، وهذه الضوابط حتى تكون هذه الصحوة ناجحة ونافعة ، وبنَّاءة بإذن الله تعالى .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل فيها نورًا وبرهانًا لكاتبها وقارئها وللمسلمين كافة [١].

(١) الصحوة الإسلامية (١٥ ، ١٦) .



الباب الأول

أصـــول الدعـــوة

ماهية الدعوة

* **الدعوة إلى الله تعالى** دعوة خير وحق لأنها دعوة إلى العدل والإحسان ودعوة إلى ما تقتضيه الفطر السليمة وتستحسنه العقول الخالصة وتركن إليه النفوس الزكية .

* **فهي دعوة إلى الإيمان** بالله تعالى وإلى كل عقيدة سليمة يطمئن إليها القلب وينشرح بها الصدر .

* **دعوة إلى توحيد الله** في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

* **دعوة إلى اليقين** بأنه سبحانه واحد في ربوبيته لا شريك له .

* **دعوة إلى اليقين** بأنه لا حاكم على العباد ولا بين العباد إلا الله وحده فيما يقضي به من أقدار وما ينزله من شرائع .

* **والدعوة إلى الله تعالى** دعوة إلى عبادة الله وحده إيمانًا ويقينًا بأنه لا يستحق العبادة أحد سواه .

* **والدعوة إلى الله** دعوة إلى الإيمان الجازم بكل ما ثبت لله تعالى من أسماء وصفات من طريق كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وأنها كلها صفات حقيقية ثابتة له على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

* **والدعوة إلى الله تعالى** دعوة إلى اتباع الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

* **والدعوة إلى الله تعالى** دعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،

وحفظ الحقوق وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه وتنزيله من المنازل فيما استحقه وبذلك يتحقق الإخاء والمودة بين المؤمنين ويستتب الأمن التام والنظام الكامل داخل إطار شريعة الله سبحانه وتعالى .

ومن أجل هذه الأمور وأضعافها وأضعاف أضعافها من المصالح ودرء المفاسد صار للدعوة إلى الله تعالى مقام عظيم في الإسلام وصار القائمون بها وارثين للرسل الكرام في ذلك (١).

« مقام الدعوة »

. . . فإن مقام الدعوة إلى الله تعالى مقام عظيم ، ومرتبة عالية لأنه مقام صفوة خلق الله تعالى من الرسل الكرام وخلفائهم الراشدين الذين خلفوهم في العلم بالحق والعمل به والدعوة إليه ، فجدير بنا أن نولي هذا المقام مجهودنا ونسعى فيه السعي اللائق مخلصين لله في ذلك ، متبعين لرسوله محمد ﷺ ليكون سعينا مشكورًا مقبولاً (٢).

(١) رسالة إلى الدعاة (٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) .

(٢) من مقدمة رسالة إلى الدعاة .

أدلة وجوب الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضلها

وجاء في الأمر بها وبيان فضلها نصوص الكتاب والسنة :

١ ـ قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).

٣ ـ وقال سبحانه : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (٣).

٤ ـ وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) .

٥ ـ وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الحج ، الآية : (٦٧) .

(٢) سورة القصص ، الآية : (٨٧) .

(٣) سورة الشورى ، الآية : (١٣ : ١٥) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية : (١٠٤ ، ١٠٥) .

(٥) سورة فصلت ، الآية : (٣٣) .

وفي الصحيحين [١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام والصلاة والزكاة .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر : «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم** » . . . متفق عليه [٢].

وعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **الدين النصيحة** » قلنا : لمن يا رسول الله قال : « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» . . رواه مسلم [٣].

والدعوة إلى الله تعالى من النصيحة لله سبحانه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه ، ولا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** » رواه مسلم [٤] .

فهذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى وفضلها وذلك لما يترتب عليها من تبليغ شريعة الله وحفظها وحصول المصالح العظيمة للخلق في معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم واندفاع الشرور العظيمة عنهم إذا هم قبلوها وعملوا بها والله الموفق [٥].

---

(١) صحيح : البخارى (١٣٩٥) مسلم (١٩) .

(٢) صحيح : البخارى (٢٩٤٢) مسلم (٢٤٠٦) .

(٣) صحيح : البخارى (٥٥) .

(٤) صحيح : البخارى (٢٦٧٤) .

(٥) رسالة إلى الدعاة (١٠ ، ١١ ، ١٢) .

الدعوة إلى الله نوعان

أما الدعوة إلى الله فإنها نوعان : عامة وخاصة .

* **وأما العامة** : فتكون بإلقاء الخطب وكتابة الكتب على سبيل عام موجه لعموم الناس .

* **وأما الخاصة** : فبأن تذهب إلى شخص معين تدعوه إلى الله عز وجل ، وليس هذا خاصًا بالكافر بل حتى المسلم يحتاج إلى دعوة ، ربما نجد بعض المسلمين مصرًا على شيء من الكبائر يظن أنه على حق ، أو يشك في أمره وفي تحريمه ، وهذا يحتاج إلى دعوة بأن يذهب الإنسان إليه وأن يبين له الحق ، ويضرب له الأمثال حتى يقتنع وليس هذا من باب الأمر [1] .

* * *

(١) الصحوة (١٨٢) .

المراد بالوسط في الدين وبيان أنه منهج النبيين

الوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حد الله ـ عز وجل ـ ولا يقصر فيه فلا ينقص عما حد الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

الوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي ـ ﷺ ـ ، والغلو في الدين أن يتجاوزهما ، والتقصير أن لا يبلغهما .

مثال ذلك : رجل قال أنا أريد أن أقوم الليل ولا أنام كل الدهر ، لأن الصلاة من أفضل العبادات فأحب أن أحيي الليل كله صلاة فنقول. هذا غالٍ في دين الله وليس على حق ، وقد وقع في عهد النبي ـ ﷺ ـ مثل هذا ، اجتمع نفر فقال بعضهم : أنا أقوم ولا أنام ، وقال الآخر : أنا أصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : أنا لا أتزوج النساء ، فبلغ ذلك النبي ـ ﷺ ـ فقال عليه الصلاة والسلام : « **ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ، أنا أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني** » فهؤلاء غلوا في الدين وتبرأ منهم الرسول ـ ﷺ ـ لأنهم رغبوا عن سنته ـ ﷺ ـ التي فيها صوم وإفطار ، وقيام ونوم ، وتزوج النساء .

أما المقصر : فهو الذي يقول لا حاجة لي بالتطوع فأنا لا أتطوع وآتي الفريضة فقط .

والمعتدل : فهو الذي يتمشى على ما كان عليه الرسول ـ ﷺ ـ وخلفاؤه الراشدون [1] .

---

(١) مجموع الفتاوي (١/ ٤٢) .

التحذير من التنفير في الدعوة

لا تنفروا الناس عن الأعمال الصالحة ، ولا تنفروا عن الطرق السليمة ، بل شجعوهم عليها حتى في العبادات لا تنفروهم . .

ومن ذلك أن يطيل الإمام بالجماعة أكثر من السنة ، فإن معاذ بن جبل ﷺ كان إذا صلى مع النبي ﷺ صلاة العشاء ، ذهب إلى قومه فصلى بهم تلك الصلاة ، فدخل يومًا من الأيام في الصلاة ، فشرع في سورة طويلة ، فانصرف رجل وصلى وحده ، فقيل: نافق فلان ، فذهب الرجل للنبي ﷺ ، ثم إن معاذا أتى إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « **أفتان أنت يا معاذ** » (١).

وكذلك الرجل الآخر قال له الرسول ﷺ : « **إن منكم منفرين فأيكم أمَّ الناس فليخفف** » (٢).

فالتنفير لا ينبغي ، فلا تنفر الناس بل لِنْ لهم ، حتى في الدعوة إلى الله عز وجل لا تدعُهم إلى الله دعوة منفر ، لا تقل إذا رأيت إنسان على خطأ :يا فلان أنت خالفت ، أنت عصيت ،أنت فيك . . . إلى آخره ، هذا ينفرهم ، ويزيدهم في التمادي في المعصية ، ولكن ادعهم بهون ولين حتى يألفك ويعرف ما تدعو إليه ، وبذلك تمثل أمر النبي ﷺ في قوله : « **بشروا ولا تنفروا** » فخذ هذا الحديث أيها الأخ رأس مالك « **يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا** » (٣) سر إلى الله عز وجل على هذا الأصل ، وعلى هذا الطريق ، وسر مع عباد الله على ذلك تجد الخير كله (٤).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٥) ،و مسلم (٤٦٥) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٤) ، ومسلم (٤٦٦) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦١٢٥) ، ومسلم (٧١٣٤) .

(٤) شرح رياض الصالحين (٦ / ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢) .

وجوب الرفق في الدعوة

هذا هو الذي ينبغي لنا إذا دعونا إلى الله ، أو أمرنا بمعروف أو نهينا عن منكر أن نرفق ، لأن الرفق يحصل به الخير ، والعنف يحصل به الشر ، ربما إذا عنفت أن يحصل من قبيلك ما يسمونه برد الفعل ولا يقبل منك شيئًا ، يرد الشرع من أجلك ، لكن إذا رفقت وتأنيت فهذا هو الأقرب إلى الإجابة (١).

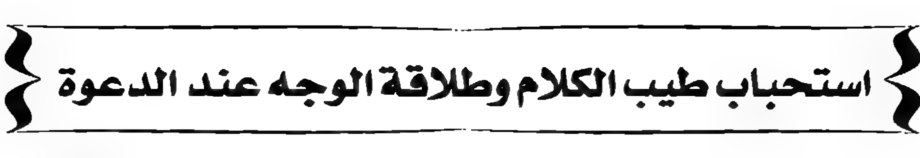
فالحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يرفق في الدعوة ، وفي الأمر ، وفي النهي .

وجربوا وانظروا أيهما أصلح ، ونحن نعلم علم اليقين أن الأصلح هو الرفق، لأن هذا هو الذي قاله الرسول ﷺ ، وهو الذي اتبعه في هديه ﷺ (٢).

❋ ❋ ❋

(١) شرح رياض الصالحين (٦ / ٢٩٤) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٦ / ٢٩٥ ، ٢٩٦) .



استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند الدعوة

يعني إذا لاقي الإنسان أخاه ، فإنه ينبغي له أن يلاقيه بالبشر وطلاقة الوجه وحسن المنطق لأن هذا من خلق النبي ﷺ ، ولا يعد هذا تنزلاً من الإنسان ، ولكنه رفعة وأجر له عند الله عز وجل ، واتباع لسنة النبي ﷺ ، فإن النبي ﷺ كان دائم البشر ، كثير التبسم صلوات الله وسلامه عليه .

فالإنسان ينبغي له أن يلقى أخاه بوجه طلق ، وبكلمة طيبة ، لينال بذلك الأجر والمحبة والألفة ، والبعد عن التكبر والترفع على عباد الله .

فالذي يُتلقى بالبشر وطلاقة الوجه هو المؤمن ، أما الكافر فإن كان يُرجى إسلامه إذا عاملناه بطلاقة الوجه والبشر ، فإننا نعامله بذلك رجاء إسلامه وانتفاعه بهذا اللقاء. وأما إذا كان هذا التواضع وطلاقة الوجه لايزيده إلا تعاليًا على المسلم وترفعا عليه ، فإنه لا يقابل بذلك .

ثم إن طلاقة الوجه توجب سرور صاحبك ، لأنه يفرق بين شخص يلقاك بوجه معبس وشخص يلقاك بوجه منطلق ، لهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر : « **لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق** »[1] فهذا من المعروف لأنه يدخل السرور على أخيك ، ويشرح صدره .

ثم إذا قرن ذلك بالكلمة الطيبة حصل بذلك مصلحتان : طلاقة الوجه والكلمة الطيبة التي قال عنها النبي ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** »[2] يعني اجعلوا بينكم وبين النار وقاية ولو بشق تمرة يعني : ولو أن تتصدقوا بنصف

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٦٢٦) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٦٠٢٣) ، ومسلم (١٠١٦) .

تمرة، فإن ذلك يقيكم من النار إذا قبلها الله عز وجل .

« **فإن لم يجد فبكلمة طيبة** » : كلمة طيبة مثل أن تقول له : كيف أنت ؟ كيف حالك ؟ كيف إخوانك ؟ كيف أهلك ؟ وما أشبه ذلك ، لأن هذه من الكلمات الطيبة التي تدخل السرور على صاحبك . كل كلمة طيبة فهي صدقة لك عند الله وأجر وثواب ، وقد قال النبي ﷺ : « **البر حسن الخلق** » (١) ، وقال : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا** (٢)» (٣) .

* * *

(١) **صحيح** : رواه مسلم (٢٥٥٣) .

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٢) ، وأبو داود (٤٦٨٢) .

(٣) شرح رياض الصالحين (٧ / ٦٦، ٦٧ ، ٦٨).

طلب العلم أم الدعوة إلى الله عز وجل ؟

نقول : إنه لا بد من العلم ، والناس كما هو معروف يختلفون فكل واحد من الناس له اختصاص وله شيء يريد أن يجيد فيه ، وهذا من نعمة الله عز وجل أن جعل الناس تتفرق رغباتهم ولو كانوا على رغبة واحدة لاختل كثير من الأشياء فالإنسان الذي يرى من نفسه أن عنده قوة في طلب العلم والتعمق نرى أن الأولى به أن يبقى في طلب العلم ولا يخرج في الدعوة حتى ينفع ، لأن البلاد الإسلامية مغزوة من كل جانب في العقيدة والأخلاق وغير ذلك ، فإذا لم يكن عند الإنسان علم راسخ مبني على الأصول الشرعية وعلى الدلائل العقلية فإنه يضيع .

فإذا كان ليس عند الإنسان قدرة على الرسوخ في العلم والتعمق فيه ، فحينئذ يتفرغ للدعوة إلى الله ، لكن يجب ألا يدعو إلا بما يعلم أنه الحق لا يتخرص ويأتي ـ كما يفعل بعض الدعاة ـ بأحاديث لا زمام لها ، أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، لأجل أن يبكي الناس أو يوجههم ، هذا خطأ ليس بصحيح أن توجه الناس بالأحاديث الضعيفة وبالأحاديث الموضوعة ليس من الشرع في شيء، **نعم رخص بعض العلماء بذكر أحاديث الفضائل والزواجر بشروط ثلاثة:**

١ ـ ألا يكون الضعف شديدا .

٢ ـ وأن يكون لذلك أصل صحيح .

٣ ـ وألا يعتقد القائل أن ذلك صح عن النبي ﷺ .

فأقول : الناس يختلفون فمنهم من يكون له ميل إلى تحقيق العلوم ، ومنهم

من لا يستطيع ذلك ولكل مجاله الذي يعمل فيه ويناسبه [١].

وقال رحمه الله : عندما سأل أيهما أفضل التفرغ للدعوة أم لطلب العلم :

قال : طلب العلم أفضل وأولى وبإمكان طالب العلم أن يدعو وهو يطلب العلم ، ولا يمكن أن يقوم بالدعوة إلى الله وهو على غير علم ، قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ** ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

فكيف يكون هناك دعوة بلا علم ؟ ولا أحد دعا بدون علم أبدًا ، ومن يدعو بدون علم لا يوفق [٢].

* * *

(١) الصحوة (٨٧ ، ٨٨) .

(٢) كتاب العلم (١٣٦) .

مراحل الدعوة إلى الله عز وجل

الدعوة إلى الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١] وقد جعل الله تبارك وتعالى الدعوة على ثلاث مراحل :

الدعوة بالحكمة ، وبالموعظة ، وبالمجادلة .

لأن من تدعوه إما أن يكون لا علم عنده ولا منازعة عنده ولا مخالفة ، فهذا يدعى بالحكمة .

وما هي الحكمة ؟ بيان الحق ، وحكمة الحق إن تيسر لك .

وأما الموعظة : فتكون مع من عنده شيء من الإعراض وتوقف عن قبول الحق فإذا رأيت منه نوع إعراض ، وعدم قبول ، فإنك تعظه بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى وبهما جميعًا إن اقتضت الحالة ذلك .

وأما المجادلة : فتكون مع من عنده إعراض ومنازعة في الحق فإنك تجادله بالتي هي أحسن من القول أو بالتي هي أحسن بالإقناع .

والآية تشمل أمرين :

* **بالتي هي أحسن من القول** بأن تختار الألفاظ المقنعة المختصرة الواضحة .

* **بالتي هي أحسن أيضًا من الإقناع** بأن تأتي الطرق الأوضح دليلاً حتى يتبين له الحق وانظر إلى مجادلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، مع الذي حاجّه في ربه ؟ قال الله عن ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١). كيف يحيى ويميت ؟ ! .

يؤتى بالرجل مستحقًا القتل فلا يقتله ، وهذا بزعمه إحياؤه ، ويؤتى بالرجل يستحق القتل فيقتله وهذا بزعمه إماتته !! يمكن أن يجادل هذا بأن يقال : إنك إذا أوتيت بالرجل المستحق للقتل فلم تقتله ، إنك ما أحييته ؛ لأن الحياة موجودة فيه من قبل ، ولكنك أبقيت الحياة بعدم قتله ، ويمكن أن نقول : إنه إذا قتل من لا يستحق القتل أنه لم يمته ، وإنما فعل سببًا يكون به الموت .

فيمكن أن يحاجّ هذا الرجل بمثل ذلك . لكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أراد أن يأتي بدليل آخر لا يحتاج إلى محاجة ولا مجادلة ، ماذا قال له ؟ قال إبراهيم: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فنكص عن الجواب ولهذا قال : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ فقوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يراد به الأحسن في الأسلوب ، والأحسن في الإقناع ، والأحسن في الأوضح دليلاً، حتى لا يحصل لف ولا دوران ،فنحن يجب علينا أن ندعو إلى الله عز وجل ما دام الإنسان قادرًا على ذلك (٢) .

***

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٨) .

(٢) الصحوة (٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢) .

كيفية الدعوة من حيث الخطاب بها [١]

وأما كيفية الدعوة إلى الله أعني من حيث الخطاب بها فتختلف بحسب حال المدعو ، وله ثلاث حالات :

الأولى :

أن يكون راغبًا في الخير مقبلاً عليه لكنه قد يجهله ويخفى عليه ، فهذا يكفي في حقه مجرد الدعوة مثل أن يقال له : هذا مما أمر الله به ورسوله فافعله، أو هذا مما نهى الله عنه فاجتنبه ، وهو من أجل رغبته في الخير وإقباله عليه سيقبل ويطيع .

الحالة الثانية :

أن يكون عنده فتور وكسل عن الخير أو إقبال ورغبة في الشر ، فهذا لا يكفي معه مجرد الدعوة ، بل لا بد أن يضاف إليها موعظة حسنة بالترغيب في الخير والطاعة وبيان فضل ذلك وحسن عاقبته وضرب الأمثال في العواقب الحميدة وموعظة حسنة بالترهيب من الشر والفسوق وبيان إثم ذلك وسوء عاقبته وضرب الأمثال في العواقب السيئة للفاسقين : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٢].

الحالة الثالثة :

أن يكون عنده إعراض عن الخير واندفاع إلى الشر ومحاجة في ذلك ، فهذا لا يكفي في حقه مجرد الدعوة والموعظة بل لا بد أن يضاف إليها مجادلته بالتي

---

(١) رسالة إلى الدعاة (١٥ ، ١٦) .

(٢) سورة الروم ، الآية : (١٠) .

هي أحسن ، أحسن في المجادلة ، وأحسن في بيان الحق لتندحض حجته وتبطل طريقته، وإلى هذه الأحوال الثلاث يشير قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) .

الحالة الرابعة :

التي أشار إليها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٢) وهذه الحالة الرابعة قد لا تكون من وظائف الأفراد غير ذوي السلطة يحدث من الفوضى ما يكون فيه ضرر كثير وفساد كبير .

هذه كيفية الدعوة من حيث الخطاب بها ينظر بها إلى حال المدعو باعتبار تهيؤه لقبولها أو رفضها .

* * *

---

(١) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : (٤٦) .

كيفية الدعوة من حيث الترتيب إلى ما يدعى إليه

أما كيفية الدعوة من حيث ترتيب ما يدعى إليه فيبدأ بالأهم وبالأسس التي تكون كالمقدمات لما بعدها وينتقل بالمدعو إليها مرحلة مرحلة .

مثال ذلك : إذا أردنا أن ندعو شخصًا ينكر وجود الخالق سبحانه للإقرار به وعبادته واتباع رسوله ، فإننا نبدأ معه بإثبات وجود الخالق ، وذلك بسياق الأدلة العقلية وضرب الأمثلة الحسية على وجود الخالق سبحانه حتى يقر ويعترف به وبأنه وحده الخالق لا شريك له .

ثم ننتقل إلى إثبات ألوهيته ووجوب عبادته ، لأن إقراره بالربوبية يستلزم إقراره بالألوهية .

ثم ننتقل به إلى إثبات الطريق إلى عبادته ووجوب سلوكها ، وهي طريق الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى الخلق ، وأيدهم بالآيات ليعلموا الخلق ما ينفعهم من أمور الغيب ويبينوا لهم كيف يعبدون الله عز وجل ، فإذا أقر بأنه لا بد في عبادة الله من طريق يسير عليه ولا يمكن معرفة ذلك إلا عن طريق الرسل **انتقلنا به إلى طريق أخص** وهو طريق الرسول المعين الذي يجب اتباعه ، وهو رسول الله محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي المبعوث إلى الناس كافة .

فإذا أقر بذلك انتقلنا إلى التفصيل فيما جاءت به شريعة النبي ﷺ ليقر به ويلتزم العلم بادئين بالأهم فالأهم كالصلاة ثم الزكاة وهكذا . . . [(١)].

---

(١) رسالة إلى الدعاة (٢٠) .

أماكن وميادين الدعوة المختلفة

فإن الدعوة إلى الله ليست محصورة في ميدان معين بل لهـا ميادين عديدة منها :

١ ـ **الاتـصالات الشخصية** بحيث يقصد الداعي إلى شخص ما فيدعوه إلى الله تعالى .

٢ ـ **الأمـاكن الهامـة** كالمساجد والمجتمعات كمواسم الحج ، والأندية والمقاهي، والمطاعم ، ونحو ذلك حسبما تقتضيه المصلحة وتتطلبه الحاجة .

٣ ـ **أمكنة الدراسة** كالمعاهد والمدارس والجامعات ،سواء كان ذلك عن طريق المحاضرات والندوات العامة أم عنْ طريق الدروس الخاصة ، فإن المدرس المخلص لدينه يستطيع أن يدعو إلى الله تعالى بمقاله من خلال إلقاء الدروس أو بحاله من العبادة وصدق المعاملة ونحو ذلك ، فإن المدرس قدوة لطلابه وأعماله وأخلاقه تنطبع في أذهانهم وتظهر في أعمالهم وأخلاقهم [١] .

* * *

---

(١) رسالة إلى الدعاة (٢٣ ، ٢٤) .

الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته (١)

وهي ثلاثة أنواع ولكل نوع ميزة خاصة به :

النوع الأول :

المشافهة المباشرة بأن يقابل الداعي المدعوين ويخاطبهم وجهًا لوجه ، فيبين لهم حقيقة ما يدعوهم إليه ، وفضائله وثمراته الطيبة المشهودة والموعودة ، وميزة هذا النوع أن الداعي يعرف مدى قبول المدعوين وانشراح صدورهم للدعوة من ملامح وجوههم ليعاملهم بما تقتضيه حالهم ، ويتمكن من المحاورة بينهم وبينه حتى يصل بهم إلى حال القبول والاقتناع ، وهو أبلغ في الغالب تأثيرًا مما بعده.

النوع الثاني :

المشافهة غير المباشرة كالتي تحصل بواسطة المذياع ، وميزة هذا النوع أنها أعم مما قبلها وأشمل من حيث إنها توصل إلى ما لا يوصل إليه بالمشافهة المباشرة.

النوع الثالث :

الكتابة عن طريق التأليف والنشر في الصحف ، والمجلات واللافتات ، وغيرها مما يناسبه ، وميزة هذه أنها تمكن المدعوين من إدراك ما يدعى إليه بالقراءة مرة بعد أخرى والتعمق في فضائله وثمراته .

* * *

---

(١) رسالة إلى الدعاة (١٥ ، ١٦) .

من أسباب نجاح الدعوة (١)

نجاح الدعوة هو الثمرة التي يسعى إليها الدعاة ولولا ما يؤملونه من نجاح دعوتهم لانحطت قواهم وتضاءلت دعوتهم ، وجدير بكل داع أن يعرف أسباب نجاح دعوته ليأخذ بها حتى يصل إلى النتيجة المرضية ، **فمن أسباب نجاح الدعوة:**

١ ـ **تطبيق ما سبق** تحت عنوان الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته ، وما سبق تحت عنوان ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من الصفات والأفعال .

٢ ـ **أن يكون للدعوة** سند من ذوي السلطة في الدولة فإن الدعوة والسلطة هما دعامتا إصلاح الأمة ، فإذا التقتا واجتمعتا تحقق بهما الهدف ، والمقصود بإذن الله ، وإن افترقتا ضاع المجهود أو ضعف إلى حد كبير .

ويتحتم على كل دولة تريد العزة الحقيقية الثابتة والتمكين في الأرض أن تنصر الدعوة إلى الله عز وجل ـ بكل ما تستطيع من أسباب النصر القولية والفعلية ترغيبًا وترهيبًا ،وكذلك يتحتم على الدعاة إلى الله على بصيرة أن يتصلوا بذوي السلطة في الدولة ويرغبوهم في السير على ما هم عليه من الحق ويبينوا لهم ما في ذلك من العواقب الحميدة والسعادة في الدنيا والآخرة ويحذروهم من مخالفة ذلك ويبينوا لهم ما في مخالفة الحق من العواقب السيئة والشقاء في الدنيا والآخرة ،ويرغبوهم كذلك في نصر الدعوة إلى الله تعالى بكل ما يستطيعون من أسباب النصر ويحذروهم من خذلانها وفعل ما يقاومها

(١) رسالة إلى الدعاة (٤١ ، ٤٥) بتصرف .

ويضادها .

٣ ـ أن تصادف الدعـوة محلاً قابـلاً ومنبتًا خصـبًا ، بحيث يكون المدعوون مستعدين لقبولها ليس عندهم من الموانع والصوارف ما يحول بينهم وبين قبولها، وأغلب ما يكون في قوم عـرفوا نتيجة ما هم عليه من البـاطل وصاروا يتطلعون إلى ما ينتشلهم منه .

أما إذا كانت الدعوة في قوم في مستقبل الباطل سكروا في غمرته ، وبهروا بزخارفه وغروا بسرابه فإن نجاح الدعوة فيهم بطيء؛ لأن تيار اندفاع الباطل فيهم قوي كمثل الماء المحبوس إذا زال حابســه ، ولذلك يحتاجون إلى قوة عظيمة في الدعوة تقابل قوة ذلك التيـار الجديد وتربوا عليه ، وليكن ذلك بشتى الوسائل ، وعلى جميع المستويات ، والله المستعان .

٤ ـ أن يكون لدى الداعي أمل كـبير بعـيد عن اليأس في نجـاح دعوته ، فإن الأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحـها ، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة .

* * *

لا تكفي العاطفة الدينية وحدها في الدعوة

ونرى كثيرًا مـن الإخوة الذين عندهم هذه الصحوة اندفعوا بالعـاطفة الدينية الإسلامية ، ولا شك أن هذا خيـر وإذا لم تكن هناك حرارة وعاطفة فلن يكون إقدام، ولكن لا تكفـى العاطفة وحـدها ، بل لا بد من العلم الذي يسيـر عليه الإنسان في عمله وفي دعوته ، ولهذا قال النبي ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية** » ولا يمكن أن نبلغ عنه إلا ما علمناه من شريعته ، لأن قوله : « **بلغوا عني** » معناه : أنه أنابنا منابه بأن نبلغ ما صدر منه [١].

* * *

(١) الصحوة : (٢٤، ٢٥) .

ضوابط الدعوة

الضابط الأول : التمسك بالكتاب والسنة :

أيها الإخوة . . إن هذه الصحوة ولله الحمد شاملة وعامة في جميع البلاد الإسلامية ، كما يصل إلينا ذكرها ، ولكن يجب أن تكون هذه الصحوة على أساس متين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لأنها إذا لم تكن قائمة على ذلك كانت صحوة هوجاء عاصفة ربما تدمر أكثر مما تعمر ، ولكنها إذا بنيت على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ الثابتين ، صار لها أثرها الفعال في الأمة الإسلامية وغيرها .

لقد ملك النبي ﷺ ما تحت قدمي هرقل بدعوته لا بشخصه ، لأن دعوته أتت على هذه الأرض ، واكتسحت الأوثان والشرك ، وملكها الخلفاء الراشدون بعد محمد ﷺ ، ملكوها بدعوة النبي وشريعته ﷺ .

إننا نقول: إن الأمة الإسلامية لو رجعت إلى دين الله حقًّا ، لو رجع رعاتها ورعيتها إلى دين الله حقًّا ،واتخذوا المؤمنين أولياء ، واتخذوا الكافرين أعداء لملكوا مشارق الأرض ومغاربها ، لأنهم لا ينتصرون بقوميتهم أو بشخصيتهم ، أو بانتمائهم إلى قبيلة معينة ، ولكن ينتصرون لأنهم قاموا بدين الله عز وجل وقد تكفل سبحانه وتعالى أن يظهر دينه على الأديان كلها ، فقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [الفتح: ٢٨] ولازم إظهار هذا الدين أن يظهر من تمسكوا بهذا الدين .

أيها الإخوة . . إن هذه اليقظة التي سادت المسلمين اليوم إذا لم تكن مبنية على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ فستكون هوجاء مائلة ، يخشى أن تدمر أكثر مما تُعمر .

الضابط الثاني : العلم والبصيرة .

من الأمور التي يجب أن ترتكز عليها هذه الصحوة هي : العلم أي العلم بشريعة الله عز وجل علمًا متلقى من مصدرين أساسين لا ثالث لهما ، أولهما : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١) ولقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (٢) ، فالعلم هو أساس الدعوة ومادتها ، ولا يمكن أبدًا لدعوة أن تتم على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل إلا إذا كانت مبنية على العلم ـ وقد ترجم الإمام البخاري رحمه الله ـ في صحيحه بهذه الترجمة « باب العلم قبل القول والعمل » واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾(٣) .

فعلى الداعية أن يكون على علم فيما يدعو إليه ، على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ ، لأن كل علم يُتلقى من سواهما . . يجب أن يعرض عليهما أولاً ، وبعد عرضه فإما أن يكون موافقًا أو مخالفًا ، فإن كان موافقًا قُبِلَ ، وإن كان مخالفًا وجب ردّه على قائله كائنًا من كان .

أيها الإخــوة . . . استمعوا إلى قول الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ ، حيث قال : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤) ، فقال : أدعو إلى الله على بصيــرة أنا ومن اتبعني ، أي من اتبعه ﷺ فإنه لا بد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (٤٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (١١٣) .

(٣) سورة محمد ، الآية : (١٩) .

(٤) سورة يوسف ، الآية : (١٠٨) .

وتأمل أيها الداعية لله قول الله تعالى : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي : على بصيرة في ثلاثة أمور:

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه .

بأن يكون عالمًا بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه ، لأنه قد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم ، وهو في دين الله غير محرم ، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم .

فالحاصل أنه لا بد أن يكون الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه .

ثانيًا : أن يكون على بصيرة بحال المدعو .

لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن ، ماذا قال له ؟ قال له : « **إنك تأتي قومًا أهل كتاب** » (١) ليعرف حالهم ويستعد لهم ، أتأتي لشخص تدعوه وأنت لا تعرف حاله؟ .

ربما يكون هذا الشخص عنده من العلم بالباطل ما يوقفك في أول الطريق ، وإن كنت على حق ، إذا لابد أن تعلم هذا المدعو ، ما مستواه العلمي ؟ وما مستواه الجدلي ؟ حتى تتأهب له فتناقشه وتجادله ، لأنك إذا دخلت مع مثل هذا في جدال ، وكان الأمر عليك لقوة جدله، صار في هذا نكبة عظيمة على الحق، وأنت سببها ، ولا تظن أن صاحب الباطل يخفق في كل حال ، فإن الرسول ﷺ ، قال : « **إنكم تختصمون إليَّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع منه ...** » (٢) الحديث فهذا يدل على أن

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٩٥) ، مسلم (١٩ : ٢٩) كتاب الإيمان ، باب (٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٦٨٠) ، ومسلم (١٧١٣) .

المخاصم ، وإن كان بباطل ، قد يكون ألحن بحجته من الآخر ، فيقضي بحسب ما تكلم به هذا المخاصم ، فلا بد أن تكون عالمًا بحال المدعو .

ثالثًا : أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة .

وهذه يفقدها بعض الدعــاة ، تجد عنده من الغيرة والحماس والاندفـاع شيئًا كثيرًا لا يسـتطيع معه أن يمـنع نفسه مما يريـد أن ينفذه ، فيـدعو إلى الله بغـير حكمة، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) لكن هذا الإنسان الداعيـة الطيب الذي ملأ الله قلبه غيرة على دينه ، لا يمـلك نفسه ، فيجـد المنكر فيهجم عليه هـجوم الطير على اللحم ، ولا يفكر في العواقب الناتجة عن ذلك ، لا بالـنسبة له وحده ، ولكن بالنسبـة له ولنظرائه من الدعاة إلى الحق ، لأنكم تـعرفون أن للحق أعـداء قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٢) فكل دعوة نبي لها عدو من المجرمين .

وإذا كان هـذا ـ أعني تزود الداعيـة بالعلم الصحـيح المبني على كـتاب الله وسنة رسولـه ﷺ ـ هو مدلول النصـوص الشرعيـة فإنه كـذلك مدلول العـقول الصريحة التـي ليس فيها شبـهات ولا شهوات ، لأنك كـيف تدعو إلى الله عز وجل ، وأنت لا تعلم الطريـق الموصل إليه ، ولا تـعلم شريعـتـه ؟ فكيف إذن يصح أن تكون داعية .

---

(١) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية : (٣١) .

« أمثلة عملية فيمن يدعو إلى الله بغير بصيرة »

١ ـ لقد سمعنا من يدعو الناس إلى نبذ كل جديد ، ولو كان هذا الشيء الجديد مما تدعو الحاجة إليه ، وليس فيه مضرة شرعية .

فمثلاً يقول : لا تستمع إلى القرآن من المسجل ؟ ! لماذا ؟

قال : لأن هذا لم يكن معروفًا في عهد النبي ﷺ ، وأصحابه ، فيكون بدعة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **كل بدعة ضلالة** »(١) .

فهذا دعا إلى الله ، ولكن على غير بصيرة فيما يدعو إليه ، لأن هذا المسجل وسيلة لحفظ القول المسموع ، والوسائل ليست كالمقاصد ، الوسائل لها أحكام المقاصد (٢).

ولهذا : هل كان في عهد النبي ﷺ ، مكتبات ، ومطابع تطبع الكتب ، وخزانات ومستودعات للكتب ؟ الجواب : لا ، بل لم يكن في عهد النبي ﷺ، تأريخ ، فأول من وضع التأريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة عشرة، فهل نقول الآن :إن استعمال التأريخ بدعة ولا يجوز ؟ لا .

إذن لابد وأن نكون على بصيرة فيما ندعو إليه .

وعلى العكس من ذلك ، هناك من يغالي في مثل هذه الأمور ، كأن يقول: ضعوا شريطًا مسجلاً فيه الأذان عند الميكروفون ، ودعوه يؤذن فهذا على العكس من الأول ، فهذا لا يريد منا أن نتعبد لله تعالى بالأذان ، وإنما يريد أن نجعل هذا الإسطوانة ، ليسمع الناس صوت مؤذن قد يكون قد مات ، فهذا خطأ أيضًا .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .
(٢) الصحوة (٢٧ ، ٢٨) .

فالحاصل أنه لابد أن يكون الإنسان على بصيرة فيما يدعو إليه .

الضابط الثالث : الفهم .

من الأمور المهمة في هذه الصحوة المباركة قضية الفهم ، أي فهم مراد الله عز وجل ومراد رسوله ﷺ ، لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ، ولكن لم يؤتوا فهمًا . لا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله ﷺ ، بدون فهم . لابد أن تفهم عن الله ورسوله ما أراده الله ورسوله ، وما أكثر الخلل من قومٍ استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال .

وهنا أنبه على نقطة مهمة ألا وهي : أن الخطأ في الفهم قد يكون أشد خطرًا من الخطأ بالجهل ، لأن الجاهل الذي يخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم ، لكن الذي فهم خطأ فإنه يعتقد في نفسه أنه عالم ، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ورسوله .

فأقول لشباب الصحوة : إن قضية الفهم قضية مهمة فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده ؟ هل أراد أن يشق عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر ؟ ! ولا شك أن الله عز وجل يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .

الضابط الرابع : الحكمة .

من الأمور المهمة جدًا أيضًا مسألة الحكمة في الدعوة إلى الله ، وأخص بها شباب الصحوة الإسلامية ، وما أمر الحكمة على غير ذي الحكمة ، والدعوة إلى الله تكون بالحكمة ثم بالموعظة الحسنة ، ثم بالجدال بالتي هي أحسن لغير الظالم ، ثم بالفعل الرادع للظالم ، فالمراتب إذن أربع ، قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بالْحكْمَة وَالْمَوْعظَة الْحَسَنَة وَجَادلْهُم بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) ،وقال تعالى : **﴿ وَلا تُجَادلُوا أَهْلَ الْكتَاب إلاَّ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلاَّ الَّذينَ ظَلَمُوا منْهُمْ ﴾** (٢).

إن الحكمة : إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل الأمور منازلها ، وتوضع في مواضعها ، وليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها ، ومن أراد ذلك فهو سفيه في عقله بعيد عن الحكمة ؛ لأن حكمة الله عز وجل تأبى أن يكون هذا الأمر ويدلك لهذا أن محمدًا رسول الله ، ﷺ ، وهو الذي ينزل عليه الكتاب نزل عليه الشرع متدرجًا حتى استقر في النفوس وكمل . . .

أقول : إن الحكمة تأبى أن يتغير العالم بين عشية وضحاها فلابد من طول النفس،واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحق وتدرج معه شيئًا فشيئًا حتى تنتشله من الباطل ، ولا يكون الناس عندك على حد سواء فهناك فرق بين الجاهل والمعاند .

ولعل من المناسب أن أضرب أمثلة من دعوة الرسول ﷺ :

المثال الأول : موقفه ﷺ ، مع الأعرابي الذي بال في المسجد (٣).

« . . . فماذا تقولون في هذه الحكمة التي اتخذها الرسول ﷺ ، مع الأعرابي ؟! في ظني لو أن أحدًا من الناس جاء يبول في مسجد من المساجد لنفروا إليه ثباتًا وجميعًا قائلين له : ألا تستحي ؟ ! اتق الله ، خف الله إلخ . وهذا خطأ .

إننا لا نعتقد أن مؤمنًا بالله واليوم الآخر يقوم ويبول في المسجد إلا عن

---

(١) سورة النحل ، الآية : (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : (٤٦) .

(٣) **صحيح** : مسلم من حديث أنس (٢٨٥) .

جهل ، والجهل له حاله ، والأعـرابي لا شك أنه جاهل لأنه جاء من البادية ولا يعرف ما يجب من احترام المسـاجد ، ولكن بالحكمة تعلَّم هذا الأعرابي وعرف الواجب نحو هذه المساجد ، فانظر أيها الداعي إلى الحكمة وآثارها الطيبة ».

المثال الثاني : موقفه ﷺ ، مع معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه [١].

فعن مـعاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : « بينا أنـا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل مـن القـوم ، فـقلت : يـرحـمك الله ! فـرمـانـي القـوم بأبصارهم. . . » الحديث من خلال المثال الأول والمثال الثاني نأخذ فائدتين :

الفائدة الأولى : استـعمال اللين مـع الجاهل ، لأن الجاهل مـعذور ، وإذا علمته اقتنع بخلاف المعاند .

الفائدة الثانيه : أن الإنسان إذا أصابته نجاسة ، فإنه يبادر بإزالتها ، حيث إن النبي ﷺ ، لما قضى الأعـرابي بوله أمر بذنوب ـ أي دَلو ـ من ماء فـأريق عليه ولم يتأخر.

المثال الثالث : موقف النبي ﷺ مع الرجل الذي لبس خاتمًا من ذهب [٢].

ولننظر كيف عامل النبي ﷺ ، مرتكب الإثم فهـذا الرجل إذا قارنت قصته بقصة الأعرابي ، وقصة معاوية بن الحكم وجدت بينهما فرقًا ، فهذه القصة فيها شيء من الشدة . إذن لكل مقام مقال .

المثال الرابع : موقف النبي ﷺ ، مع أهل بريرة [٣] .

والشاهد هنا هذا الإنكار البليغ . . « **ما بال أناس** » وهذا الإنكار يحتمل أن

---

(١) مسلم من حديث معاوية بن الحكم (٥٣٧) .

(٢) مسلم من حديث ابن عباس (٢٠٩٠) .

(٣) البخاري من حديث عروة عن عائشة (٢٥٦٣) ، ومسلم (١٥٠٤) .

يكون من باب الستر عليهم ، ويحتمل أن يكون من باب التغليظ في الإنكار عليهم كأنهم ليسوا في مقام يسمح بذكر أسمائهم ، وإن كان الاحتمال الأول هو الأظهر ، وأنه قال ذلك من باب الستر عليهم ، لأنه لا ينبغي تعين الإنسان في الخطب وما أشبه ذلك ، فيقال : إن فلانًا كذا وكذا ويفضح بين الناس .

المثال الخامس : موقف النبي ﷺ مع الرجل الذي وقع على امرأته في نهار رمضان[1] .

انظر إلى هذا الموقف العجيب ، جاء هذا الرجل خائفًا يقول : « هلكت » فذهب غانمًا مطمئنًا فرحًا بهذا الدين الإسلامي ، وبهذا اليسر من الداعية الأول لهذا الدين الإسلامي صلوات الله وسلامه عليه .

الضابط الخامس : التآلف والتواد .

ثم يجب علينا في هذه الصحوة أن نكون في دين الله إخوة متآلفين متوادين ، لأن الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [2].

ومقتضى هذه الإخوة ألا يعتدى بعضنا على بعض ، وألا يبغى بعضنا على بعض وأن نكون أمة واحدة غير متفرقة في دين الله في أهوائها وآرائها .

كم من إنسان حاقد على الإسلام ، عدو للإسلام ، يفرح غاية الفرح أن يجد هذا التفرق في الشباب !! يفرح ويتمنى من كل قلبه أن يجد هذا الشباب الذي اتجه هذا الاتجاه الحي النابض يجده متفرقًا .

إن الله عز وجل يقول : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [3]. ويقول عز

---

(١) البخاري من حديث أبي هريرة (١٩٣٦) ، مسلم (١١١١) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : (١٠) .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : (٤٦) .

وجل : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١).

إنني أدعوكم أيها الشباب إلى الألفة وإلى الوحدة على دين الله عز وجل وإلى التأني في الأمور ، وإلى الحكمة في الدعوة ، وبهذا سيكتب لكم النصر إن شاء الله تعالى ، لأنكم تكونون على بينة من أمركم ، وعلى بصيرة في دين الله .

الضابط السادس : الصبر والاحتساب .

إن هؤلاء الشباب ،شباب الصحوة من ذكور وإناث يجدون مضايقة في بعض الأحوال يجدونها في السوق .. يجدونها في المدرسة .. يجدونها في الكلية .. يجدونها في بيوتهم .

إن كثيراً من الشباب يشتكون من أمهاتهم ومن آبائهم بأنهم ضيقوا عليهم ، وكانوا يصفونهم بأوصاف العيب والقدح .

ولكن ما موقفنا من هذه الأمور . وهذه المضايقات ؟ ! الواجب علينا أن نصبر ونحتسب ، وألا يمنعنا هذا من الدعوة إلى الله عز وجل ،لأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق . هل النبي ﷺ ، لما قام يدعو إلى الحق ترك وشأنه أم أوذي؟! هل الرسل الذين بعثوا قبله تركوا وشأنهم أم أوذوا ؟ ! قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (٢)وقال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (٣).

أيها الشباب .. اصبروا وصابروا ورابطوا على الطاعة .واعلموا أن الله مع

---

(١) سورة الشورى ، الآية : (١٣) .

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣٤) .

(٣) سورة الأحقاف، الاية (٣٥) .

الذين اتقوا ، والذين هم محسنون .

ولكن هل مع هذا الصبر ، ندعو أهلنا أم نغضب ونسكت ؟ !

ندعو أهلنا ولا نيأس ، ولكن بالحكمة واللين ، وعدم الشدة والغلظة ، لأن بعض الناس قد يكون شديدًا لقوة غيرته في دين الله فيفسد أكثر مما يصلح ، فالواجب أن يكون عند الإنسان حكمة يقدر الأمور فيضعها في مواضعها .

واعلم أن الناس لن يهتدوا بين عشية وضحاها ، إلا ما شاء الله .

لكن جرت سنة الله سبحانه وتعالى ، أن الأمور تأتي شيئًا فشيئًا ، فالنبي ﷺ ، بقي في مكة ثلاث عشرة سنة ، وهو يدعو الناس ومع ذلك لم تنجح دعوته النجاح التام ، وبقي في المدينة ، ولم يتم الدين بعد إلا بعد ثلاث وعشرين سنة من البعثة ، فأنت لا تظن أن الناس سيرجعون عما كانوا عليه بين عشية وضحاها أبدًا !! لابد أن يكون هناك صبر ومصابرة ومرابطة على الخير حتى يأتي الله سبحانه وتعالى بأمره .

أمثلة من صبر النبي ﷺ

وأذكر لكم بعض الأمثلة من صبر النبي - ﷺ - حتى تتأسى به صلوات الله وسلامه عليه .

المثال الأول : كانوا يلقون على عتبته ﷺ ، الأنتان والأقذار ، ومع ذلك كان يصبر ويحتسب ، ويقول : « **أي جوار هذا ؟ !** »[1] يعني كيف تؤذونني بهذا الأذى؟! فأي جوار يكون هذا الجوار ؟ ! .

المثال الثالث : عندما خرج إلى ثقيف في الطائف ومعه زيد بن حارثة يدعو إلى الله ، ماذا صنعوا به ﷺ ؟ !

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢ / ٣٤٣) .

أمروا سفهاءهم أن يصطفوا على الطريق صفين ، وأن يرجموه بالحجارة ، فرجموه حتى أدموا عَقِبُه ، وخرج عليه الصلاة والسلام ، فقال : « **فلم أفق إلا في قرن الثعالب** » ، فجاءه جبريل ومعه ملك الجبال ، فقال له جبريل : هذا ملك الجبال يُسلم عليك فسلم عليه ، وقال : إن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت ، قال النبي ﷺ : «**لا .. لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله**» (١).

المثال الثالث : كان النبي ﷺ ساجدًا تحت الكعبة يعبد الله في مكان آمن ومن أشد الأمكنة أمنًا ، حتى عند قريش ، فالكعبة من أشد الأماكن أمنًا ، حتى إن الرجل كان يجد قاتل أبيه فلا يقتله ، ولكن لما رأوا الرسول ﷺ ، ساجدًا عند الكعبة ماذا فعلوا به ؟ أمروا رجلاً واحدًا منهم أن يأتي بسلا جزور فلان ويضعه على ظهر الرسول ﷺ ، وهو ساجد !!

ما تقولون في هذه الأذية والتي ليس لها نظير حتى في تاريخ الجاهلية ؟!!

ومع هذا كله صبر واحتسب ﷺ ، وبقى ساجدًا لله عز وجل حتى جاءت ابنته فاطمة الصغيرة فألقت الأذى عن ظهر أبيها ، ولما أتم الصلاة ، رفع يديه يدعو على قريش (٢).

الضابط السابع : التخلق بالأخلاق الفاضلة .

على الداعية أن يتمسك بأخلاق الداعية ، بحيث يظهر أثر العلم في معتقده وفي عبادته ، وفي هيئته ، وفي جميع مسلكه ، حتى يمثل دور الداعية إلى الله عز وجل، أما أن يكون على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل ، وإن

---

(٢) **صحيح** : رواه البخاري من حديث عائشة (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٢٤٠) ، ومسلم (١٧٩٤) .

نجحت فإنما نجاحها قليل [١]. . . فعلى الداعية أن يكون متخلقًا لما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك ، حتى تكون مقبولة وحتى لا يكون من أول من تسعر بهم النار . . والعياذ بالله [٢].

أيها الإخوة إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقًا بالأخلاق التي تليق بالداعية، حتى يكون داعية حقًا ، وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول [٣].

الضابط الثامن : كسر الحواجز بين الداعية وبين الناس .

وإن كثيرًا من إخواننا الدعاة ، إذا رأى قومًا على منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر على ألا يذهب إليهم ولا ينصحهم ، وهذا خطأ ! هذا ليس من سبيل الحكمة أبدًا . بل الحكمة أن تذهب وتدعو وتبلغ ، وترغّب ، وترّهب، ولا تقل هؤلاء فسقة لا يمكن أن أجلس معهم ! إذا كنت أنت أيها الداعية لا ترغب أن تجلس مع هؤلاء ، ولا تمشي معهم ، ولا تذهب إليهم في الدعوة إلى الله ، فمن الذي يتولاهم ؟ ! أيتولاهم أحد مثلهم ؟ ! أم يتولاهم قوم لا يعرفون ؟ ! إنه ينبغي للداعية أن يصبر نفسه ، وأن يكرهها ، وأن يكسر الحواجز بينها وبين الناس ، حتى يتمكن من إيصال دعوته إلى من هم بحاجة إليها ، أما أن يستنكف ويستكبر ، ويقول : إن جاءني أحد بلغته الدعوة وإن لم يأتني أحد فلست بملزم ! فإن هذا خلاف ما كان الرسول ﷺ ، يفعله ، والنبي ﷺ كما هو معلوم لمن يقرأ التاريخ أنه كان يذهب في أيام منى إلى المشركين في أماكنهم ويدعوهم إلى الله عز وجل . وقد أُثِر عنه أنه ﷺ، قال : «**هل من رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي عز**

---

(١) الصحوة (٥٦) .

(٢) الصحوة (٥٧) .

(٣) الصحوة (٥٨) .

وجل » [١] فإذا كان هذا دأب نبينا وقدوتنا محمد ﷺ فإنه من الواجب علينا أن نكون مثله في الدعوة إلى الله .

الضابط التاسع : استعمال الرفق واللين .

إن علينا أن نستعمل في دعوتنا إلى الله عز وجل الرفق واللين ما أمكن ذلك، لأن النبي ﷺ ، قال : « **يا عائشة ! إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف وما لا يعطي على سواه** » [٢] . وقد امتن الله سبحانه وتعالى على نبيه حيث جعله لينًا لعباد الله فقال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقس أنت الناس بنفسك ، لو أن رجلاً خاطبك في أمرٍ من الأمور بعنف، لرأيت من نفسك داعيًا يدعوك إلى أن تقابله بمثل ما تصرف به معك ، ولألقى الشيطان في قلبك أن هذا الرجل لا يريد النصح وإنما يريد الانتقاد ! والإنسان إذا شعر بأن من خاطبه يريد الانتقاد فإنه لن ينصاع إلى توجيهه ، ولا إلى دعوته . . .

أما الرفق واستعماله فإن من تتبع هدي النبي ﷺ ، وجده ﷺ رفيقًا بالأمة وأبرز مثل لذلك قصة الأعرابي الذي دخل المسجد ، فتنحى إلى ناحية منه وأخذ يبول فيها، فقام الناس إليه يزجرونه لأنه أتى أمرًا نكرًا عظيمًا ، ولكن النبي ﷺ، زجرهم فسكتوا ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ أن يراق عليه ذنوب من ماء ، ثم دعا الأعرابي فقال له : « **إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر ، وإنما هي للصلاة والتكبير وقراءة القرآن** » [٣] فالذي أدعو إليه

---

(١) رواه أحمد (١٣ : ٣٩) ، الترمذي (٢٩٢٥) ، وقال: هذا حديث غريب صحيح ، وأخرجه أبو داود (٤٧٣٤) ، وابن ماجه (٢٠) .

(٢) حسن : رواه أحمد (٣ / ١٩٨) ، الترمذي (٢٤٩٩) ، ابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) مسلم (٢٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

إخواني أن يسلكوا هذا السبيل في الدعـوة إلى الله وإنكار المنكر ، فيحصل لهم بالرفق ما لا يحصل بالعنف.

الضابط العاشر : اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء .

إن على الشباب الدعاة والملتزمين أن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء أو غيرهم ، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم ، وهذه نقطة مهمة جـدًا ؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين ليتـخذ منها ما ليس لائقًا في حقهم ، ويشوش على الناس سمعتهم ، وهذا من أكبر الأخطاء ، وإذا كان اغتيـاب العاصي من الناس من كبـائر الذنوب فإن اغتيـاب العالم أكبـر وأكبر ، لأن اغـتيـاب العـالم لا يقتـصـر دوره على العالم بل عـليه وعلى مـا يحـمله من العلم الشرعي، والـناس إذا زهدوا في العالم أو سـقط من أعينهم تسـقط كلمتـه أيضًا من أعينهم ، وإذا كـان يقول الحق ويهدي إلـيه فإن غيـبة هذا الرجل لهـذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي ، وهذا خطره كبير وعظيم .

أقول : إن على هؤلاء أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حُسن النية ، وعلى الاجتهاد ، وأن يعذروهم فيمـا أخطأوا فيه ، ولا مانع أن يتكلموا فيما يعتـقدون أنه خطأ ، ليبينوا لهم هل الخطأ مـنهم أو من الذين قالوا إنهم أخطأوا ؟ ! لأن الإنسان أحيـانًا يتصور أن قول العـالم خطأ ، ثم بعد المناقشة يتـبين له صوابه ، والإنسان بشر ، كل ابن آدم خطاء وخير الخطائـين التوابون ، أما أن يفرح بزلة العالم وخطئه ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة ، فإن هذا ليس من طريق السلف .

الضابط الحادي عشر : تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل .

ينبغي لأهل هذه اليـقظه والحركة المبـاركة ألا تحملهم العـاطفة ، فتـصدهم عن التعقل ، وعن السير على مقتضى الشرع ، لأن العـاطفة إذا لم تكن مقيدة بما يقتضيه الشرع والعقل فإنها تـكون عاصفة ويترتب عليها من الضرر أكثـر مما يترتب عليها من النصح ، لذلك يجب أن يكون نظرنا بعيـدًا ولست أريد بهذا أن نسكت على باطل ،

أو أن نؤيد باطلاً ، ولكني أريد أن نأتي البيوت من أبوابها ، وأن نحاول بقدر استطاعتنا سلوك سبيل الحكمة في إزالة هذا الباطل والقضاء عليه لأن سلوك طريق الحكمة وإن طال فإن ثمرته ونتيجته تكون مرضية للجميع ، ربما الغيرة تطفئ لهيب النار ، لكن لا تطفئ الجمر الذي قد يتقد فيما بعد . لذلك أحث إخواني وأبناءنا الشباب أصحاب هذه الحركة وهذه اليقظة على التأني ، وبعد النظر والتعقل ، وأن يجعلوا تصرفاتهم كلها على ما تقتضيه الشريعة ، وأن ينظروا كيف كانت حكمة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله ، وتغيير المنكر ، حتى يأخذوا منه أسوة حسنة ، فنعم الأسوة برسول الله ﷺ .

فأقول لإخواني من شباب الصحوة الإسلامية إذا كنا نريد أن نوقظ الأمة الإسلامية من رقدتها ومن غفلتها فإنه يجب علينا أن نسير بخطط ثابتة وعلى أسس راسخة ، لأننا نريد أن يكون الحكم لله ونريد أن يثبت دين الله في أرض الله على عباد الله ، وهذه غاية عظيمة ، ولكن بالعاطفة فقط لن يتحقق ذلك فيجب أن نقيض عاطفتنا بما يقتضيه الشرع والعقل .

الضابط الثاني عشر : إقامة الزيارات والرحلات بين الشباب .

أحث الشباب على إقامة الزيارات فيما بينهم حتى تتوطد الألفة بين القلوب والمحبة ، ودراسة أحوالهم ، وأحوال أمتهم ، ليكونوا كقلب واحد ، ورجل واحد ، وما أعظم ثمرة الزيارات ، وإذا قرنت برحلات قريبة أو بعيدة ، فإن لها أثرًا كبيرًا ، وعلى المربين من الأساتذة والمديرين قسط كبير من هذا التوجيه .

الضابط الثالث عشر : عدم اليأس من كثرة المفاسد .

علينا ألاّ نيأس من صلاح الأمة إذا رأينا كثرة المفاسد فيها ، ورأينا قوة من يقاوم الحق ، فإن الحق كما قال ابن القيم رحمه الله :

الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن

ولا بد من مصارعة الباطل للحق : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [(١)] المجرمون يريدون إضلال الناس وتعمية الحق ، يريدون التسلط على الناس وإسكاتهم ، لكن الله يقول : ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا ﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء ﴿ وَنَصِيرًا ﴾ ، لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء ، فلا يجوز أن نيأس ، بل علينا أن نطيل النفس ، وأن ننتظر ، وستكون العاقبة للمتقين ، وذلك لأنه يوجد أناس يريدون أن يبدلوا أفكار الشباب السليمة بأفكار رديئة ، وأن يحاولوا تحقيق هذا الهدف يذهبون إليه ، حتى يضلوا الناس ويشككوهم ، ويصدوهم عما قاموا به من نشر الحق ولكن ستكون الدائرة عليهم، كل إنسان يريد أن ينابذ الحق بأفكاره ، فستكون الدائرة عليه ، لأن الله تعالى ناصر دينه وكتابه ، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها ، كما أن اليأس سبب الفشل والتأخر في الدعوة .

الضابط الرابع عشر : الاتصال بولاة الأمور.

علينا أن يكون لنا اتصال بولاة الأمور من الأمراء ، وحكام القضاء، ورجال الهيئات ، وغير ذلك من رؤساء المصالح الحكومية ، وألا نجفوهم ونشعر بأننا في وادٍ وهم في وادٍ ، لأنه متى حلّ بنا هذا الشعور ، فإن الإصلاح قد يكون متعذرًا، ولكن لنتواضع للوصول للحق، « **فإن من تواضع لله رفعه** » [(٢)] ونحن إذا صار لنا اتصال بولاة الأمور، وحكام القضاء، ورؤساء الهيئات ممن يتولون أمور المسلمين وحصل التفاهم بيننا وبينهم فلابد أن تكون النتيجة طيبة بإذن الله عز وجل.

والله أسأل أن يجمع قلوبنا ، ويجعلنا من المتحاكمين إلى الله ورسوله، وأن يخلص لنا النية ويبين لنا ما خفي علينا من شريعة الله ، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية :(٣١) .

(٢) **صحيح** : مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة .

وسائل الدعوة

طريقة الشيخ في الدعوة والتي من خلالها يقدم نصيحة في كيفية الدعوة

على كل حال أنا أقول عن نفسي إني قاصر ، وإني مقصر في كثير من الأمور ، **والطريق التي أسلكها** هو أني أجتهد في الدعوة التي أوجهها إليه من الكبار أو الصغار حسب الطريقة التي أرى أنها أقرب إلى حصول المقصود ، وأنا أنصحهم بما أرشد الله إليه عباده : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١]، وهذا يختلف مع كل واحد بحسبه ، ولا يمكن أن نعطي فيه حكمًا عامًا يشمل كل واحد وكل حال من الأحوال ، فأحيانًا ربما يكون من الخير أن لا نتكلم مع الشخص في الدعوة إلى الحق ، لأنه في حال يبعد أن يقبل منك ما تقول وربما يرد عليك ما تقول بشيء يؤثمه ، وأحيانًا ترى منكرًا إذا نهيت عنه أو تركه يتحول المدعو أو المنتهي إلى منكر أعظم فعلى كلّ حال فالإنسان ينظر إلى ما تقتضيه الحال من الدعوة والأسلوب فيها وكيف تخاطب الرجل [٢].

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٢) الصحوة (١٠٢ ، ١٠٣) .

الوسائل بحسب المقاصد

يجب أن نعرف قاعدة ، وهي أن الوسائل بحسب المقاصد كما هو مقرر عند أهل العلم **أن الوسيـلة لها أحكام المقـصد ما لـم تكن هذه الوسيلة مـحرمـة فإن كانت مـحرمة فـلا خير فيـها** ، وأما إذا كـانت مباحة وكـانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعًا ، فـإنه لا بأس بها ، ولكن لا يعني ذلك أن نعدل عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما فـيها من مواعظ إلى ما نرى أنـه وسيلة في الدعوة إلي الله ، وقد نرى أن هذا وسـيلة ، ويرى غيـرنا أنه ليس بوسيلة ، ولهـذا ينبغي للإنسان في الدعوة إلى الله أن يسـتعمل الوسيلة التي يتفق الناس عليـها حتى لا تخدش دعوته إلى الله بما فيه الخلاف بين الناس [١].

---

(١) الصحوة (٩٩) .

يجوز تعلم اللغة الأجنبية لاستخدامها في الدعوة إلى الله

رأينا في تعلم اللغة الإنجليزية أنها وسيلة لا شك ، وتكون وسيلة طيبة إذا كانت لأهداف طيبة ، وتكون رديئة إذا كانت لأهداف رديئة ، لكن الشيء الذي يجب اجتنابه أن تتخذ بديلاً عن اللغة العربية ، فإن هذا لا يجوز وقد سمعنا بعض السفهاء يتكلم بها بدلاً من اللغة العربية ، حتى أن بعض السفهاء المغرمين الذين أعتبرهم أذنابًا لغيرهم ، كانوا يعلمون أولادهم تحية غير المسلمين ، يعلمونهم أن يقولوا : (باي باي) عند الوداع وما أشبه ذلك .

لأن استبدال اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، وأشرف اللغات بهذه اللغة، هذا محرم ، أما استعمالها وسيلة للدعوة فإنه لا شك أنه يكون واجبًا أحيانًا ، وأنا لم أتعلمها ، أتمنى أنني كنت تعلمتها ووجدت في بعض الأحيان أني أضطر إليها ، حتى المترجم لا يمكن أن يعبر عما في قلبي تمامًا .

وأذكر لكم قصة حدثت في مسجد المطار بجدة مع رجال التوعية الإسلامية نتحدث بعد صلاة الفجر عن مذهب التيجاني، وأنه مذهب باطل، وكفر بالإسلام، وجعلت أتكلم بما أعلم، فجاءني رجل فقال: أريد أن تأذن لي أن أترجم بلغة الهوسا، فقلت: لا مانع، فترجم فدخل رجل مسرعا، فقال: هذا الرجل الذي يترجم عنك يمدح التيجانية، فدهشت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فلو كنت أعلم مثل هذه اللغة، ما كنت أحتاج إلى مثل هؤلاء الذين يخدعون .

فالحاصل أن معرفة لغة من تخاطب ، لا شك أنها مهمة في إيصال المعلومات ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ[1] ﴾ [2] .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤) .

(٢) العلم (١٢٧، ١٢٨) .

جواز خطبة الجمعة بغير العربية إن كانت هي وسيلة البيان

الصحيح في هذه المسألة أنه يجوز لخطيب الجمعة أن يخطب باللسان الذي لا يفهم الحاضرون غيره ، فإذا كان هؤلاء القوم مثلاً ليسوا بعرب ولا يعرفون اللغة العربية فإنه الخطيب بلسانهم ، لأن هذا هو وسيلة البيان لهم ، والمقصود من الخطبة هو بيان حدود الله ـ سبحانه وتعالى ـ للعباد ، ووعظهم ، وإرشادهم. إلا أن الآيات القرآنية يجب أن تكون باللغة العربية ، ثم تفسر بلغة القوم ، ويدل على أنه يخطب بلسان القوم ولغتهم ، يقول تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ : [إبراهيم : ٤] فبين الله تعالى أن وسيلة البيان إنما تكون باللسان الذي يفهمه المخاطبون والله أعلم .

السفر لبلد الكفر للدعوة

والسفر إلى بلاد الكفر للدعوة يجوز إذا كان له أثر وتأثير هناك ،فإنه جائز لأنه سفر لمصلحة ، وبلاد الكفر من عوامهم قد عمي عليهم الإسلام لا يدرون عن الإسلام شيئًا بل قد ضُلِّلوا ، وقيل لهم: إن الإسلام دين وحشية وهمجية ورعاع ولا سيما إذا سمع الغرب هذه الحوادث التي جرت على يد أناس يقولون إنهم مسلمون سيقولون أين الإسلام ؟ هذه وحشية !! فينفرون من الإسلام بسبب المسلمين وأفعالهم، نسأل الله أن يهدينا أجمعين .

سئل رحمه الله : الشريط الإسلامي أصبح وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى ، كيف يرى فضيلة الشيخ وضع هذا الشريط ؟ وهل لكم نصائح يمكن أن تقدم لأصحاب التسجيلات ؟

أجاب رحمه الله : أرى أن الشريط الإسلامي مهم جداً في رعايته ، والعناية به، وفيه فائدة كبيرة، لكنني أشير على إخواني الذين يعملون في هذا الحقل ألا يكون همهم في الكمية ، وإنما همهم في الكيفية ، لأن بعض هذه الأشرطة فيه ما هبَّ ودبَّ ، فتجد من الواعظ موعظة تلين القلوب ولا بأس ، لكنها تشتمل على أشياء ضعيفة ، وعلى أحاديث موضوعة على رسول الله ﷺ ، فيحصل من الشر فيها أكثر مما يحصل من تليين القلب عدة دقائق ما دام يستمع ، لكن يرسخ هذا الشيء الباطل المكذوب الموضوع على رسول الله ﷺ في ذهنه ثم يصعب بعد ذلك انتشاله منه .

فأرى أنه يجب على أصحاب الشريط الإسلامي أن يعتنوا من هذه الناحية ، وأن يعلموا أن أي خلل يصيب المسلمين بناء على ما نشروه في عقيدتهم أو أخلاقهم ، فإنهم مسؤولون عنه أمام الله عز وجل ، فالعناية بهذا الأمر واجبة حتى لا ينزلق الناس ، لأن العامة إذا سمعوا الشريط المؤثر الذي يوجب البكاء ولين القلوب انكبوا عليه ، وترسخ هذه المعلومات الباطلة في أذهانهم ، وهذا الشيء خطير جداً [١].

---

(١) الصحوة (١٠٤ ، ١٠٥) .

إرشاد منه لبعض الجهات الخيرية لتوفير وسائل الدعوة ونشرها على مستوى العالم

إن عزمكم هذا على جمع التبرعات لتأمين كتب ورسائل وأشرطة إسلامية لتزويد المراكز الإسلامية بها بصفة مستمرة هو أدنى ما يجب على المسلمين لإخوانهم المحاصرين بجماعات التضليل من النصارى وغيرهم فإن أولئك المضللين يبذلون النفوس والأموال لتحقيق مآربهم مع بطلان ما هم عليه ونفور الفطر السليمة منه فإذا تحرك المسلمون لدفع هذا الوباءِ عن إخوانهم أدنى تحرك مع الإخلاص لله تعالى والاستعانة به وقصد دفع الشر عن إخوانهم فسيكون له بحول الله الأثر الطيب ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ ، هكذا قال الله ـ عز وجل ـ فسيروا على بركة الله بارك الله في جهودكم وسدد خطاكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .توقيعه رحمه الله ٢٧/ ٥/ ١٤١١هـ [١].

* * *

سُئل رحمه الله : عن خلاف وقع بين الدعاة إلى الله عز وجل في وسائل الدعوة ، فمنهم من يجعلها توقيفيَّة ، وينكر على من يُقيمون الأنشطة المتنوعة ، نرجو بيان الصواب في ذلك ؟

أجاب رحمه الله : الحمد لله رب العالمين ، لا شك أن الدعوة إلى سبحانه وتعالى عبادة كما أمر الله بها في قوله : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**

---

(١) رسالة من وحي الواقع ورقة (١٢ ، ١٣) .

﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١) والإنسان الداعي إلى الله يشعر وهو يدعو إلى الله عز وجل أنه ممتثل لأمر الله متقرب إليه به ولا شك أيضًا أن أحسن ما يُدعى به كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ، فإن كتاب الله سبحانه هو أعظم واعظ للبشرية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

والنبي ﷺ ، كذلك قوله أبلغ الأقوال موعظة .

فإذا تمكن الإنسان من أن تكون موعظته بهذه الوسيلة ، فلا شك أن هذا خير وسيلة ، وإذا رأى أن يضيف إلى ذلك وسائل مما أباحه الله فلا بأس بهذا .

ولكن بشرط أن تكون هذه الوسيلة لا تشتمل على شيء محرم من الكذب أو تمثيل دور الكافر في التمثيليات ، أو تمثيل الصحابة ﷺ أو أحدًا من الأئمة من بعد الصحابة أو ما أشبه ذلك مما يخشى منه أن يزري بأحد من هؤلاء الأئمة الفضلاء ، وكذلك أيضًا لا تشتمل التمثيلية على تشبه رجل بامرأة أو العكس .

المهم أنه إذا فعل شيئًا من هذه الوسائل أحيانًا من أجل التأليف ، ولم تشتمل على شيء محرم فلا أرى فيها بأسًا ، أما الإكثار منها ، وجعلها هي الوسيلة للدعوة إلى الله والإعراض عن الدعوة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بحيث لا يتأثر المدعو إلا بهذه الوسائل فلا أرى ذلك ، بل أرى أنه محرم لأن توجيه الناس إلى غير الكتاب والسنة فيما يتعلق بالدعوة إلى الله أمر منكر ، لكن فعل ذلك أحيانًا لا أرى فيه بأسًا ، إذا لم يشتمل على شيء محرم (٣) .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٢) سورة يونس ، الآية (٥٧) .

(٣) الصحوة (١٠٠ ، ١٠١) .

قوله رحمه الله في هجر الدعاة بعضهم بعضاً بسبب اختلافهم في أساليب الدعوة ؟

لا يجوز الهجر بين المؤمنين لأن النبي ﷺ قال : « **لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث** »[1] حتى ولو ارتكب معصية ، فإن هجره لا يجوز إلا إذا كان في هجره مصلحة ، كأن ينتهي عن معصيته ، ولهذا هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ ،حين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فإذا كان في هجر الفساق مصلحة راجحة فإنهم يهجرون ، وإلا فلا يهجرون هذا بالنسبة لعموم الفسّاق ، أما الدعاة إلى الله فإنه ينبغي لهم بل لا يجوز لهم أن يتهاجروا فيما بينهم ، بسبب اختلاف أساليب الدعوة ولكن على كل واحد منهم أن ينتفع بأسلوب الآخر إذا كان أجدى وأنفع [2].

(١) صحيح : رواه البخاري من حديث أنس برقم (٦٠٦٥) ، ومسلم (٢٥٥٩) .

(٢) الصحوة (١٠٥) .

قوله رحمه الله في دور
وسائل الإعلام الحديثة في الدعوة

أرى أنه يجب استخدام وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله عز وجل ، لأن ذلك مما تقوم به الحجة ، وأرى أن وسائل الإعلام تستخدم في الدعوة إلى الله عز وجل على وجوه شتى بمعنى أن نجعل **ركنًا في الدعوة إلى التوحيد** . . **وركنًا في الدعوة إلى العقيدة** فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته . . **وركنًا في الدعوة إلى إخلاص العبادة لله عز وجل** ، بحيث لا يقصد الإنسان التذلل إلى حاكم أو إلى من هو أكبر منه ، وما أشبه ذلك . . **وركنًا في الفقه** مثل العبادات وغيرها . . **وركنًا في المعاملات** مثل الأنكحة وغيرها ، يعني ذلك أن تكون الدعوة واسعة عامة [1].

سُئل رحمه الله : ما حكم الدعاة الذين يدعون الناس وكأنهم يستجدون هداية الناس استجداء ؟

أجاب رحمه الله : نعم ، حقيقة الأمر أن الدعاة الذين وصفهم السائل بأنهم يدعون الناس وكأنما يستجدون منهم المال ، قد يكون هذا الضعف في دعوتهم وشخصيتهم ، وقد يكون هذا العناد في المدعو ، يعني رجل ليس عليه تقصير في الشخصية والدعوة والقوة لكن حال المدعو تتطلب أن يطمئن معه ، وأن يأتيه بسهوله ولين ، وحينئذ لا نستطيع أن نحكم على مثل هذا الداعية الذي يدعو الناس وكأنه يستجديهم بأنه مقصر أو أنه ذو قصور [2].

---

(١) الصحوة (١٠٣) .

(٢) الصحوة (٩٧) .

« الوسائل والطرق التي تدفع إلى علو الهمة والحرص على العلم »

ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة ، وهناك أمور لابد منها :

* **الأمر الأول** : الإخلاص لله عز وجل في الطلب ، والإنسان إذا أخلص لله في الطلب ، وعرف أنه يثاب على طلبه ، وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة، فإن همته تنشط : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ (١) .

* **الثاني** : أن يلازم زملاء يحثونه على العلم ، ويساعدونه على المناقشة والبحث ، ولا يمل من حجتهم ما داموا يعينونه على العلم .

* **الثالث** : أن يصبر نفسه بمعنى يحبسها لو أرادت أن تنفلت ، قال الله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) فليصبر ، وإذا صبر وتعود الطلب صار الطلب سجية له ، وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يومًا طويلاً ، أما إذا أعطي نفسه العنان فلا ، فالنفس أمارة بالسوء ، والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم (٣).

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٩) .

(٢) سورة الكهف ، الآية (٢٨) .

(٣) العلم (٩٧) .

الوعظ عند القبور أمر غير مشروع

الذي أرى في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يشـرع ، ولا ينبغي أن يتخذ هذا سنة دائمة ، فإن وجـد له سبب فقد يشرع ، مثل أن يرى أناسًـا في المقبرة عند الدفن يضحكون ويلعبـون ويتمازحون فهاهنا لا شك أن الموعظة حـسنة وطيبة ؛ لأنه وجد لها سبب يقتضيها ، أما مجرد أن يقوم الإنسان خطيبًا عند الناس وهم يدفنون الميت فهذا لا أصل له في هدي النبي ﷺ ولا ينبـغي أن يُفعل ، صحيح أن النبي ﷺ انتـهى إلى جنازة رجل من الأنصار ولما يلـحد القبـر فجلس عـليه الصـلاة والسلام وجلس حـوله أصحـابه كأن على رؤوسـهم الطير من الـهيـبة والعظمة ، وكان مع الرسول ﷺ قضـيب ينكت على الأرض ، فجعل يحدثهم عليه الصلاة والسلام عن حال الرجل عند موته وبعد وفاته ، فهذا واضح أنه لم يكن خطيبًا يخطب الناس ويعظهم ، لكنه جالس وحـوله أصحابه ينتظرون متى يلحد هذا القبـر فحدثهم ، كما لو كنت أنت وأصـحابك تنتظرون دفن الميت ، فـجعـلت تحدثهم بـهذا الشيء ، وفـرق بين الحـديث الخـاص الذي يكون بين الجلساء، وبين مـا يفعل على سبـيل الخطبة ، كذلك كـان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف عليـه وقال : « **استـغفـروا لأخيكم واسـألوا له التـثبيت ، فـإنه الآن يسأل** » (١) فهذه أيضًا مسأله خاصة وليست خطبة (٢) .

---

(١) حسن : رواه أبو داود (٣٢٢١) .

(٢) الصحوة (١٣٥) .

زاد الداعية إلى الله [١]

إننا نعلم جميعًا أن الداعية إلى الله عز وجل أولى الناس أن يتحلى بتقوى الله في السر والعلن ، وإنني ذاكر بمعونة الله عز وجل في هذا المقام ما يتعلق بالداعية وما ينبغي أن يتزود به .

الزاد الأول : أن يكون الداعية على علم فيما يدعو إليه ، على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن كل علم يتلقى من سواهما فإنه يجب أن يُعرَض عليهما أولاً وبعد عرضه فإما أن يكون موافقًا أو مخالفًا ، فإن كان موافقًا قبل، وإن كان مخالفًا وجب رده على قائله كائنًا من كان وإن أول زاد يتزود به الداعية إلى الله عز وجل أن يكون على علم مستمد من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ الصحيحة المقبولة .

الزاد الثاني : أن يكون الداعية صابرًا على دعوته ، صابرًا على ما يدعو إليه ، صابرًا على ما يعترض دعوته ، صابرًا على ما يعترضه هو من الأذى . وأن يكون صابرًا على الدعوة أي مثابرًا عليها لا يقطعها ولا يمل بل يكون مستمرًا في دعوته إلى الله بقدر المستطاع . . ولابد أن يكون الإنسان صابرًا على ما يعترض دعوته من معارضات ومجادلات لأن كل إنسان يقوم داعيًا إلى الله عز وجل لا بد أن يعارض : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [٢]. . . . وكذلك لابد أن يكون الداعية صابرًا على ما يعترضه هو من الأذى لأن الداعي لابد أن يؤذي إما بالقول وإما بالفعل .

---

(١) هذا عنوان رسالة للشيخ رحمه الله وكانت محاضرة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة كتبها أحد الطلبة وقد قمت بنقل عناوينها الرئيسية بتصرف حتى تعم الفائدة فاللهم تقبل .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٣١) .

الزاد الثالث : الحكمة فيدعو إلى الله بالحكمة ، وما أمرٌ الحكمة على غير ذي الحكمة . الدعوة إلى الله بالحكمة ثم بالموعظة الحسنة ثم الجدال بالتي هي أحسن لغير الظالم ثم الجدال بما ليس أحسن للظالم ، فالمراتب إذن أربع .

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١) ، وقال : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

الزاد الرابع : أن يتخلق الداعية بالأخلاق الفاضلة (يتخلق بأخلاق الداعية) بحيث يظهر عليه أثر العلم في معتقده ، وفي عبادته و في هيئته ، وفي جميع مسلكه حتى يمثل دور الداعية إلى الله أما أن يكون على العكس من ذلك فإن دعوته سوف تفشل ، وإن نجحت فإنما نجاحها قليل ، فعلى الداعية أن يكون متخلقًا بما يدعو إليه من عبادات أو معاملات أو أخلاق وسلوك حتى تكون دعوته مقبولة وحتى لا يكون من أول من تُسعر بهم النار .

أيها الأخوة إنني أريد من كل داعية أن يكون متخلقًا بالأخلاق التي تليق بالداعية حتى يكون داعية حقًا ، وحتى يكون قوله أقرب إلى القبول .

الزاد الخامس : كسر الحواجز بينه وبين الناس لأن كثيرًا من إخواننا الدعاة إذا رأى قومًا على منكر قد تحمله الغيرة وكراهة هذا المنكر على أن لا يذهب إلى هؤلاء ولا ينصحهم ، وهذا خطأ وليس من الحكمة أبدًا بل الحكمة أن تذهب وتدعو وتبلغ وترغب وترهب ، ولا تقل هؤلاء فسقة لا يمكن أن أمشي حولهم .

الزاد السادس : أن يكون قلبه منشرحًا لمن خالفه لاسيما إذا علم أن الذي خالفه حسن النية وأنه لم يخالفه إلا بمقتضى قيام الدليل عنده ، فإنه ينبغي للإنسان أن يكون مرنا في هذه الأمور ، وأن لا يجعل من هذا الخلاف مثارًا للعداوة والبغضاء .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٤٦) .

الباب الثاني

ما ينبغي أن يكون عليه الداعي
من الصفات والأفعال
وبعض المسائل التي تخص الداعي

ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من الصفات والأفعال

مقام الداعي مقام قيادي هام ينبغي للداعي أن يقدره قدره ، ويوليه عنايته ولكي يتحقق ذلك فليراع ما يأتي :

(١) **الإخلاص لله تعالى في عمله** بحيث يقصد بدعوته التقرب إلى الله عز وجل ونصر دينه وإصلاح عباده بإخراجهم من ظلمات الجهل والعصيان إلى نور العلم والطاعة فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى أمر مهم بالنسبة لنجاحه فيها وثوابه عليها أما إن قصد مراءاة الناس بذلك أو أراد شيئًا من الدنيا : مالاً أو جاهًا أو رئاسة فعمله حابط ونفعه قليل .

(٢) **أن يعتقد أنه بدعوته إلى الله تعالى ـ وارث لنبيه محمد ﷺ في نشر سنته وهديه .**

(٣) **أن يكون ثابتا في دعوته إلى الله تعالى** ، راسخ القدمين لا تزعزعه المضايقات ولا يحطمه اليأس ، لأنه واثق من صحة طريقته مؤمل لنتيجتها فهو واثق من الحسنيين مؤمل للزيادة ، واثق من بيان الحق وثواب الآخرة مع إخلاص النية وإصلاح العمل ، مؤمل لصلاح الخلق بدعوته ولو بعد حين .

(٤) **أن يصبر ويصابر** ، فيصبر على ما يناله من أذى الخلق لأن من قام بهذه المهمة فلابد أن يناله أذى من شرار الخلق المناوئين لدعوته ـ وما أكثرهم ـ أذى قولي وأذى فعلي إما بالنيل منه أو بالنيل من دعوته . واعتبر ذلك بما جرى للنبي ﷺ ولمن سبقه من الرسل الكرام . والصبر درجة عالية لا تنال إلا بالأسباب التي يتجرع بها العبد مرارة الصبر ويتحمل بها مشقته . وليصابر في بيان الحق والدعوة إليه والمجادلة فيه ويتسم بطول النفس وبعد النظر حتى تتحقق له الغاية

المنشودة .

(٥) أن يسلك طريق الحكمة في الدعوة إلى الله فيستعمل الأساليب المناسبة للحال والمقام .

(٦) أن يكون الداعي عالمًا بشريعة الله التي **يدعو إليها** وعالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية .

(٧) أن يكون الداعي على جانب كبير من الدين والأخلاق ليكون قدوة صالحة في العلم والعمل فيقوم بما يأمر به من طاعة أو فضيلة ويبتعد عما ينهي عنه من معصية أو رذيلة فليس من الدين أن يأمر بشيء ولا يأتيه وأن ينهي عن شيء ثم يقع فيه .

(٨) أن يكون الداعي وقورًا في هيئته وقوله وفعله بدون جفاء ليكون أهلاً للتوقير فلا يطمع فيه المبطلون ولا يستخفه المخلصون ، يجد في موضع الجد ويمزح في موضع المزاح . يتكلم إذا كان الكلام خيرًا ويصمت إذا لم يكن في الكلام خير . . وإلى جانب وقاره ينبغي أن يكون واسع الصدر منبسط الوجه لين الجانب يألف الناس ويألفونه حتى لا ينفضوا من حوله فكم من سعة صدر وبساطة وجه ولين جانب أدخلت في دين الله أفواجًا من الناس .

على الداعية أن يؤدي زكاة علمه

زكاة العلم تكون بأمور :

منها : **نشر العلم** ، كما يتصدق الإنسان بشيء من ماله ، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه ، وصدقة العلم أبقى دوما وأقل كلفة ومؤنة .

أبقى دوماً لأنه ربما كلمة من عالم تسمع ينتفع بها فئات من الناس وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده ، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم وعلومهم ، فهذه زكاة ، وهذه زكاة لا تنقص العلم بل تزيده .

يزيد بكثرة الإنفاق منه ... وينقص إن به كفا شددت

ومن زكاة العلم أيضاً : **العمل به** لأن العمل به دعوة إليه بلا شك ، وكثير من الناس يتأسون بالعالم وبأعماله ، أكثر ما يتأسون بأقواله وهذا بلا شك زكاة أيما زكاة لأن الناس يشربون منها وينتفعون .

ومنها أيضاً : **أن يكون صداعاً للحق** ، وهذا من جملة النشر ، ولكن النشر قد يكون في حال السلامة والأمن على النفس ، وقد يكون في حالة الخطر ، فيكون صداعاً بالحق .

ومنها ـ أي من تزكية العلم ـ : **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، لا شك أنه من زكاة العلم ، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو عارف بالمعروف وعارف بالمنكر ، ثم قائم بواجبه نحو هذه المعرفة .

والمعروف : كل ما أمر به الله ورسوله ، **والمنكر** : كل ما نهى الله

ورسوله، موازناً بين المصالح والمضار ، لأنه قد يكون من الحكمة ألا تنهى حسب ما تقتضيه المصلحة ، فالإنسان ينظر إلى المصالح والمضار [١] .

على الداعية أن يستخدم الأسلوب الأنفع

الذي أرى أن من نعمة الله على العباد أن جعلهم يختلفون في الطريق أو الوسيلة في الدعوة إلى الله .

ـ **فهذا رجل واعظ أعطاه الله قدرة على الكلام وتأثيراً** . نقول له الوعظ أحسن لك.

ـ **وهذا رجل أعطاه الله سبحانه وتعالى لينًا ورقة ولطافة** ، ليُربي الناس ، بأن يدخل فيهم من هذه الناحية فنقول هذا الأسلوب أفضل من الأول لا سيما إذا كان لا يحسن أن يتكلم ، لأن بعض الناس داعية ، ولكن لا يحسن أن يتكلم، وفضل الله موزع على عباده ، رفع بعضهم فوق بعض درجات .

والذي أرى أن الإنسان يستعمل الأسلوب الأنفع والأجدر ، وألا يدخل نفسه في شيء يعجز عنه، بل يكون واثقًا من نفسه مستعينًا بالله عز وجل حتى إذا وردت عليه إرادات تخلّص منها [٢] .

---

(١) الصحوة (١٠١ ، ١٠٢) .

(٢) العلم (١٦٦، ١٦٧).

على الداعية تعلم المناظرة

المناظرة والمناقشة تشحذ الفهم وتعطي الإنسان قدرة على المجادلة في الحق مأمور بها كما قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] إذا تمرن الإنسان على المناظرة والمجادلة حصل على خير كثير ، وكم من إنسان جادل بالباطل فغلب صاحب الحق لعدم قدرته على المجادلة .

لكن المجادلة نوعان : مجادلة المماراة ، يماري بذلك السفهاء ، ويجادل الفقهاء ويريد أن ينتصر قوله ، فهذه مذمومة .

والثاني لإثبات الحق وإن كان عليه فهذه محمودة مأمور بها . وعلامة ذلك ـ المجادلة الحقة أن الإنسان إذا بلغه الحق اقتنع به وأعلن الرجوع ، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان الحق، وكان ظاهر الحق مع خصمه يورد إيرادات: قال ولو قال قائل ، ثم تكون سلسلة لا منتهى لها ومثل هذا عليه خطر أن لا يقبل قلبه الحق ، لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ، لكن حتى في خلوته ، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات. قال الله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة : ٤٩] فعليك يا أخي ابتغاء الحق سواء كان بمجادلة غيرك أو بمجادلة نفسك متى تبين قل : سمعنا وأطعنا لهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به النبي ﷺ وما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات أو قول: أرأيت. . أرأيت ولهذا جادل رجل عبد الله بن عمر فقال له : أرأيت ؟! قال له: « اجعل أرأيت في اليمن» لأنه من أهل اليمن .

عندما سأل أهل العراق عن دم البعوضة . وهل يجوز قتل البعوضة ؟ قال: سبحان الله !! أهل العراق يقتلون ابن بنت رسول رسول الله ﷺ ويأتون يسألون عن دم البعوضة !! هذه مجادلة ولا شك [١] .

حكم عقد المناظرات بين الأديان مثلما حدث بين الداعية أحمد ديدات والقس النصراني

المناظرة بين المسلمين والكفار واجبة إذا دعت الحاجة إليها، قال الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ، بذلك: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وما قصة مناظرة إبراهيم للملك الذي حاجه في ربه بخفية ، وما محاجة إبراهيم لقومه بمجهولة لنا ، فإبراهيم حاج قومه كما ذكره الله تعالى محاجته حين قال : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٧٦ ـ ٧٩] .

ولكن يجب أن يكون هذا المناظر على علم بالإسلام وعلى علم بالدين الذي عليه الخصم ليتمكن من إفحام خصمه لأن المجادل يحتاج إلى أمرين أحدهما إثبات دليل قوله والثاني إبطال دليل خصمه ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه وما عليه خصمه ليتمكن من دحض حجته وليبشر دعاة الإسلام أن حجج أهل الباطل داحضة وأن باطلهم هالك كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ

---

(١) شرح كتاب حلية طالب العلم (١٥٨ ـ ١٥٩) .

من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ [الشورى : ١٦] وقال تعالى : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء : ١٨] .

وأنا شاهدت جانبًا من المناظرة التي وقعت بين الداعية الإسلامي أحمد ديدات ، وأعجبني ، وبلغني أنه في النهاية ألقم ذلك القس حجرًا ، وأنه انقطع عن مناظرة الرجل وظهر عجزه ، والحمد لله [١] .

يجب على الداعية أن يصبر نفسه مع أهل الخير

الإنسان ينبغي له أن يكون جلساؤه من أهل الخير الذين يدعون الله صباحًا ومساء يريدون وجه الله ، وألا يهتم بالجلوس مع الأكابر ، والأشراف ، والأمراء، والوزراء ، والحكام ، بل لا ينبغي أن يجلس إلى هؤلاء إلا أن يكون في ذلك مصلحة، فإذا كان في ذلك مصلحة، مثل أن يريد أن يأمرهم بمعروف، أو ينهاهم عن منكر ، أو يبين لهم ما خفي عليهم من حال الأمة فهذا طيب وفيه خير . أما مجرد الأنس بمجالستهم ، ونيل الجاه بأنه جلس مع الأكابر ، أو مع الوزراء أو مع الأمراء . أو مع ولاة الأمور . فهذا غرض لا يحمد عليه العبد . إنما يحمد على الجلوس مع من كان أتقى لله ، من غني وفقير ، وحقير وشريف. المدار كله على رضا الله عز وجل ، وعلى محبة من أحب الله .

وقد ذاق طعم الإيمان من والى من والاه الله ، وعادى من عاداه الله ، وأحب في الله ، وأبغض في الله ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم كذلك ، وأن يهب لنا منه رحمه إنه هو الوهاب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[٢] .

---

(١) الصحوة الإسلامية (١٩٠ ، ١٩١) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٠٦ ـ ١٠٧) .

لا يجوز للداعي إلى الله أن يبقى مع أهل المعصية على معصيتهم

وكثيرًا ما ترد على مسائل يسألون عن .. هل أقاطعهم ؟ هل أكسر الراديو؟ هل أكسر المسجل ؟ هل أكسر التليفزيون ؟ هل أفعل كذا ؟ هل أفعل كذا ؟

فأقول ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ، فإن لم يحصل المقصود حينئذ فلا يجوز لك أبدًا أن تبقى مع أهل المعصية على معصيتهم . لست أقول لا يجوز أن تبقى معهم في دارهم . ولكن أقول لا يجوز أن تبقى معهم على معصيتهم. بل تخرج من الحجرة إلى حجرة أخرى مثلاً. لأن الإنسان الذي يبقى مع أهل المعاصي في معصيتهم هو مشارك لهم فيها ، يقول الله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٠] فعليك أن تصبر وتصابر والذي لا يصلح اليوم يصلح غدًا . وابدأ بالأهون فالأهون في تهذيب أخلاق الأهل ، وأنا واثق بحول الله أن الإنسان إذا صبر وصابر ورابط . إن مآله الفلاح . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

لذا فإني شخصيًا أحث الشباب على الصبر والمصابرة . وأقول له : ما دام بقاؤك يفيد ولو شيئًا بعد شيء فهذا خير ، لأننا كما نعلم البناء أبطأ من الهدم[1].

---

(١) الصحوة (٥٣ ـ ٥٤) .

يجب عليك أن تدعو إلى الله ولا تيأس

يجب على الشَّاب أن يدعوا إلى الله ، وأن يستمر وألاَّ ييأس ، فكم من أناس هداهم الله عز وجل بعد ضلالهم ؟! وكم من أناس أصلحهم الله بعد فسادهم ؟! فليستمر في دعوته إلى الحق ويصبر ، وينتظر فرجه من الله سبحانه وتعالى . فإني أدعو إخواني الشباب الذين منَّ الله عليهم بالهداية أن يحرصوا على أن يستقطبوا ما أمكنهم من الشباب الآخرين ، لأن تأثر الشباب بقرنائهم أكثر من تأثر الشباب بمن هو أكبر منهم .

فأنتم بارك الله فيكم أيها الشباب احرصوا غاية الحرص على أن تستقطبوا أكبر عدد ممكن ليهديه الله سبحانه وتعالى على أيديكم، ولا تحقروا أنفسكم ولا تعجلوا لا تقولوا إنا نريد أن يهتدي المنحرف بين عشية أو ضحاها ، ربما لا يهتدي إلا بعد أسبوع أو شهر أو أكثر ، ولكن المهم أن تصبروا وتصابروا لهداية إخوانكم » [١].

وسئل رحمه الله ؟ هل يجوز للداعية الاستماع إلى الأناشيد الإسلامية؟

الأناشيد الإسلامية كنت سمعتها من قديم وليس فيها شيء ينفر ، وسمعتها أخيرًا فوجدت أنها ملحنة مطربة على سبيل الأغاني المصحوبة بالموسيقى وهي على هذا الوجه لا أرى للإنسان أن يستمع إليها ، أما إذا جاءت عفوية بدون تطريب ولا تلحين ، فإن الاستماع إليها لا بأس به . ولكن بشرط ألا يجعلها

---

(١) الصحوة (١٣٧ ـ ١٣٧) .

الإنسان ديدنًا يستمع إليها دائمًا . وشرط آخر ألا يجعل قلبه لا ينتفع إلا بها ولا يتعظ إلا بها ، لأن كونه يجعلها ديدنًا فإنه يترك ما هو أهم ، وكونه لا يتعظ ولا ينتفع إلا بها يعدل به عن أعظم موعظة وهي ما جاءت في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ فإذا استمع إليها أحيانًا أو أنه كان يقود سيارته في البر ، وأراد أن يستعين بذلك على المشي والسّير فهذا لا بأس به [١].

قول الشيخ رحمه الله في داعية يرى المنكر ويسكت عليه بهدف إصلاحه فيما بعد ؟

قد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله تأخير إنكار المنكر ، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر لا يناسب أن ننكره عليه في هذا الوقت بالذات . لكن سأحتفظ لنفسي بحق الإنكار عليه ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب وهذا في الحقيقة طريق صحيح ، إذا رأى الإنسان من المصلحة أن لا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت أو في هذا المكان ويؤخر دعوته في وقت أو مكان آخر ؛ لأنه يرى أن ذلك أصلح وأنفع فهذا لا بأس به . أما إذا كان يخشى أن يتحقق بعد ذلك أو ينسى فتضيع المصلحة ، فلابد أن يبادر في بيان الحق والدعوة إلى الله ، هذا إذا كان الأمر موجهًا إلى شخص معين .

أما إذا كان يريد أن يتكلم عمومًا ، بأن يكون في مجلس عام رأى قومًا حضروا هذا المجلس على أمر يجب التنبيه عليه فيجب أن يُنبه ولا حرج ، لأنه في هذه الحال لا يفوت الفرصة . ولأنه لو أخر التنبيه لكان من غير الممكن أن يحيط بهؤلاء القوم الحضور فيما بعد [٢].

---

(١) الصحوة (١٢٣) .

(٢) الصحوة (١٢١ ـ ١٢٢) .

لا يجوز للداعية مشاهدة البرامج التي فيها موسيقى ونساء متبرجات

الداعية يجب عليه إذا رأى مثل ذلك أن ينكره . ولا يجلس إليه ، ولا يشاهده، لأن الموسيقى ـ وإن كانت مع الأسف كثرت في زماننا هذا ـ محرمة.

ودليل تحريمها ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث أبى مالك الأشعرى ، أن النبى ﷺ قال « **ليكونن أقوام من أمتى يستحلون الحر ، والحرير ، والخمر ، والمعازف**»[١] .

وكلنا يعلم أن استحلال الحر وهو الفرج أى الزنا ، واستحلال الحرير للرجال ، والخمر ، محرم ، وكذلك المعازف .

قال العلماء : والمعازف كلها التى يعزف بها واستثنوا من ذلك الدفّ ، في أيام العرس أو لقدوم الغائب ونحو ذلك . وأما ما عدا ذلك من آلات اللهو فإنه حرام ، وعلى هذا فمشاهدة الأفلام التعليمية التى تشتمل على هذه الموسيقى محرمة ولا تجوز.

وأما مشاهدة النساء فيها فإن أثارت الشهوة أو حصل بها تمتع بالنظر إليها ، فلا شك أنها محرمة . وأما إذا لم يكن ذلك فهذا محل توقف عندى ولكن كثيرًا من الإخوة يقولون : إن النظر إليها محرم على كل حال [٢] .

---

(١) صحيح أخرجه البخارى (٥٥٩٠) .

(٢) الصحوة (١٢٤) .

يجب على الداعي أن يدعو إلى الله ولو سخر منه الناس

إن الواجب على الداعي أن يدعو ولو سخر منه الناس ، فإن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام ، كان قومه يسخرون منه ، ولكنه يقول : ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ (١)، فيجب عليك أن تدعوهم ولو سخروا منك ، ولكن في رأيي أنك لو دعوت مثل هؤلاء واحدًا فواحدًا لكان أحسن ، يعني تمسك واحدًا منهم منفردًا وتدعوه إلى الله ، وهكذا حتى تفتت جمعهم ولعل هذا يكون من الحكمة»(٢).

* ولا يخفى على الجميع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة هود ، الآية : ٣٨ .

(٢) الصحوة (١٤٣، ١٤٤) .

(٣) سورة المطففين الآيات : ٢٩ ـ ٣٥ .

على الداعية إذا ذكر للناس ما كان محرماً فتح لهم باب الحلال والمباح

والإنسان إذا شعر بأن من خاطبه لا يريد النصح وإنما يريد الانتقاد فإنه لن ينصاع إلى توجيهه ولا إلى دعوته ، لكن إذا جاء وتكلم مع الشخص بالرفق واللين وقال له: إن هذا أمر لا يصلح !

ثم إذا سد عليه الباب الحرام فتح له بابًا آخر حلالاً ، حتى يسير عليه . لحصل بذلك على خير كثير . وهذا الذي قلته كان من توجيه الله سبحانه وتعالى . ومن توجيه النبي ﷺ ومن حالات الرسول ومقاماته . أضرب لكم مثلاً بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة : ١٠٤] فإن الله تعالى لما نهاهم عن كلمة أرشدهم إلى كلمة بدلاً عنها . فقال : ﴿لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ فأنت إذا سددت على الناس بابًا قد حرم الله عليهم الولوج منه ، فافتح لهم باب الحِلّ .

أما النبي ﷺ فإنه سلك هذا المسلك حينما جيء إليه بتمر جيد ، فقال : «**أكلُّ تمر خيبر هكذا ؟**» قالوا : لا ولكننا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين والصاعين بالثلاثة فقال : «**لا تفعل بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيًا**»(١). فأرشدهم النبي ﷺ إلى الطريق الحلال ، إلى أن يبيعوا التمر الرديء بالدراهم ، ويأخذوا بالدراهم تمرًا جيدًا ، فلما سد عليهم الباب الممنوع فتح لهم الباب الجائز . فينبغي للداعية إلى الله عز وجل إذا ذكر للناس ما كان ممنوعًا أن يفتح لهم ما كان مباحًا (٢).

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٢٠١) ومسلم (١٥٩٣) .

(٢) الصحوة (٦١ ـ ٦٢) .

يجب على الداعية التحلي بالتؤدة والحكمة معًا

لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرك ، أن ينظر إلى النتائج ، ويقيس الأمور فقد يكون في تلك الساعة ما يطفي لهيب غيرته فيما صنع ، لكن بالتأني والحكمة سيخمد هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل ، وقد يكون في المستقبل القريب دون البعيد ، **لهذا أحث إخواني الدعاة على استعمال الحكمة والتأني** وهم يعلمون أن الله تعالى قال : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ويعلمون أن الله تعالى قال : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ولو شئنا لضربنا لذلك أمثلة من هدى الرسول ﷺ معلم الخير وأفضل الدعاة وأحكمهم [١] .

يجب على الداعية ألا يقصد بدعوته الانتصار لنفسه

ولكن على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يلاحظ مسألة مهمة ، وهي أن يكون قصده بذلك إصلاح أخيه ، لا الانتقام منه والاستئثار عليه ، لأنه ربما إذا قصد الانتقام منه والاستئثار عليه يُعجب بنفسه وبعمله ، ويحقر أخاه ، وربما يستبعد أن يرحمه الله ، ويقول : هذا بعيد من رحمة الله ، ثم بعد يحبط عمله . كما جاء ذلك في الحديث الذي صح عن النبي ﷺ ، أن رجلاً قال لرجل آخر مسرف على نفسه : « والله لا يغفر الله لفلان » فقال الله عز وجل : **« من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان . وقد غفرتُ له وأبطلت عملك»** [٢] .

فانظر إلى هذا الرجل . تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته ، هلك كل عمله

(١) الصحوة (٣٠) .

(٢) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٢١) .

وسعيه، لأنه حمله إعجابه بنفسه ، واحتقاره لأخيه واستبعاده رحمة الله على أن يقول هذه المقالة ، فحصل بذلك أن أوبقت هذه الكلمة دنياه وآخرته .

فالمهم أنه يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يستحضر هذا المعنى، أن لا يكون قصده الانتصار لنفسه أو الانتقام من أخيه ، بل يكون كالطبيب المخلص الذي قصد دواء هذا المريض . الذي مرض بالمنكر فيعمل على أن يعالجه معالجة تقيه شر هذا المنكر أو ترك واجبًا فيعالجه معالجة تحمله على فعل الواجب . وإذا علم الله من نيته الإخلاص، جعل في سعيه بركة، وهدى به من شاء من عباده ، فحصل على خير كثير ، وحصل منه خير عظيم . والله الموفق[١] .

الاقتصاد في الموعظة

فينبغي للإنسان أن يعظ الناس بالقرآن ، وبالسنة ، وبكلام الأئمة ، وبكل ما يلين القلوب ويوجهها إلى الله عز وجل . فلا تكثر على الناس فتملهم ، وتكره إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم ، لأن النفوس إذا ملت كلّت ، وتعبت ، وسئمت وكرهت الحق وإن كان حقًا ، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة ، ما يكثر عليهم لئلا يملوا ويسأموا ما يقال من الحق[٢] .

فصلاة الجمعة لها خطبتان قبلها ، فيقول النبي ﷺ : « **إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه** »[٣] وهذا وإن كان ظاهرًا في خطبة الجمعة

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٧/ ٧٩) .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (٨٦٩) .

فهو عام أيضًا حتى في الخطب العارضة ، لا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، كلما قصر كان أحسن لوجهين :

الوجه الأول : ألا يمل الناس .

الوجه الثاني : أن يستوعبوا ما قال .

لأن الكلام إذا طال ضيع بعضه بعضًا . فإذا كان قصيرًا مهضومًا مستوعبًا انتفع الناس به ، وكذلك لا يلحقهم الملل (١) .

يجب على الداعية بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره إذا لم يفهم إلا بذلك

ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيّن ، لا يستعجل في إلقاء الكلمات ، ولا يدغم شيئًا في شيء ويكون حقه الإظهار ، بل يكون كلامه فصلاً بينًا واضحًا حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة .

فبعض الناس تجده يسرع في الكلام ويأكل الكلام حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول له : ماذا تقول ؟ فهذا خلاف السنة ، فالسنة أن يكون الكلام بينًا واضحًا يفهمه المخاطب ، وليس من الواجب أن يكون خطابك باللغة الفصحى.

فعليك أن تخاطب الناس بلسانهم ، وليكن كلامك بينًا واضحًا ، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه (٢) .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٧/ ٨٥ ـ ٨٦) .

(٢) **صحيح** : رواه البخاري (٩٤) .

فقوله : « حتى تفهم عنه » يدل على أنها إذا فهمت بدون تكرار فإنه لا يكررها. وهذا هو الواقع فإن الرسول عليه الصلاة والسلام نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبة وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك ، لكن إذا لم يفهم الإنسان ؛ بأن كان لا يعرف المعنى جيدًا فكرر عليه حتى يفهم . أو كان سمعه ثقيلاً لا يسمع ، أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع ، فهنا يستحب أن تكرر حتى يفهم عنك ، وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلاً بحيث يخفى على السامع ، لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب ، وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن .

ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة ، يعني إذا جعل كلامه فصلاً بينًا واضحًا . وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم ، ينبغي أن يستشعر في هذا أنه متبع لرسول الله ﷺ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم .

وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول الله ﷺ حتى يتحقق لك الاتباع [1] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٧/ ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢) .

يجب على الداعية أن يقترب بدعوته من أهل الكفر والفسوق

لا ينبغي لنا أن نبتعد عن أهل الكفر والفسوق ، وأن ندعهم للشياطين تلعب بهم، بل نؤلفهم ، ونجذبهم إلينا بالمال واللين وحسن الخلق حتى يألفوا الإسلام، فها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يعطي الكفار ، يُعطيهم حتى من الفيء.

بل إن الله جعل لهم حظًا من الزكاة ، نعطيهم لنؤلفهم على الإسلام . حتى يدخلوا في دين الله ، والإنسان قد يسلم للدنيا ، ولكن إذا ذاق طعم الإسلام رغب فيه، حتى يكون أحب شيء إليه وإذا كان هذا دأب الإسلام فيمن يعطي على الإسلام ويؤلف ، **فإنه ينبغي لنا أن ننظر إلى هذه نظرة جدية** ، فنعطي من كان كافرًا إذا وجدنا فيه قربًا من الإسلام ، ونهاديه ونحسن له الخلق. فإذا اهتدى فلئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم .

وهكذا أيضًا الفساق هادهم ، انصحهم باللين ، وبالتي هي أحسن ، ولا تقل . أنا أبغضهم لله ، أبغضهم لله وادعهم إلى الله ، بغضك إياهم لله لا يمنعك أن تدعوهم إلى الله بل ادعهم إلى الله عز وجل ، وإن كنت تكرههم ، فلعلهم يكونون من أحبابك في الله يومًا من الأيام [1] .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ٦٨ ـ ٦٩) .

يجب على الداعية أن يكون حسن السياسة مع الناس

وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة ، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو وسئل معاوية رضي الله عنه بم سست الناس ؟ وذلك لأن معاوية معروف بالسياسة والحكمة، فقال : **أجعل بيني وبين الناس شعرة ، إن جذبوها تبعتهم ، وإن جذبتها تبعوني لكن لا تنقطع.**

ومعنى كلامه أنه سهل الانقياد ، لأن الشعرة إذا جعلتها بينك وبين صاحبك إذا جذبها أدنى جذب انقطعت ، لكن من حُسن سياسته رضي الله عنه كان يسوس الناس بهذه السياسة ، إذا رآهم مقبلين استقبلهم ، وإذا رآهم مدبرين تبعهم حتى يتمكن منهم.

فهكذا ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا في سياسته رفيقًا حليمًا ، كما كان النبي ﷺ هكذا ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الآداب والأخلاق [١] .

ومن صفات الداعية الغضب لله عز وجل

من أسباب الغضب : الغضب لله عز وجل بأن يرى الإنسان شخصًا ينتهك حرمات الله فيغضب غيرة لدين الله وحمية لدين الله فإن هذا محمود ويثاب الإنسان عليه. لأن الرسول ﷺ كان هذا من سنته ، ولأنه داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج : ٣٠] ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج : ٣٢] فتعظيم شعائر الله وتعظيم حرمات الله أن يجدها الإنسان عظيمة، وأن يجد امتهانها عظيمًا فيغضب ويثأر لذلك ، حتى يفعل ما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك [٢].

(١ ، ٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٢٢) .

يجب على الداعية أن يتأسى بالأنبياء في الدعوة إلى الله

والأنبياء كلفهم الله بالرسالة لأنهم أهل لها كما قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فهم أهل لها في التحمل والتبليغ والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك . كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يؤذون بالقول وبالفعل وربما بلغ الأمر إلى قتلهم . وقد بين الله ذلك في كتابه حيث قال لنبيه ﷺ ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ [الأنعام : ٣٤ ، ٣٥] أي: إن استطعت أن تفعل ذلك فافعل ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ ولكن الحكمة اقتضت أن يكذبوك حتى يتبين الحق من الباطل بعد المصارعة والمجادلة ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ .

حكى نبينا ﷺ عن نبي من الأنبياء أن قومه ضربوه ولم يضربوه إلا حين كذبوه حتى أدموا وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » هذا غاية ما يكون من الصبر لأن الإنسان لو ضرب على شيء من الدنيا لاستشاط غضبًا ، وانتقم عن ضربه . وهذا يدعو إلى الله، ولا يتخذ على دعوته أجرًا ، فهذا النبي يضربونه حتى يدموا وجهه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: « **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** » وهذا الذي حدثنا به الرسول ﷺ لم يحدثنا به عبثا أو لأجل أن يقطع الوقت علينا بالحديث وإنما حدثنا بذلك من أجل أن نتخذ به عبرة نسير علينا كما قال سبحانه : ﴿لَقَدْ

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ العبرة من هذا أن نصبر على ما نؤذى به من قولٍ أو فعلٍ في سبيل الدعوة إلى الله، وأن نقول متمثلين :

هَلْ أنتِ إلاَّ إصبعُ دَميتِ وفي سَبيلِ الله مَا لَقِيتِ [١]

وأن نصبر على ما يصيبنا مما نسمعه أو ينقل إلينا مما يقال فينا بسبب الدعوة إلى الله.

وأن نرى أن هذا رفعة لدرجاتنا وتكفير لسيئاتنا فعسى أن يكون في دعوتنا خلل من نقص في الإخلاص أو من كيفية الدعوة وطريقها فيكون هذا الأذى الذي نسمع يكون كفارة لما وقع منا لأن الإنسان مهما عمل فهو ناقص لا يمكن أن يكمل عمله أبدًا إلا أن يشاء الله فإذا أصيب وأوذي في سبيل الدعوة إلى الله فإن هذا من باب تكميل دعوته ورفعه لدرجته فليصبر وليحتسب ولا ينكص على عقبيه لا يقول لست بملزم أنا أصابني الأذى أنا تعبت بل الواجب الصبر ، الدنيا ليست طويلة ! أيام ثم تزول . فصبر حتى يأتي الله بأمره [٢].

---

(١) قال ذلك الكلام النبي ﷺ حين أدميت أصبعه في بعض المشاهد، انظر البخاري (٢٨٠٢) و مسلم (١٧٩٦).

(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢) .

على الداعية أن يكون محسنًا في دعوته

أولاً : في المعاملة :

أمـا الإحســان إلى عــباد الله : فــأن نعــاملهم بما هو أحــسن ، في الكلام والأفعــال والبذل ، وكف الأذى وغــير ذلك ، حتــى في القول فإنك تعــاملهم بالأحسن ، قال الله تعالى : ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ يعني إذا لم تفعلوا فتردوا بأحسن منها ، فلا أقل من أن تردوها ، ولهذا قال كثير من العلمــاء : إذا قال المسلم : الســلامُ عليكم ورحــمة الله ، قل : الســلام عليكم ورحمة الله هذا أدنى شيء، فإن زدت : « وبركــاته » فهو أفضل ، لأن الله قال ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ ، فبــدأ بالأحسن ثــم قال : ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ كــذلك إذا سلم عليك إنسان بصوت واضح بين ، ترد عليه بصوت واضح بين ، على الأقل ، كثير من الناس أو بعض النــاس إذا سلمت عليــه رد الســلام بأنفــه ، حــتى إنك تكاد لا تسمعه في رد الســلام ، وهذا غلط ، لأن هذا خلاف ما سلم عليك به ، يسلم عليك بصوت واضح ثم ترد بأنفك !! هذا خلاف ما أمر الله به .

ثانياً : في الفعل :

كذلك الإحسان بالفــعل مثل معونة الناس ، ومساعــدتهم في أمورهم كلما ساعدت إنسانًا فقد أحسنت إليه ، مــساعدة بالمال ، بالصدق ، بالهدية ، بالهبة وما أشبه ذلك هذا من الإحســان .

ثالثا : النصح والإرشاد :

ومن الإحسان أيضا : أنك إذا رأيت أخاك على ذنب أن تبين له ذلك وتنهاه

عنه، لأن هذا من أعظم الإحسان إليه ، قال النبي ﷺ : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » قالوا : يا رسول الله ، هذا المظلوم فكيف ننصر الظالم ؟ قال : « **أن تمنعه من الظلم** »(١) فإن منعك إياه من الظلم نصر وإحسان إليه ، والمهم أنه ينبغي لك في معاملة الناس أن تستحضر هذه الآية ، ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ فتحسن إليهم بقدر ما تستطيع (٢) .

من حكمة الله ـ عز وجل ـ أنه لم يبعث نبياً بدعوته إلا جعل له أعداء من الإنس والجن

وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر ، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضاً لأتباعهم فكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاؤوا به بأمرين :

الأول : التشكيك .

الثاني : العدوان .

أما التشكيك : فقال الله تعالى في مقابلته : ﴿ **وكفى بربك هاديا** ﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٦ ، ١٧) .

وأما العدوان : فقال الله تعالى في مقابلته : ﴿ وَنَصِيراً ﴾ لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء .

فالله تعالى يهدى الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء ، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق فإن الحق كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذى سنة الرحمن

فلا يجوز لنا أن نيأس بل علينا أن نطيل النفس وأن ننتظر وستكون العاقبة للمتقين ، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في اتجاهها ، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة (١) .

مجاهدة الدعاة للناس تكون بأمرين

جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين :

الأول : الحجة والبيان ، وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين فهؤلاء يجاهدون بالحجة والبيان .

الثاني : من يجاهد بالسيف والسنان ، وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخلص المعلنون بكفرهم وفي هذا والذي قبله يقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخلص المعلنين لكفرهم أولاً ، ثم

---

(١) مجموع الفتاوي (٧/ ٤٧ ـ ٤٨).

يجاهدون بالسيف والسنان ثانياً ، ولا يجاهدون بالسيف إلا بعد قيام الحجة عليهم .

والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه ، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية ، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا ، بل يهاجموا إذا أمكن ، بمثل ما يحاربون به الإسلام والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة(١) .

لا ينبغي للداعية أن يحجب نفسه عن أمور الناس

لا ينبغي للإنسان المسؤول عن حوائج المسلمين أن يجعل على بيته بوابًا يمنع الناس إلا إذا كان الإنسان يخشى من كثرة الناس وإرهاق الناس وإشغال الناس عن شيء يمكن أن يتداركوا شغلهم في وقت آخر فلهذا لا بأس به .

وما جعل الاستئذان إلا من أجل النظر كما في الحديث (٢) وإلا من أجل أن الإنسان يتصرف في بيته في إدخال من شاء ومنع من شاء (٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١) .

(٢) يشير إلى حديث صحيح رواه البخاري (٦٩٠١) ومسلم (٢١٥٦) .

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ١٦٩) .

على الداعية أن لا يخاف في الله لومة لائم

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾(١)

﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ أي : يخوفكم أنتم أولياءه ، أي : يلقى في قلوبكم الخوف من أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

فالشيطان يأتي إلى المؤمن يقول احذر أن تتكلم في فلان لأنه ربما يسجنك وربما يفعل كذا وكذا فيخوفك ولكن المؤمن لا يمكن أن يخاف أولياء الشيطان لأن الله قال: ﴿ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٢) بالنسبة للحق .

فعلى الإنسان أن لا يخاف في الله لومة لائم وأن لا يخاف إلا الله .

ولكن يجب أن يكون سيره على هدى من الله عز وجل ! فإذا كان سيره على هدى من الله فلا يخافن أحداً (٣) .

ويجب على الداعي هجرة العاصي إن كان في هجره فائدة

فالعاصي قد تجب هجرته أحيانًا ، قال أهل العلم : مثل الرجل المجاهر بالمعصية الذي لا يبالي بها فإنه يشرع هجره إذا كان في هجره فائدة ومصلحة .

والمصلحة والفائدة أنه إذا هُجر عَرَفَ قدر نفسه ورجع عن المعصية .

ومثال ذلك : رجل معروف بالفسق بالبيع والشراء فيهجره الناس فإذا هجروه

---

(١) آل عمران ، الآية : (١٧٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية : (٧٦) .

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٠٢) .

تاب من هذا ورجع وندم ، ورجل ثان يتعامل بالربا فيهجره الناس ولا يُسلمون عليه ولا يكلمونه فإذا عرف هذا خجل من نفسه وعاد إلى صوابه .

أما إذا كان الهجر لا يفيد ولا ينفع وهو من أجل معصية لا من أجل كفر ، لأن الكافر المرتد يُهجر على كل حال - أفاد أم لم يفد - لكن صاحب المعصية التي دون الكفر إذا لم يكن في هجره مصلحة فإنه لا يحل هجره لأن الرسول ﷺ قال : «**لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» [1] ومن المعلوم أن المعاصي التي دون الكفر عند أهل السنة والجماعة لا تخرج من الإيمان .

فيبقى النظر هل الهجر يفيد أم لا ، فإن أفاد فإنه يهجر ودليل ذلك قصة كعب بن مالك . وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبي ﷺ وأمر المسلمين بهجرهم لكنهم انتفعوا في ذلك انتفاعًا عظيمًا، ولجؤوا إلى الله وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا الله فتابوا وتاب الله عليهم[2][3].

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٠٧٧) و(٦٢٣٧) وعند مسلم برقم (٢٥٦٠) .

(٢) إشارة لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨].
وإشارة إلى حديث كعب بن مالك في قصة تخلفه عن غزوة تبوك وهو حديث صحيح طويل أخرجه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤) .

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ٢٠ ، ٢١) .

يجب على الداعية أن يتصف بفقه في صبره

فالواجب على الداعي أن يقابل ما يحصل من أذية الكفار بالصبر والاحتساب وانتظار الفرج ، ولا يظن الأمر ينتهي بسرعة وينتهي بسهولة، قد يبتلى الله عز وجل المؤمنين بالكفار يؤذونهم وربما يقتلونهم كما قتلوا الأنبياء، اليهود من بني إسرائيل قتلوا الأنبياء الذين هم أعظم من الدعاة وأعظم من المسلمين .

لذلك يجب على الداعي أن يصبر ولينتظر الفرج ولا يمل ولا يضجر بل يبقى راسيًا كالصخرة والعاقبة للمتقين والله تعالى مع الصابرين فإذا صبر وثابر وسلك الطرق توصل إلى المقصود ولكن بدون فوضى وبدون استنفار وبدون إثارة بطريق منظمة لأن أعداء المسلمين من المنافقين والكفار يمشون على خُطى ثابتة منظمة ويحصلون مقصودهم.

أما السطحيون الذين تأخذهم العواطف حتى يثوروا ويستنفروا فإنه قد يفوتهم شيء كثير وربما حصل منهم زلة تفسد كل ما بنو إن كانوا قد بنوا شيئًا .

لكن المؤمن يصبر ويتئد ويعمل بتؤده ويوطن نفسه ويخطط تخطيطًا منظمًا يقضي به على أعداء الله من المنافقين والكفار ويفوت عليهم الفرص لأنهم يتربصون الدوائر بأهل الخير يريدون أن يثيروهم حتى إن حصل من بعضهم ما يحصل حينئذ استعلوا عليهم وقالوا: هذا الذي نريد وحصل بذلك شر كبير .

فالرسول عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه اصبروا فالمؤمن فيمن كان قبلكم ـ وأنتم أحق بالصبر منه ـ كان يعمل به هذا العمل ويصبر فأنتم يا أمة الصبر والإحسان فاصبروا حتى يأتي الله بأمره والعاقبة للمتقين .

فأنت أيها الإنسان لا تسكت عن الشر ولكن اعمل بنظام وبتخطيط وبحسن تصرف وانتظر الفرج من الله ولا تمل فالدرب طويل لاسيما إذا كنت في أول الفتنة ، فإن القائمين بها سوف يحاولون ما استطاعوا أن يصلوا إلى قمة ما يريدون فاقطع عليهم السبيل وكن أطول منهم نفسًا وأشد منهم مكرًا فإن هؤلاء الأعداء يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (١) .

فأقول لا تستغرب إذا سمعت أحدًا يسب العلماء . وهذا رسول الله ﷺ قيل فيه ما قيل ، فاصبر ، واحتسب الأجر من الله عز وجل واعلم أن العاقبة للتقوى.

ما دام الإنسان في تقوى وعلى نور من الله عز وجل فإن العاقبة له .

كذلك يوجد بعض الناس يكون له صديق أو قريب يخطيء مرة واحدة فيصفه بالغيب والسب والشتم في خطيئة واحدة على هذا الذي وصف بالعيب أن يصبر وأن يعلم أن الأنبياء قد سُبوا وأوذوا وكذبوا وقيل إنهم مجانين وإنهم شعراء وإنهم كهنة وإنهم سحرة ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (٢) هكذا يقول الله عز وجل .

وهكذا ينبغي لنا نحن أن نقتدي بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الصبر على الأذى وأن نحتسب الأجر على الله وأن نعلم أن هذا زيادة في درجاتنا مع الاحتساب وتكفير لسيئاتنا والله الموفق (٣) .

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣) .

(٢) سورة الأنعام : الآية : (٣٤) .

(٣) شرح رياض الصالحين (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧) .

الداعية الفقيه

هذا صحيح . . الفقيه حقـيقة هو الذي يستنبط الأحكام من النصوص وينزل الأحكام عليها ، وليس من يقرأ النصوص .

من يقـرأ النصوص فـهو كنسـخة من الكتـاب ، لكن من يشقق النـصوص وينزل الوقـائع عليها ، كـالبلاغي . . . وهل البـلاغي هو من يبين لك البـلاغة وأقسامها ، والفصاحة وأقسـامها؟ أم من يكون كلامه بليغًا ؟ . . . الثاني ، من يكون كلامه بليغًا فهو البلاغي ، حتى ولو لم يكن يعرف من البلاغة شيئًا .

ولهـذا ينبغـي للإنسان أن يطبـق المعلومات على الـواقع . بمعنى : أنه إذا نزلت نازلة يعرف كـيف يتصرف في النصوص حـتى يعرف الحكم ، وإذا عرف شيـئًا يمرن نفسه على أن يطبق هذا في حياته القولية والفعلية [١].

على الداعية تقديم فقه الدين على فقه الواقع

هناك فقه ثالث ظهر ، وهو فقه الواقع الذي علق عليه بعض الناس العلم ، وقالوا : من لم يكن فقيهـا للواقع فليس بعالم ، ونسوا أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** »[٢] ثم غفلوا عن كون الإنسان يشتغل بفقه الواقع أن ذلك يشـغله عن فقـه الدين ، بل ربما يشغله عن الاشـتغـال بالتعـبد الصحيح ، عـبادة الله وحده وانصراف القلب إلى الله والتـفكر في آياته الكونية والشرعية ، والحقيقة أن انشغـال الشباب بفقه الواقع صد لهم عن الفقه في دين الله ؛ لأن القلب إذا امتلأ بشيء امتنع عن الآخر .

---

(١) شرح حلية طالب العلم (١٣٧) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧) .

فانشغال الإنسان بالفقه في الدين وتحقيق العبادة والدين والإخلاص خير له من البحث عن الواقع ، وماذا فعل فلان ؟ وماذا فعل فلان ؟ وربما يتلقون فقه الواقع من روايات ضعيفة أو موضوعة في وسائل الإعلام المسموعة أو المقروءة أو المرئية أو يبنون ما يظنونه فقه واقع على تقديرات وتخمينات يقدرها الإنسان ، ثم يقول هذا فعل لهذا، ويعلل بتعليلات قد تكون بعيدة عن الواقع ، أو ينظر إلى أشياء خطط لها أعداؤنا من قبل على واقع معين ، تغير الواقع وزال بالكلية فبقيت هذه الخطط لا شيء.

والمهم أن فقه النفس ، الذي هو صلاح القلب والعقيدة السليمة ومحبة الخير للمسلمين وما أشبه ذلك هذا ينبني عليه فقه البدن : معرفة هذا القول حلال أم حرام؟ هذا الفعل حلال أم حرام ؟[1] .

فضل حسن الخلق والمنطق في الدعوة

وحسن الخلق لا شك أن له تأثيرًا عظيمًا في استجابة الناس للداعي ، أما إذا رأوا الإنسان خشنًا ، فإنهم يسبونه ويذمونه على ما فيه من الأخلاق الشرعية : تجدهم : تجدهم مثلاً يسبونه على لحيته، واللحية أخلاق شرعية ، ويسبونه على تقصير الثوب ، يسبونه على المشي حافيًا . لماذا؟ لأنه ليس حسن الأخلاق مع الناس ، لا يدعو بالأخلاق ، إنما يدعو بالجفاء والغلظة ، ويريد أن يصلح الناس كلهم في ساعة واحدة ، هذا خطأ لا يمكن أن يصلح الناس في ساعة واحدة أبدًا . أليس النبي ﷺ قد بقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس ؟ وفي النهاية أخرج من مكة حين تآمروا عليه ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ

---

(١) العلم (١٢٩، ١٣٠) .

﴿يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ﴾ يثبتوك ـ يعني ـ يحبسونك أو يقتلوك ، أو يخرجوك: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال : ٣٠] فلا يمكن أن تصلح الخلق بمجرد دعوة أو دعوتين ، لاسيما إذا لم تكن ذا قيمة بينهم ، لكن اصبر ، وأطل النفس ، وادع بالحكمة ، وأحسن الخلق وسيتبين لك الأمر فيما بعد.

ولاشك أن حسن المنطق له تأثير عظيم بالغ ، ويُحكى أن رجلاً من أهل الحسبة مَرَّ على فلاح يسقى إبله ، وكان في أذان المغرب، وكان هذا الفلاح يغني، لأن الإبل إذا سمعت الغناء تمشي كأنها مجنونة ، لأنها تطرب فكان يغني غافلاً ، ولا يسمع الآذان ، فتكلم عليه رجل الحسبة بكلام شديد ، فقال له ـ أي صاحب الإبل: سوف أغني وأستمر في الغناء ، وإذا ما ذهبت فالعصا لمن عصا ، يقول هذا الكلام بسبب أنه جاءه بعنف ، فذهب صاحب الحسبة إلى الشيخ القاضي ، وقال له : أنا ذهبت لفلان وسمعته يغني على إبله ، والمؤذن يؤذن المغرب ، ونصحته فلم يستجب فلما كان من الغد ذهب الشيخ القاضي إلى مكان صاحب الإبل في الوقت نفسه ، فلما أذن جاء الفلاح وقال له : يا أخي أذَّن المؤذن فعليك أن تذهب ، وتصلي فإن الله يقول : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ فقال صاحب الإبل جزاك الله خيرًا ووضع العصا التي يسوق بها الإبل ، وتوضأ ومشى معه ، وماذا حصل ؟ حصل المقصود ، أما الأول لو تمادى معه لحصل الشر وترك الخير ، ولكن الثاني أتاه بالتي هي أحسن فانقاد تمامًا ، فلذلك أقول : إن بعض طلبة العلم يكون عندهم غيرة ، لكن لا يحسنون التصرف ، والواجب أن الإنسان يكون في تصرفاته على علم وبصيرة وعلى قدر كبير من الحكمة. نسأل الله للجميع التوفيق ، والحمد لله رب العالمين [١] .

---

(١) العلم (٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦) .

الواجب على الداعية أن يكون قدوة

الواجب على الداعيـة الذي يدعـو إلى الله أن يكون قدوة صـالحـة للذين يدعوهم. فإذا أمر بالمعـروف فليكن أول فاعل له وإذا نهى عن منكر فليكن أول تارك له . ولكن قد يدعو الإنسان إلى شيء من الخير ويرى أن يفعل ما هو خير منه ، ولكن إذا كان لا يشـتغل عن هذا الخير الذي دعا إليـه بشيء أفضل منه . فليحذر أن يكون كمن قال الله فيهم : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ٤٤] أو أن يكون كالرجل الذي : « يلقى في النار حتى تندلق أقتاب بطنه يعني أمعاؤه ـ والعياذ بالله ـ فيدور كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع عليه أهل النار ، فيـقولون: مالك ألست كنت تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (١) نسأل الله العافية (٢) .

فـما ظنكـم برجل يحذر من المعـامـلات الربوية ويقـول لمن يأكل الربا إنك محارب لله ورسوله . . . وهذا الداعية يعظ الناس ، ويذكرهم ويخوفهم بالله ثم يذهب يتعامل بالربا !!

هل هذا من أخلاق الداعية ؟! أبدًا !!

وهذا رجل آخر يحذر الناس من ترك الجماعة ، ويأمر بالصلاة مع الجماعة، ثم نجـده هو نفســه يتخلف عـن صلاة العـشاء والفـجر . هل هذا من أخـلاق الداعية؟! أبدا.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري من حديث أسامة بن زيد برقم (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) .

(٢) الصحوة (١٢٨) .

ورجل ثالث يقول : يا عباد الله ! إياكم والغيبة فإن الغيبة من كبائر الذنوب وقد شبه الله المغتاب برجل يأكل لحم أخيه وهو ميت ، ويحذر غاية التحذير من الغيبة، ولكنه يحب في مجالسه غيبة الناس فاكهة له !! هذا ليس من أخلاق الداعية .

ورجل رابع يحذر الناس من النميمة فيحذر ويقول: إن النميمة من أسباب عذاب القبر . . . ولكنه مع ذلك يسعى بين الناس بالإفساد والنميمة ، ولا يبالي بذلك!!!

هل هذا من أخلاق الداعية ؟! .. أبدًا !!

أيها الإخوة . . إننا إذا نظرنا إلى أحوالنا وجدنا أننا في الواقع قد ندعو إلى شيء ولكننا لا نقوم به ! وهذا لا شك أنه خلل كبير ، اللهم إلا أن يحول بيننا وبينه النظر إلى ما هو أصلح . . كما لو قام رجل يدعو للجهاد في سبيل الله ويحث الناس عليه ، ويرغبهم فيه بالمال والبدن بقدر الطاقة لكنه يشتغل بمصالح أهم فإنه في هذه الحال لا يقال . إنه لم يتحل بما دعا إليه . لنفرض أن الرجل يدعو إلى الجهاد في سبيل الله ، ولكن البلد الذي هو فيه محتاج إلى العلم الشرعي ونشره بين الناس ، فهذا قد يكون جهاده بالعلم والبيان أفضل من جهاده بالرمح والسنان ، لأن لكل مقام مقالاً ، فالشيء الفاضل قد يكون مفضولاً . لأمور تجعل المفضول راجحًا ، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يدعو إلى بعض الخصال ، ولكن يشتغل أحيانًا بما هو أهم منها ، وربما يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم[1].

---

(١) الصحوة (٥٧ ـ ٥٨) .

ترك الجدال والمراء

هذا من أهم ما يكون ، أن الإنسان يكون على طريقة السلف الصالح في جميع أبواب الدين من التوحيد والعبادات والمعاملات وغيرها . كذلك يترك الجدال والمراء لأن الجدال والمراء هو الباب الذي يقفل طريق الصواب ، فإن الجدال والمراء يحمل المرء على أن يتكلم وينتصر لنفسه فقط ، حتى لو بان له الحق تجده إما أن ينكره ، وإما أن يؤوله على وجه مستكره انتصارًا لنفسه وإرغامًا لخصمه على الأخذ بقوله ، فإذا رأيت من أخيك جدالاً ومراء ، بحيث يكون الحق واضحًا ولكنه لم يتبعه ففر منه فرارك من الأسد وقل : ليس عندي إلا هذا، اتركه. وكذلك الخوض في علم الكلام مضيعة للوقت ، لأنه يخوض في أشياء من أوضح الأشياء . . .

فإذا من المهم لطالب العلم أن يترك الجدال والمراء ، وأن يترك ما يرد على ذهنه من الإيرادات ، اترك هذه الأشياء ، لا تتنطع واجعل علمك سهلاً ميسرًا يعني الأعرابي يأتي ببعيره يسأل النبي ﷺ عن مسائل الدين . ثم ينصرف بدون مشقة ، لأنه ليس عنده إلا التصديق أما المناقشات والمراء والجدال . فهذا يضر الإنسان [1] .

---

(١) شرح الحلية (١٦ ـ ١٧) .

يجب على الداعية أن يكون قويا في دعوته

ولكن الذي ينبغي للإنسان أن يكون قويًا في دعوته ، وينزل هذه القوة بحسب ما يليق بالحال ، وإلا فإن كل واحد من الناس يجب أن يأخذ كتاب الله بقوة كما قال عن بني إسرائيل ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بل إن الله تعالى فتق الجبل ليلزمهم بذلك ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ .

فلابد أن يكون الإنسان قويًا ، لكن الدعوة قد تستوجب أحيانًا أن يكون الإنسان متواضعًا لهذا الرجل من إيصال الحق إليه وقوله له [1] .

على الداعية أن يعرف ما عند أعدائه من علوم وشبهات من أجل أن يرد عليهم

يعني أن أعداء الرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قد يكون عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونها « حججا » يلبسون بها على الناس فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى : ﴿ **فلما جاءتهم رسلنا بالبينات فرحوا بما عندهم من الحق وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون** ﴾ ، وهذا الفرح مذموم ؛ لأنه فرح بغير ما يرضي الله فيكون من الفرح المذموم .

فينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن ترد عليهم بسلاحهم وهذا من هدي النبي - ﷺ - ولهذا لما بعث معاذا إلى اليمن قال له :

(١) الصحوة (٩٧) .

«**إنك تأتي قوما أهل كتاب** » وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاؤوا به[١] .

إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتباً وعلوماً وحججاً يلبسون بها الحق بالباطل فعليك أن تستعد لهم ، والاستعداد لهم يكون بأمرين :

أحدهما : بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء وباطلهم .

الثاني : أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به ، ولهذا قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كتابه « درء تعارض النقل والعقل » قال : « إنه ما من إنسان يأتي بحجة يحتج بها على باطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له » .

وهذا الأمر كما قال ـ رحمه الله ـ فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله فإنها تكون حجة عليه وليست حجة له ، **فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد من أن يلاحظ هذين الأمرين :**

الأمر الأول : أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به .

الأمر الثاني: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يرد بها على هؤلاء[٢] .

---

(١) مت لي

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨).

على الداعية أن يدعو الله عز وجل في المكان الذي تكون فيه المصلحة أكثر

الذي أرى أنه إذا طلب من الإنسان أن يدعو إلى الله عز وجل في مكان تكون فيه المصلحة أكثر ، والنفع أعم ، فإنه لا ينبغي له أن يحجم عنه ، بل الذي ينبغي عليه أن يتقدم ، وأن يرى أن ذلك من نعمة الله عليه . لأن هذه الوسائل إن لم تملأ بالخير ملئت بضده ، فأرى أنه من التعاون والتناصح أن يقدم الإنسان ويلبي الدعوة إذا طلب إلى المشاركة في هذه المؤسسات (١) (٢) .

على الداعي أن يجمع بين إنكار المنكر وصلة الرحم والدعوة إلى الله

الإنسان الحكيم يستطيع أن يجمع بين إنكار المنكر وصلة الرحم والدعوة إلى الله بالرفق ، فينكر تارة ويسكت عن بعض الأشياء التي يمكن أن تحتمل في سبيل الله ما هو خير ، ولنفرض مثلاً أن رجلاً من الناس عنده والد يفعل بعض المنكرات ، يستطيع هذا الرجل أن يبدأ بوالده فيجامله بأن يقضي حوائجه ويساعده على أموره المباحة ، ومع ذلك يذكر له بعض الشيء يقول مثلاً : إن الإنسان إذا فعل كذا وكذا فإنه ينقص إيمانه وربما يعاقب في الدنيا قبل الآخرة ، فربما ينتبه الوالد ويعرف أنه هو المقصود ، ويحب ولده على هذا الرفق وعلى هذا التعريض دون التصريح ، فيهديه الله عز وجل .

---

(١) الصحوة (١٢٠) .

(٢) يقصد الشيخ رحمه الله المؤسسات الإعلامية .

وسئل رحمه الله : ما هي الكتب التي يمكن للداعية أن يتزود منها بعد كتاب الله عز وجل ؟

إن أفضل ما يعتني الإنسان به كتاب الله عز وجل قراءة وتعلمًا وعملاً ، ثم بعد ذلك ما صح من سنة الرسول ﷺ وما كتبه أهل العلم عليها من الشروح كفتح الباري، ونيل الأوطار ، وسبل السلام ، وما أشبهها .

ثم بعد هذا ما كتبه أهل العلم الموثقون مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وغيرهم من أهل العلم الذين لا يحصون كثرة ممن عرفوا بغزارة العلم وقوة الخشية لله تعالى فالإنسان يتدرج في التعلم فيبدأ بالأهم فالأهم [(١)] .

نشاط الداعي في دعوته

ولا ينبغي للإنسان أن يلقى العلم بين الطلبة ولا بين عامة الناس إلا وهم متشوقون له حتى يكون كالغيث أصاب أرضًا يابسة فقبلته ، أما أن يكره أو يفرض نفسه فهذا أمر لا ينبغي ، أولاً لأن الفائدة تكون قليلة ، وثانيًا ربما يقع في قلب السامع الذي أكره على إلقاء هذه الكلمة مثلاً يقع في قلبه كراهة إما للشخص وإما لما يلقيه الشخص ، وكلا الأمرين مُرٌّ ، وأَمَرُّهُمَا أن يكره ما يلقيه الشخص .

على كل حال متى رأيت الناس متشوقين للكلام . وإذا رأيت الأمر لا

---

(١) الصحوة (١١١) .

يتناسب فلا تتكلم لا تثقل على الناس ، وهذا قد مر معنا في البخاري في حديث ابن عباس: إنك لا تلقى على القوم الحديث إلا وأنت تعلم أنهم يحبون ذلك وإلا فلا تلقه عليهم. وهنا يسوق كلام الخطيب[١] . وهذا صحيح : إلقاء المتكلم نشاطه على قدر فهم المستمع ، وشتاته على قدر انتباه المستمع ، لأن الفهم مرتبة وراء الانتباه، ينتبه الإنسان أولاً ثم يفهم [٢] .

ما الفرق بين النفاق والرياء ؟ وأيهما أضر على المسلم الداعية ؟ [٣]

ـ كلاهما سيئ ، النفاق والرياء ؛ **ولكن النفاق أشد وأخبث ، لأن النفاق** : أن يظهر الإنسان الخير وهو يبطن الشر ، سواء كان ذلك عقديا أو عمليا لكن النفاق العقدي مخرج عن الملة ـ والعياذ بالله ـ والنفاق العملي قد يخرج من الملة وقد لا يخرج .

أما الرياء : فإن الإنسان يعمل عملاً صالحا لله عز وجل ، لكنه يرائي به ، يحسنه أو يكون به أقوى من أجل أن يمدحه الناس على ذلك ، هو يريد الخير ولكنه لاحظ ثناء الناس عليه فأحسن العمل من أجل ذلك ، وبهذا تبين أن النفاق أسوأ .

على أن الرياء سمة من سمات المنافقين قال الله تعالى فيهم: ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : [النساء : ١٤٢]

---

(١) يقصد بقوله : [يسوق كلام الخطيب] أي : الشيخ بكر أبو زيد في كتابه حلية طالب العلم.

(٢) شرح حلية طالب العلم (٨٩) .

(٣) الصحوة:(٩٥ ـ ٩٦).

ما معنى أن يكون الفقيه متوقفا تجاه فتوى معينة ؟

ـ معنى كون الفقيه متوقفا في مسألة من المسائل يعني كأن السائل يريد ، ما منشأ هذا التوقف ؟

ـ منشأ هذا التوقف أحياناً يكون لتعارض الأدلة عند المفتي ، بأن تكون الأدلة متجاذبة بعضها مثلاً يوجب أو بعضها يحرم أو بعضها يحلل والآخر بخلاف ذلك فيتوقف المفتى عن الفتوى هذا جانب .

ـ **الجانب الآخر** أن يتوقف في الفتوى لا لتشابه الأدلة عنده ، ولكن لتطبيق الدليل على الحال الحاضرة هل يمكن تطبيقه على هذه الحال أو لا يمكن مطلقا أو يمكن في وقت دون وقت ونحو ذلك .

ـ **وجانب ثالث** : يعرف أن الآية أو الحديث تدل على الوجوب ، وأنه ينطبق على هذه الحال ، لكن قد لا يرى أن المصلحة في الفتوى بهذا فيتوقف درءا لما يخشاه من المفسدة بهذه الفتوى ، وهذا كثير موجود في كلام السلف ـ رحمهم الله ـ وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب له اليد الطولى في هذا ؛ لأن زمن خلافته كان طويلا ، وكان رضي الله عنه حكيما موفقا للصواب .

ومن ذلك : أنه منع المطلق ثلاثا من مراجعة زوجته وحرمها عليه مع أنها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، لكن عمر ـ رضي الله عنه ـ رأى أن المصلحة تقتضي منع الناس من المراجعة للمصلحة التي رآها في زمنه .

فهذه ثلاثة أسباب :

إما تعارض الأدلة .

أو الإشكال في انطباق الأدلة على هذه الحال المعينة .

أو تعارض المصالح[١] .

شرط في مجادلة أهل البدع
أن يشتد ساعدك في العلم

صحيح : إذا اشتد ساعدك في العلم ، أما إذا لم يكن عندك العلم الوافي في رد البدعة فإياك أن تجادل ، لأنك إذا هزمت وأنت سني لعدم قدرتك على مدافعة هذا المبتدع فهو هزيمة لمن ؟ للسنة ، ولذلك لا نرى أنه يجوز للإنسان أن يجادل مبتدعا إلا وعنده قدرة على مجادلته ، وكذلك أيضاً مجادلة ، الكفار ، لا نجادلهم إلا ونحن نعلم أننا على يقين من أمرنا وإلا كان الأمر عكسيا بدلا أن يكون الانتصار لنا [٢].

(١) الصحوة (١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) العلم (١٠٤) .



الباب الثالث

أقواله فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكن لابد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شروط هي :

الشرط الأول : أن يكون الآمر أو الناهي عالمًا بأن هذا معروف يأمر به ، وهذا منكر ينهي عنه ، فإن لم يكن عالمًا فإن هذا لا يجوز أن يأمر وينهي ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا** ﴾ [الإسراء: ٣٦] والتحريم والتحليل لا يكون بحسب العاطفة ، لأنه لو كان بحسب العاطفة والهوى لوجدنا من الناس من يكره كل شيء ويستغربه ، حتى لو حصل شيء ينفع الناس وهو مستغرب له قال هذا منكر ، ومن الناس من هو بالعكس يتهاون ويرى كل شيء معروف . فالمعروف والمنكر أمرهما إلى الشارع.

فالحاصل أن المعروف والمنكر أمرهما إلى الله ورسوله ، لا إلى ذوق الإنسان، أو هوى الإنسان ، أو فكر الإنسان .

إذن لابد أن يكون الإنسان عالمًا بأن هذا معروف وهذا منكر . هذا معروف يأمر به . وهذا منكر ينهي عنه ، ولكن ما الطريق إلى معرفة ذلك ؟ الطريق إلى معرفة ذلك الكتاب والسنة فقط أو إجماع الأمة ، أو القياس الصحيح ، وإجماع الأمة والقياس الصحيح كلاهما مستند إلى الكتاب والسنة ، ولولا الكتاب والسنة ما عرفنا أن الإجماع حجة وأن القياس حجة .

الشرط الثاني : أن يعلم بوقوع المنكر من الشخص المدعو ، أو بتركه للمعروف، فإن كان لا يعلم فإنه لا يرجم الناس بالغيب ، مثال ذلك لو أن رجلاً دخل المسجد وجلس ، فإن الذي تقتضيه الحكمة أن يسأله : لماذا جلس ولم يصل؟ ولا ينهاه أو يزجره ، بدليل أن النبي ﷺ كان يخطب الناس يوم

الجمعة فدخل رجل فجلس ، فقال له : « **أصليت ؟**» قال : لا . قال : « **فقم فصل ركعتين** »[1] ، فلم يزجره حين ترك الصلاة لأنه يحتمل أن يكون صلى والنبي عليه الصلاة والسلام لم يره .

كذلك أيضًا إذا رأيت شخصًا يأكل في نهار رمضان أو يشرب في نهار رمضان، فلا تزجره ، بل اسأله ربما يكون له عذر في ترك الصيام . قل له لماذا لم تصم ؟ فقد يكون مسافرًا . وقد يكون مريضًا مرضًا يحتاج معه إلى شرب الماء بكثرة . مثل أوجاع الكلى تحتاج إلى شرب ماء كثير ، ولو كان الإنسان صحيحًا فيما يظهر للناس، فالمهم أنه لابد أن تعرف لماذا ترك المعروف حتى تأمره به ، ولابد أيضًا أن تعرف أنه وقع في المنكر حتى تنهاه عنه ، لأنه قد لا يكون واقعًا في المنكر وأنت تظنه واقعًا .

مثال ذلك إذا رأيت رجلاً في سيارة ومعه امرأة فهناك احتمال أن المرأة أجنبية منه وهناك احتمال أن تكون المرأة من محارمه ، أو أنها زوجته إذًا لا تنكر عليه، حتى تعلم أنه فعل منكرًا ، وذلك بقرائن الأحوال ، لو فرضنا مثلاً أن الإنسان رأى ريبة من هذا الشخص لكونه أهلاً لسوء الظن ، ورأى حركات ، والإنسان العاقل البصير يعرف ، فهذا ربما نقول يتوجه ويسأله : من هذه المرأة التي معك؟ ولماذا تحمل امرأة في سيارتك ليست من محارمك ؟ ولكن ليس ذلك لمجرد أن ترى رجلاً يمشي مع امرأة أو حاملاً امرأة في سيارته تنكر عليه وأنت لا تدري هل هذا منكر أم لا .

والمهم أنه لابد من العلم بأن هذا معروف وهذا منكر ، ولابد من العلم أن هذا ترك المعروف وفعل المنكر.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٩٣٠ ، ٩٣١) ومسلم (٨٧٥) . .

الشرط الثالث : أن لا يتحول المنكر إذا نهى عنه إلى أنكر منه وأعظم .

مثال ذلك لو رأينا شخصًا يشرب الدخان . فشرب الدخان حرام لاشك ومنكر يجب إنكاره ، لكننا لو أنكرنا عليه لتحول إلى شرب الخمر ، يعني أنه ذهب إلى الخمارين وشرب الخمر فهنا لا تنهاه عن منكره الأول لأن منكره الأول أهون ، وارتكاب أهون المفسدتين واجب إذا كان لابد من ارتكاب العليا .

ودليل هذا الشرط قول الله عز وجل : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٨] فسب آلهة المشركين من الأمور المطلوبة شرعًا ، ويجب علينا أن نسب آلهة المشركين . وأن نسب أعياد الكفار ، وأن نحذر منها . وأن لا نرضى بها ، وأن نبصر إخواننا الجهال والسفهاء بأنه لا يجوز مشاركة الكفار فى أعيادهم. . . أقول إن سب آلهة المشركين وشعائر المشركين وغيرهم من الكفار الكتابيين أمر مطلوب شرعًا . ولكن إذا كان يؤدي إلى شيء أعظم منه نكرًا فإنه ينهي عنه يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ يعنى الأصنام لا تسبوها ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعنى إنكم إذا سببتم آلهتهم سبوا إلهكم ، وهو الله عز وجل ، ﴿ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ يعنى عدوا منهم بغير علم ، فأما أنتم إذا سببتم آلهة المشركين فإنه بعدل وعلم ، لكن سبهم لإلهكم عدوا بلا علم ، فأنتم لا تسبوهم فيسبوا الله . . . إذن تأخذ من هذه الآيات الكريمة أنه إذا كان نهى الإنسان عن منكر ما يوقع الناس فيما هو أنكر منه ، فإن الواجب الصمت، الصمت حتى يأتي اليوم الذي يتمكن فيه من النهي عن المنكر يتحول إلى معروف .

ويذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مر في الشام على قوم من التتار ـ والتتار أمة معروفة سلطها الله على المسلمين في سنة من السنوات ، وحصل

بهم فتنة كبيرة عظيمة ـ ومعه صاحب له ، مر شيخ الإسلام ابن تيمية بقوم منهم يشربون الخمر فسكت وما نهاهم ، فقال له صاحبه : لماذا لم تنه عن هذا المنكر؟ قال له : إن نهيناهم عن الشيء لذهبوا يفسدون نساء المسلمين بالزنى ، ويستبيحون أموالهم ، وربما يقتلونهم ، وشرب الخمر أهون ، وهذا من فقهه رحمه الله ورضي الله عنه ، أن الإنسان إذا كان يخشى أن يزول المنكر ويتحول إلى أنكر منه فإن الواجب الصمت [١].

مسألة : هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعد ركنًا سادسًا من أركان الإسلام؟

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم واجبات الدين وفروضه ، حتى أن بعض العلماء عده ركنًا سادسًا من أركان الإسلام ، **والصحيح أنه ليس ركنًا سادسًا، وإنما هو من أوجب الواجبات** . والأمة إذا لم تقم بهذا الواجب . فإنه سوف تتفرق وتتمزق . يكون كل قوم لهم منهاج يسيرون عليه ، ولكنهم إذ أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . اتفق منهاجهم وصاروا أمة واحدة كما أمرهم الله بذلك : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٤ ـ ١٠٥] [٢].

أيها الناس : اتقوا الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٢٧ ـ ٤٣٣) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٥١ ، ٥٥٢) .

واعلموا أن الله شديد العقاب أقيموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ذلك دعامة المجتمع فلا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كل فرد من أفراده أنه جزء من كل وأن فساد جزء من هذا الكل فساد للجميع وأنه كما تحب لنفسك أن تكون صالحًا فكذلك يجب أن تحب لأخيك أن يكون صالحًا لقول النبي ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »، وإذا شعر الإنسان بهذا الشعور النبيل وإن هذا هو ما يقتضيه الإيمان ويفرضه عليه فإنه لابد أن يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل بالطرق التي تضمن المصلحة وتزول بها المفسدة فيأمر بالمعروف بالرفق واللين والامتناع وليصبر على ما يحصل له من الأذى القولي والفعلي فإنه لابد من ذلك لكل داع كما جرى ذلك لسيد المصلحين وخاتم النبيين وليجعل الأمل والنجاح نصب عينيه فإن ذلك أكبر عون له على سيره في مهمته ولا يجعل لليأس عليه سبيلا فتفتر همته وتضعف عزيمته وإن على المؤمنين كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٢٦٢) .

على المؤمنين التعاون مع الدعاة في الأمر والنهي وأن لا يخذلوا الآمر والناهي عن المنكر

. . وإن على المؤمنين كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يساعدوا من رأوه قائمًا به ، ويقوموا معه نصرة للحق وقضاء على الباطل وأن لا يخذلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يرجفوا به فإن ذلك نصرًا للباطل وإذلالاً للحق لقد اتخذ بعض الناس عادة توجب توهين عزائم الدعاة إلى الله وتضعف همم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فتجدهم إذا سمعوا واعظًا يقولون وأقولها باللغة العامية (هو عاد يبى ينفع كلامه ، هم الناس يبى يطيعون) إلى نحو هذه الكلمات التي يوهنون بها عزائم الدعاة إلى الخير، وكان الأجدر بهؤلاء أن يشجعوا، ويقولوا للداعي والآمر إنك على خير ، وقد حصلت أجرًا أو أبرأت ذمتك وسينفعك الله بذلك إن شاء الله فلقد قال النبي ﷺ : « **لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم**»[١].

أيها المسلمون ، إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضًا فتاكً لأخذنا القلق والفزع ولاستنفدنا الأدوية ، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه هذ وهو مرض جسمي فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا إن الواجب علينا إذا أحسسنا بمرض ديني أو خلقي يفتك بالمجتمع ، ويحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدق عن سبب هذا الداء ، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاء مبرمًا من أي جهة كانت لا تأخذنا في ذلك لومة لائم قبل أن ينتشر الداء

---

(١) سبق تخريجه .

ويستفحل أمره قال النبي ﷺ مثل : « **مثل القائم على في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا**»[1] ، وإننا لنشكر بهذه المناسبة لقوم يظهر منهم الغيرة وحب الإصلاح بما يكتبونه من النشرات التي يوجهونها إلى من يوجهونها إليه لنشكرهم على هذه النشرات بقدر ما تنفع وتثمر وهم مأجورون على حسب نيتهم وعملهم ولعل الأولى أن يتصلوا بمن يظنون بهم المساعدة والعون بأنفسهم ويحققون في الأمور التي يكتبون فيها ويتعاونون جميعًا على إزالتها ولا ينقص ذلك من إخلاصهم شيئًا إن شاء الله[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) الضياء اللامع (٢٦٣ ، ٢٦٤) .

الواجب على المسلمين أن يكونوا أمة واحدة

فالواجب على المسلمين جميعا أن يكونوا أمة واحدة ، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزب بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد فإنهم وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد ، والمهم **ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواء كانوا أعداء يصرحون بالعداوة ، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين أو للإسلام وهم ليسوا كذلك**[1] .

الواجب التحاب والتعاون على البر والتقوى من الرعاة والرعية

فالواجب علينا جميعا ـ رعاة ورعية ـ أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى ، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين ، وعلينا أن نجتمع على الحق ونتعاون عليه ، وأن نخلص في جميع أعمالنا ، وأن نسعى لهدف واحد هو إصلاح هذه الأمة إصلاحا دينيا ودنيويا بقدر ما يمكن ، ولن يمكن ذلك حتى تتفق كلمتنا ونترك المنازعات بيننا والمعارضات التي لا تحقق هدفا ، بل ربما تفوت مقصودا ، وتعدم موجودا .

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٣ ، ١٢٤) .

إن الكلمة إذا تفرقت ، والرعيـة إذا تمردت دخلت الأهواء والضغائن وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته وإن تبين أن الحق والعدل في خلافهما وخرجنا عن توجيـهات الله تعالى حـيث يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٣] فإذا عرف كل واحد منا ما له وما عليه وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله[١] .

التحذير من إضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عباد الله : لقد فخـرت هذه الأمة وحق لها أن تفخر بما شـهد الله لها به ، وفضلهـا على غيرها حـيث يقول : ﴿ **كنتم خيـر أمة أخرجـت للناس تأمرون بالمعـروف وتنهون عـن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ فمن حـقق هذه الأمور الـثلاثة : الإيمان بالله ، والأمـر بالمعـروف ، والنهي عـن المنكر كـان من هذه الأمـة التي فضلت على الناس ومن لم يحـققها خرج من هذا الوصف الجليل بقـدر ما فاته من التحقيق .

عباد الله : إنكم لن تكونوا خيـر أمة أخرجت للناس حتى تأمـروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، والمعروف كل ما أمر الله به ورسوله ، والمنكر كل ما نهى الله عنه ورسوله .

أيها الناس : لقد مرضت القلوب ، وكاد المرض يقضي على بعضها بالموت حتى نزعت الغيرة الدينية من كثير منها فأصبحت لا ترى المعروف معروفًا ، ولا

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٢٨، ١٢٩) .

المنكر منكرًا ، أصبح الإنسان من هؤلاء يتمعر وجهه ولا يتغير من انتهاك حرمات الله وكأنه إذا حدث عن انتهاكها يحدث عن أمر عادي لا يؤبه له ، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس والأولاد والأموال .

يا أمة محمد يا خير أمة أخرجت للناس اتقوا ربكم وأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر وتعاونوا على الحق ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ولا يخوفكم الشيطان ولا يوهن عزائمكم فإنكم والله إن صدقتم العزيمة ، وأخلصتم النية ، واتبعتم الحكمة في تقويم عباد الله وإصلاحهم فكل شيء يقوم ضدكم سيضمحل ويزول فالباطل لن تثبت قدماه أمام الحق : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ .

أيها المسلمون إن الذي ينقصنا كثيرًا هو عدم التعاون في هذه الأمور فتجد أهل الخير متفرقين متباعدين لا ينصر بعضهم بعضًا ولا يقوم بعضهم مع بعض إلا أن يشاء الله وغاية الواحد منهم أن يتألم في نفسه أو يملأ المجالس قولاً بلا فائدة، ولو أننا اجتمعنا ونظرنا إلى مجتمعنا وما فيه من أمراض وفساد ثم بحثنا منشأ تلك الأمراض، وذلك الفساد وقضينا عليه بالطرق الحكيمة إن تمكنا من ذلك بأنفسنا وإلا اتصلنا بالمسؤولين للتعاون معهم بالقضاء عليه لحصل بذلك خير كثير واندرأ شر كثير، أما إذا تخاذلنا وكان الواحد منا أكبر ما يهمه نفسه ، ولا يبالي بالناس صلحوا أم فسدوا ولا يسعى لإصلاحهم فإن ذلك ينذر بالعقوبة العاجلة والآجلة .

فاحذروا أيها المسلمون عقاب الله ، وسطوته احذروا أن تسلب منكم النعم وتحل بكم النقم تذكروا عظمة الله وقهره تذكروا قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ اسمعوا قوله تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا**

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ولقد قال النبي ﷺ : « **والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرًا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم** » ، وصعد ذات يوم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتستنصروني فلا أنصركم وتسألوني فلا أعطيكم** » اللهم إنا نسألك أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، اللهم إنا نسألك أن تصلح ولاتنا وأمتنا وأن تجعلهم متعاونين في الحق متسمين بالألفة والمحبة والخير والرشد والنفع يا رب العالمين [١].

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على الجميع

إخواني : إن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجب علينا جميعًا ، قال النبي ﷺ : « **من رأى منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » ، فمن قدر منا أن يغير المنكر بيده وجب ذلك عليه ومن قدر منا أن يغيره بلسانه دون يده وجب ذلك عليه ، عباد الله من رأى منكم منكرًا فعجز عن تغييره فليبلغه إلى المسئولين فإذا بلغه إليهم برئت ذمته وإلا فسوف يعاقبه الله على ذلك يوم الدين لن يمنعكم من عذاب الله أن تقولوا : إن في البلد نوابًا، ولا علينا من أحد لأن إبلاغ أولي الأمر بأصحاب المنكر أمر لا

---

(١) الضياء اللامع (٢٦٥، ٢٦٦) .

يعذر بتركه أحد ، إنكم إذا تعاونتم على قيام هذا الدين فزتم في الدنيا والآخرة، والله إن المتكلم بكلمة لله تعالى لمرموق بالأبصار وموقر ومعتبر كلامه أيما اعتبار لكن ذلك قد لا يتم لأول مرة فقد يجد في أول مرة نكبات ومعارضات واحتقار لكن إذا صبر وثابر فسوف تكون العاقبة للحق ، وللباطل وأهله الزوال والبوار ، أما كان المشركون يستهزئون بالنبي ﷺ ويسخرون به ويغرون به سفاءهم أما وضعوا عليه احتقاراً وهو ساجد لربه سلا الجزور ومع ذلك فقد صبر وباع نفسه لله حتى أظهره الله عليهم ولله عاقبة الأمور .

إخواني : إن الحق مُرٌّ على النفوس وشديد ولكن عقباه السرور والحلاوة والعيش والرغد .

إخواني : إنه ليجب على المسئولين أكثر مما يجب على غيرهم، إن عليهم أن يتركوا الدعة والسكون والهوان وأن يجتمعوا جميعًا على الحق ، وإصلاح الأمور والنهوض بأمتهم في الأمور الدينية والدنيوية وإزالة الشر ، والطغيان فإن تُرك الفساد يفشو ويزيد سبب الهلاك وفساد المجتمع والدمار والتنكيد .

إخواني : إذا لم يقم المسئولون بإصلاح الأمور فمن الذي يقوم وإذا لم يتكاتفوا على إصلاح ما يحصل من فساد فمن ذا الذي لإصلاحه يقوم [١].

---

(١) الضياء اللامع (٢٦٥ ، ٢٦٦) .

أقسام الناس بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أيها المسلمون : إن الناس بالنسبة إلى تغيير المنكر منهم من يستطيع تغييره بيده ، ومنهم من لا يستطيع إلا بلسانه ومنهم من لا يستطيع إلا بقلبه ، وقد بين النبي ﷺ ما يجب على كل واحد من هؤلاء فقال : « **من رأى منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان**»[1].

أيها المسلمون : إننا إذا قمنا بتغيير المنكر حسب استطاعتنا أفلحنا بأنفسنا وأصلحنا مجتمعنا وحصلت لنا الرفعة في الدار الدنيا و في الآخرة أما إذا ضيعنا الواجب علينا في ذلك فستكون النتيجة وخيمة تكثر المعاصي ، ويظهر الفسوق وتحل العقوبات نعوذ بالله من ذلك .

أيها المسلمون : إن واقع الناس لا يخلو من أربع حالات :

إحداها : أن يقوى الإيمان ويقوى السلطان ، وهذه أكمل الأحوال وأحسنها فبقوة الإيمان تحصل تقوى الله، وخشيته في السر والعلانية ويمتنع الناس من المعاصي عن رغبة في ثواب الآخرة ، وخوف من الله عز وجل ولو قدر أن أحدًا سولت له نفسه بمعصية الله يومًا من الأيام لذكر قوة السلطان فرجع عما نواه به وارتدع .

الحالة الثانية : أن يقوى الإيمان ويضعف السلطان ، وهذه أقل درجة من الأولى وأضعف فإنه ربما لا يرتدع عن المعصية من سولت له نفسه فعلها يومًا من الأيام إذا علم أن السلطان ضعيف ولكن يحصل بهذه الحال خشية الله سرًا وعلنًا ورجاء ثواب الآخرة وهذه فائدة كبيرة .

---

(١) مسلم (٤٩)

الحالة الثـالثة : أن يضعف الإيمان ، ويقوى السلطان ، وهذه أضـعف بكثير من قبلهـا فإنها لا تمنع من فعل المعـاصي سرًا ولكن تمنع من المجاهرة بالمعـصية خـوفًا من السلطان فـإن ضعـيف الإيمان إذا علم أنه إذا عُلم علم به أُدِب تأديبًـا صارمًا يردعه ، فإنه يمتنع عن المجاهرة بالمعصية ويكون خائفًا .

الحالة الرابعة : أن يضعف الإيمان ، ويضعف السلطان فـهذه أخطر الحالات على المجـتمع وشـرها فلا إيمان يمنـع عن المعاصي سـرًا ، ولا سلطان يردع عن المعاصي جـهرًا وإذا كان الناس بهذه الحـال ضعف إيمان وضعف سلطان كـثرت المعاصي وانتشـرت وأسرت وأعلنت فلا حول ولا قـوة إلا بالله ، ولقد كان من سياسة أمـير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنه إذا رأى ضعف الإيمان في القلوب وكثرة ارتكاب الناس للمعصـية زاد في تعزيزهم وعقوبتهم فيمـا ليس فيه عقوبه محددة شرعًا وهذا كمال السياسة لمصالح العباد [١].

الفرق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين تغيير المنكر

ومعلوم أن هناك فـرقًا بين الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، وبين تغيـير المنكر ، لأن تغييـر المنكر يكون من ذي سلطة قادر ، مثل الأمـير ومن جعل له تغييره ، ومـثل الرجل في أهل بيته ، والمرأة في بيتها وما أشـبه ذلك ، فهذا له السلطة أن يغير بيده،فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه .

أما الأمـر فهـو واجب بكل حال ، الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر واجب بكل حال ، لأنه ليس فيه تغيير ، بل فيه أمر بالخير ونهي عن الشر ، وفيه أيضًا

---

(١) الضياء اللامع (٢٧٠ ، ٢٧١) .

دعوة إلى الخير والمعروف وإلى ترك المنكر ، **فهذه ثلاث مراتب: دعوة ، وأمر ، ونهي ، وتغيير** .

أما الدعوة : فمثل أن يقوم الرجل خطيبًا في الناس ، يعظهم ويذكرهم ويدعوهم إلى الهدى .

وأما الأمر : فأن يأمر أمرًا موجهًا إلى شخص معين ، أو إلى طائفة معينة ، يا فلان احرص على الصلاة ، اترك الكذب ، اترك الغيبة وما أشبه ذلك .

أما التغيير : فأن يغير هذا الشيء ، يزيله من المنكر إلى المعروف ، كما صنع النبي ﷺ حين نزع الخاتم من صاحبه نزعًا ، وطرحه على الأرض طرحًا [١].

أيهما أولاً : الدعوة إلى الله أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فرض كفاية ، إذا قام به من يكفي حصل المقصود . وإذا لم يقم به من يكفي وجب على جميع المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٢] فبدأ بالدعوة إلى الخير ، ثم ثنى بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وذلك لأن الدعوة إلى الخير قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير هي بيان الخير للناس ، بأن يدعوهم إلى الصلاة وإلى الزكاة وإلى الحج وإلى الصيام وإلى بر الوالدين وإلى صلة الأرحام وما أشبه ذلك ، ثم بعد هذا يأتي

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤ / ٥٤٥ ، ٥٤٦) وتقدم هذا الحديث .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيأمر يقول: صل، إما على سبيل العموم أو على سبيل الخصوص ، بأن يمسك برجل متهاون بالصلاة ويقول صل .

وهناك مرحلة أخرى وهي التغيير الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده**» (١) ولم يقل فلينه عنه لأن هذه مرحلة فوق النهي «فإن لم يستطع فبقلبه» اللسان هو مرحلة النهي عن المنكر، إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم فإنه ينكر بقلبه، بكراهته وبغضه لهذا المنكر(٢) .

هل هاتان الآيتان تدلان على أن مرتكب المنكر لا ينهي عنه

وهما قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢] ، وقوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] .

* هاتان الآيتان لا تدلان على أن مرتكب المنكر لا ينهي عنه ، بل تدل على شناعة فعلهم ، وكونهم ينهون عن المنكر ويفعلونه ، أو يأمرون بالبرّ ولا يفعلونه، لأن هذا في الحقيقة تناقض وسفه في العقل وضلال في الدين .

كيف تنهي عن الشيء ، وأنت تفعله ؟!!

كيف تأمر بشيء وأنت لا تفعله ؟!! لو كان نهيك صادقًا لكنت أول من ينتهي عن هذا الفعل ، ولو كان أمرك صادقًا لكنت أول من يفعل هذا الفعل ، أما أن تأمر بالشيء ، ولا تأتيه ، وتنهى خلاف العقل وخلاف الشرع ، ولهذا وبخ الله بني إسرائيل على هذا الأمر فقال تعالى : ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٤٩) .

(٢) شرح رياض الصالحين (٤ / ٤٩٠) .

(٣) الصحوة (١٣٥) .

هل يشترط أن يكون الآمر والناهي فاعلاً لما أمر به تاركًا لما نهى عنه ؟

اختلف العلماء رحمهم الله في اشتراط أن يكون الآمر والناهي فاعلاً لما أمر به تاركًا لما نهى عنه ، والصحيح أنه لا يشترط ، وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولو كان لا يفعل المعروف ولا يتجنب المنكر ، فإن ذنبه عليه ، لكن يجب أن يأمر وينهى ، لأنه إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفعل المأمور ولا يترك المحظور ، لأضاف ذنبًا إلى ذنبه . لذا فإنه يجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وإن كان يفعل المنكر ويترك المعروف ، ولكن في الغالب بمقتضى الطبيعة الفطرية أن الإنسان لا يأمر الناس بشيء لا يفعله ، بل يستحي ويخجل ،ولو ينهى الناس عن شيء يفعله، لكن الواجب أن يأمر بما أمر به الشرع ، وإن كان لا يفعله ، وأن ينهى عما نهى عنه الشرع ، وإن كان لا يتجنبه لأن كل واحد منهما واجب منفصل عن الآخر ، وهما غير متلازمين .

ثم إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله ، لا أن يقصد الانتقام من العاصي ، أو الانتصار لنفسه ، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا نهيه ، بل لا يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم .

فينوي بأمره أولاً إقامة شرع الله وثانيًا إصلاح خلق الله وكذلك نهيه حتى يكون مصلحًا وصالحًا نسأل الله أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين المصلحين الصالحين ، إنه جواد كريم [١].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٩٦، ٤٩٧) .

فضل الصبر على أذى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأذى : هو ما يتأذى به الإنسان من قول أو عمل أو غير ذلك، والأذى إما أن يكون أمر ديني أو أمر دنيوي ، فإذا كان في أمر ديني، بمعنى أن الرجل يؤذي من أجل دينه، كان في هذا الصبر على الأذى أسوة بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ؛ لأن الله يقول : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [1] أوذوا حتى أتاهم نصر الله عز وجل.

والإنسان إذا كان معه دين ، وكان معه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فلابد أن يؤذى ، ولكن عليه بالصبر ، وإذا صبر فالعاقبة للمتقين ، ويبتلى المرء على قدر دينه، فيسلط الله عليه من يؤذيه امتحانًا واختبارًا ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾[2] يعني إذا أوذي في الله من جهة دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ودعوته للخير ، جعل هذه الفتنة كالعذاب ، فنكص على عقبيه والعياذ بالله .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [3] يعني أن بعض الناس يعبد الله على حرف ، وليس عنده عبادة متمكنة ، فإن أصابه خير ولم تأته فتنة ولا أذية استمر واطمأن ، وإن أصابته فتنه من شبهة أو أذية أو ما أشبه ذلك، انقلب على وجهه والعياذ بالله ، خسر الدنيا والآخرة .

فالواجب الصبر على الأذى في ذات الله عز وجل [4].

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٣٤) .
(٢) سورة العنكبوت ، الآية (١٠) .
(٣) سورة الحج ، الآية (١١) .
(٤) شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٢٨) .

يجب على الرجل أن يكون داعيًا في بيته يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

الواجب أن تكون رجلاً في بيتك ورجلاً بمعنى الكلمة ، فلا تكون كأنك خشبة عند أهلك إذا رأيت أهلك مقصرين في واجب الله عز وجل مرهم به ، وإذا كان الشرع يجيز لك أن تضرب فاضرب ، إذا رأيتهم يخالفون الشرع في شيء من الأمور الأخرى فألزمهم بالشرع لأنك مسئول أعطاك النبي ﷺ إمارة على أهلك : « **الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته** » [١] ما نصبك فلان وفلان ، ما نصبك أمير البلد ولا الوزير ولا الملك ولا غيره ، نصبك محمد رسول الله ﷺ .

فأنت أمير في بيتك ، الرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته ، ولم يقل راعٍ وسكت ، لو كان كذلك لهان الأمر ، لكن قال : ومسئول عن رعيته ، فانظر ماذا يكون جوابك إذا وقفت يوم القيامة بين يدي الله ، فعلينا أن ننتبه إلى هذه الأمور ، قبل أن يجترفنا السيل الجرار الذي لا يبقي ولا يذر ، والعياذ بالله، ثم تنقلب عاداتنا وأحوالنا كأحوال النصارى [٢].

وسُئل رحمه الله : أنا رجل أصلي وأقرأ القرآن ، وأعمل أعمال الخير ، ولكن لا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر .. انصحوني ؟ [٣].

إن نصيحتي لهذا الشخص الذي وصف نفسه بأنه يقرأ القرآن ويصلي ، ويفعل الخير ، نصيحتي له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بقدر ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٨٨) .
(٢) شرح رياض الصالحين (٧/ ٣٢٨) .
(٣) الصحوة (١٢٧ ، ١٢٨) .

يستطيع، لأن النبي ﷺ أمر بذلك بل إن الله أمر به، فقال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (١). وأرجو أيها الإخوة أن تتأملوا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ بعد قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ لتعلموا أن ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر موجب للتفرق ولابد إن هذا الذي قام بالمنكر سوف ينهج منهجًا غير الذي ترك المنكر، وكذلك الذي ترك المعروف سوف ينهج منهجًا غير الذي نهجه فاعل المعروف، وحينئذ يتفرق الناس.

فأقول للأخ مر بالمعروف، وانه عن المنكر بقدر ما تستطيع، واعلم أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أهم الواجبات في دين الله عز وجل، حتى أن الله لم يفضلنا على غيرنا إلا به فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢). وقال عن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٤، ١٠٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٣) سورة المائدة (٧٨، ٧٩).



الباب الرابع

أقوال في بعض

آيات الدعوة

قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (١)

اللام في قوله ﴿وَلْتَكُن﴾ للأمر ، ومن في قوله ﴿مِّنكُمْ﴾ فيها قولان لأهل العلم: منهم من قال إنها: **للتبعيض**، ومنهم من قال: إنها **لبيان الجنس** .

فعلى القول الأول يكون الأمر هنا أمرًا كفائيًا، أي إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، لأنه قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾ يعني بعض منكم يدعون إلى الخير.

وعلى القول الثاني يكون الأمر أمرًا عينيا وهو أنه يجب على كل واحد أن يكرس جهوده لهذا الأمر. . يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . والدعوة إلى الخير تشمل كل شيء فيه مصلحة للناس في معاشهم ومعادهم لأن الخير كما يكون في عمل الآخرة يكون في عمل الدنيا ، كما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (٢) وما ينفع الناس من الأمور الدنيوية فهو خير، ولهذا سمي الله سبحانه وتعالى المال خيرًا، فقال: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾(٣) ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ المعروف ما عرفه الشرع وأمرَه، والمنكر ما أنكره ونهى عنه فإذن يكون الأمر بالمعروف هو الأمر بطاعة الله، والنهي عن المنكر هو النهي عن معصية الله، فهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٤) .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠١).

(٣) العاديات الآية (٨).

(٤) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٢٦).

قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (١)

وأقول: يجب على أوليـاء الأمور أن يمـنعوا تداول هذه المجـلات . وهذه البردات بين أيدي النساء، لأن المرأة ضعـيفة، ضعيفة العقل وضعـيفة الدين كما وصفـها بهـذا الرسول ﷺ : «**مـا رأيت من ناقصـات عـقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»(٢). فتَغتَرّ وتنخدع بهذه المظاهر .

وكثـير من الرجـال مع الأسف الشديد هم رجـال في ثياب رجـال وإلا فهم نساء، التدبير للنساء عليهم، وهن القـوامات عليهم، عكس ما أمر الله : **﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾** لكن أصـبح الآن بين كثـيـر من الناس النسـاء قوامـات على الرجال، هي التي تدبر الرجل، وهي الـتي تلبس ما شاءت، وتفعل مـا شاءت، ولا تبالي بزوجها ولا بوليها .

فالواجب على أولياء الأمور أن يمنعوا من تداول هذه المجلات التي تأتينا بهذه الأزياء البعـيدة عن الزي الإسـلامي، فالنساء في عـهد الرسـول ﷺ إذا خرجن إلى السوق لبسن ثيابًا طويلة حتى لا تبدو أقدامهن (٣) .

---

(١) سورة النساء : الآية : (٣٤) .

(٢) متفق عليه .

(٣) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٩١، ٢٩٢) .

قوله رحمه الله فى تفسير

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (١)

وهذه الآية ظاهرها أن الإنسان إذا اهتدى بنفسه فإنه لا يضره ضلال الناس، لأنه استقام بنفسه، فإذا استقام بنفسه فشأن أجره على الله عز وجل. فقد يفسرها بعض الناس ويفهم منها معنى فاسدًا، يظن أن هذا هو المراد بالآية الكريمة وليس كذلك. فإن الله اشترط لكون من ضل لا يضرنا أن نهتدي فقال: ﴿ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ .

ومن الاهتداء : أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، فإذا كان هذا من الاهتداء. فلا بد أن نَسْلم من الضرر. وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولهذا قال رضي الله عنه (٢) : وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أو لم يأخذوا على يد الظالم، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» يعني أنهم يضرهم من ضل إذا كانوا يرون الضال ولا يأمرونه بالمعروف. ولا ينهونه عن المنكر ، فإنه يوشك أن يعمهم الله بالعقاب، الفاعل والغافل، الفاعل للمنكر والغافل الذي لم ينه عن المنكر (٣) .

---

(١) سورة المائدة . الآية (١٠٥).

(٢) هو أبو بكر رضي الله عنه والحديث رواه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٣٠٥٧) وقال. حسن صحيح.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٥٦، ٥٥٧).

قوله رحمه الله فى تفسير

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١)

فقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أي خذ ما عفا من الناس وما تيسر ولا تطلب حقك كله لأنه لا يحصل لك .

وقوله : ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي مر بما عرفه الشرع وعرفه الناس، ولا تأمر بمنكر، ولا بغير العرف **لأن الأمور ثلاثة أقسام»** :

١ ـ منكر يجب النهي عنه .

٢ ـ وعرف يؤمر به .

٣ ـ وما ليس بهذا ولا بهذا فإنه يسكت عنه.

ولكن على سبيل النصيحة لا يقول قولاً إلا فيه الخير لقول النبي ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»** (٢) .

وأما قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فالمعنى أن من جهل عليك وتطاول عليك فأعرض عنه، لا سيما إذا كان إعراضك ليس ذلاً وخنوعًا، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إعراضه ليس ذلاً وخنوعًا فهو قادر على أن يبطش بالرجل ، لكن امتثل هذا الأمر وأعرض عن الجاهلين .

والجهل له معنيان :

أحدهما: عدم العلم بالشيء .

---

(١) سورة الأعراف (١٩٩).

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) .

والثاني: السَّفه والتَّطاول ومنه قول الشاعر :

ألاَ لا يَجْهلَن أحدٌ علَيْنا فَنَجْهلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلينا

أي لا يسفه علينا أحد ويتطاول علينا فنكون أشد منه، لكن هذا شعر جاهلي!! أما الأدب الإسلامي فإن الله يقول : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [١] سبحان الله !! إنسان بينك وبينه عداوة أساء إليك ادفع بالتي هي أحسن، فإذا دفعت بالتي هي أحسن فورًا يأتيك الثواب والجزاء وقوله ﴿ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي قريب صديق في غاية ما يكون من الصداقة والقرب. الذي يقوله من ؟

هو الله عز وجل مقلب القلوب. ما من قلب من قلوب بني آدم إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يصرفه كيف يشاء .

فهذا الذي كان عدوًا لك ودافعته بالتي هي أحسن فإنه ينقلب بدل العداوة صداقة فالحاصل أن هذه الآية الكريمة ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ . . . .﴾ الآية لما تليت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف ولم يبطش بالرجل ولم يأخذه على جهله.

فينبغي لنا إذا حصلت هذه الأمور كالغضب والغيظ أن نتذكر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أجل أن نسير على هديه. من أجل أن لا نضل فإن من تمسك بهدي الله فإن الله يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [٢] والله الموفق[٣] .

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٤).

(٢) سورة طه . الآية (١٢٣).

(٣) شرح رياض الصالحين (٢١٥، ٢١٦، ٢١٧).

قوله رحمه الله في تفسير

قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية [١].

وفي هذه الآية دليل على أن وظيفة الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى للنســاء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر . ولكن في حقول الـنساء . ليس في مجامع الرجال وفـي أسواق الرجال . لكن في حقول الـنساء ومجتمـعات النساء. في أيام العرس ، وفي أيـام الدراسة وما أشـبه ذلك، إذا رأت المرأة منكرًا تنهى عـنه ، وإذا رأت تفريطًا في واجب تأمـر به. لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مـؤمن ومؤمنة، نسأل الله أن يعمنا وإياكم برحمته ومغفرته[٢] .

---

(١) سورة التوبة . الآية (٧١).

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٠٠، ٥٠١).

قوله رحمه الله في تفسير

قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

وقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

والمعنى تذلل لهم ولن لهم في المقال والفعال، لأن المؤمن مع أخيه المؤمن رحيم به، شفيق به، كما قال الله تعالى في وصف النبي ﷺ ومنه معه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣) .

وفي قوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ دليل على أن الإنسان مأمور بالتواضع لإخوانه وإن كان رفيع المنزلة، كما يرتفع الطير بجناحه، فإنه وإن كان رفيع المنزلة فليخفض جناحه وليتذلل وليتطامن لإخوانه، وليعلم أن من تواضع لله رفعه الله عز وجل، والإنسان ربما يقول لو تواضعت للفقير وكلمت الفقير، أو تواضعت للصغير وكلمته أو ما أشبه ذلك ، فربما يكون في هذا وضع لي، وتنزيل من رتبتي ، ولكن هذا من وساوس الشيطان، فالشيطان يدخل على الإنسان في كل شيء، قال تعالى عنه: ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (٤) فالشيطان يأتي الإنسان ويقول له: كيف تتواضع لهذا الفقير ؟ كيف تتواضع لهذا الصغير؟ كيف تكلم فلانًا ؟ كيف تمشي مع فلان؟ ولكن من تواضع لله رفعه الله عز وجل، حتى وإن كان عالمًا أو كبيرًا أو غنيًا، فإنه ينبغي أن يتواضع لمن كان

---

(١) سورة الحجر : الآية (٨٨) .

(٢) سورة الشعراء : الآية (٢١٥) .

(٣) سورة الفتح : الآية (٢٩) .

(٤) سورة الأعراف. (١٦ ، ١٧).

مؤمنًا، أما من كــان كافرًا فإن الإنسان لا يجــوز له أن يخفض جناحه له . لكن يجب عليه أن يخضع للحق بدعوته إلى الدين ، ولا يســتنكف عنه ويستكبر فلا يدعــوه ، بل يدعوه ولكن بــعزة وكــرامة، دون إهانة له، فــهــذا معنى قــوله : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِــينَ﴾ .

وفي الآية الثانية : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

فهذه وظيفة المسلم مع إخوانه . أن يكون هينًا لينًا بالقول وبالفعل ، لأن هذا مما يوجب المودة والألفــة بين الناس، وهذه الألفــة والمودة أمر مطلوب بالشــرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن كل ما يوجب العداوة والبــغضاء . مثل البيع على بيع المسلم، والسوم عــلى سوم المسلم [١] . وغيــر ذلك مما هو معــروف لكثيــر من الناس ـ والله الموفق [٢].

---

(١) حديث «نهى النبــي ﷺ عن البيع على بيع المسلم أو الســوم على سومه » حــديث صحيح أخــرجه البخاري (٢١٤٠) (٢٧٢٧) ومسلم (١٤١٣).

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦) .

قوله رحمه الله في تفسير

قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

يعني أظهر ما تؤمر به وبينه، ولا تأخذك في الله لومة لائم . وهذا له ولأمته، كل الأمة يجب عليها أن تصدع بما أمرها الله به ، تأمر به الناس ، وأن تصدع بما نهى الله عنه، تنهى عنه الناس، لأن النهي عن الشيء أمر بتركه . ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني لا تهتم بهم، في حالهم ولا فيما يأتي من أذاهم، يعني لا تحزن لعدم إيمانهم كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٢) ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) يعني لعلك مهلك نفسك إذا لم يؤمنوا بك، يعني لا تبالي بهم، بل أعرض عنهم فيما يحصل منهم من أذى. فإن العاقبة لك، وفعلاً صارت العاقبة للرسول ﷺ، صبر وظفر (٤) .

---

(١) سورة الحجر (٩٤) .

(٢) سورة الكهف (٦) .

(٣) سورة الشعراء (٣).

(٤) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٠٦، ٥٠٧) .

قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (١)

أي صيرناهم أئمة يهدون الناس، أي يدلونهم على دين الله بأمر الله عز وجل، لأن الله بين أنه جعلهم أئمة بسبب ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ .

لما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله، وصبروا على أقدار الله، صبروا على طاعة الله ففعلوا ما أمر ، وصبروا عن معصية الله فتركوا ما نهى عنه، وصبروا على أقدار الله التي تأتيهم من أجل دعوتهم إلى الحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، لأن الإنسان إذا نصب نفسه داعية للحق آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر فلا بد أن يصب من الأذى ما يصيبه، لأن أكثر الذين يكرهون الحق سوف يكونون أعداء له فليصبر ، وكذلك أقدار الله التي تأتي بدون هذا أيضًا يصبرون عليها.

﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ يوقنون بما أخبر الله به ، ويوقنون بالجزاء الذي يحصل لهم في فعل الأوامر وترك النواهي ، وفي الدعوة إلى الله، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي أنهم يعملون وهم يوقنون بالجزاء. وهذه نقطة ينبغي لنا أن نتنبه لها. أن نعمل ونحن نوقن بالجزاء، كثير من الناس يعملون، يصلون ويصومون ويتصدقون بناءً على أن هذا أمر الله، وهذا طيب ولا شك أنه خير، لكن ينبغي أن تدرك وأن تستحضر بأنك إنما تفعل هذا رجاء الثواب وخوف العقاب، حتى تكون موقنًا بالآخرة .

(١) سورة السجدة الآية (٢٤).

وقد أخذ شيخ الإسلام رحمه الله من هذه الآية عبارة طيبة ، فقال: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين . أخذها من قوله تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، أسأل الله أن يجعلني وإياكم أئمة في دين الله ، هداة لعباد الله مهتدين، إنه جواد كريم [١] .

❊ ❊ ❊

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٠٩، ٤١٠).

الباب الخامس

أقواله فى شرح

بعض أحاديث الدعوة والنصيحة

قوله رحمه الله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه

«من دعا إلى هدى كـان له من الأجر مثل أجور من اتبـعه لا ينقص ذلك من أجورهم شـيئًا ، ومن دعـا إلى ضلالة كان عليـه من الإثم مثل آثام من اتبـعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» (١) .

من دعا إلى هدى : يعني بيَّنه للناس ودعـاهم إليه، مـثل أن يبين للناس أن ركعـتي الضحى سنة ، وأنه ينبغي لـلإنسان أن يصلي ركعـتين في الضحى، ثم تبعه الناس وصاروا يصلون الضحى، فإن له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، لأن فضل الله واسع .

أو قال للناس مثلاً: اجعلوا آخر صـلاتكم بالليل وترًا ، ولا تناموا إلا على وتر إلا من طمع أن يقوم من آخر الليل فليجعل وتره في آخر الليل . فتبعه ناس على ذلك فإن له مـثل أجورهم ، يعني كلما أوتـر واحد هداه الله على يده فله مثل أجره ، وكذلك بقية الأعمال الصالحة .

« ومن دعا إلى ضـلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبـعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» أي إذا دعا إلى وزر وإلى ما فيه الإثم، مثل أن يدعو الناس إلى لهو أو باطل أو غناء أو ربا أو غير ذلك من المحارم ، فإن كل إنسان تأثر بدعوته فإنه يكتب له مثل أوزارهم ، لأنه دعا إلى الوزر والعياذ بالله .

واعلم أن الدعوة إلى الهدى والدعوة إلى الوزر تكون بالقـول ؛ كما لو قال افعل كذا. افـعل كذا، وتكون بالفعل خصوصـًا من الذي يُقتدى به من الناس، فإنه إذا كان يقتـدى به ثم فعل شيئًا فكأنه دعا الناس إلى فعله. ولهـذا يحتجون

(١) صحيح . رواه مسلم (٢٦٧٤).

بفعله ويقولون فعل فلان كذا وهو جائز، أو ترك كذا وهو جائز .

فالمهم أنه من دعا إلى هدى كان له مثل أجر من اتبعه ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مثل وزر من اتبعه .

وفي هذا دليل على أن المتسبب كالمباشر، المتسبب للشيء كالمباشر له، فهذا الذي دعا إلى الهدى تسبب فكان له مثل أجر من فعله، والذي دعا إلى السوء أو إلى الوزر تسبب فكان عليه مثل وزر من اتبعه .

وقد أخذ العلماء الفقهاء رحمهم الله من ذلك قاعدة : **بأن السبب كالمباشرة**، لكن إذا اجتمع سبب ومباشرة أحالوا الضمان على المباشرة، لأنها أمس بالإتلاف[١].

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨).

قوله رحمه الله في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما

عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة...»(١)

هكذا دين الله إذا أخذ العقلاء وأهل العلم والدين على الجهال والسفهاء نجوا جميعًا، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (٢) .

وفي هذا المثل دليل على أنه ينبغي لمعلم الناس أن يضرب لهم الأمثال، ليقرب لهم المعقول بصورة المحسوس، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (٣) وكم من إنسان تشرح له المعنى شرحًا كثيرًا وتردده عليه فلا يفهم، وإذا ضربت له مثلاً بشيء محسوس يعرفه، فَهِم .

وانظر إلى المثل العجيب الذي ضربه النبي ﷺ لرجل من الأعراب، صاحب بادية إبل جاء إلى النبي ﷺ يقول: يا رسول الله إن زوجتي ولدت غلامًا أسود يعني وأنا أبيض والمرأة بيضاء . من أين جاءنا هذا الأسود؟ فقال النبي ﷺ : «**هل لك من إبل؟**» قال : نعم . قال : «**ما ألوانها؟**» قال : حمر . قال : «**هل فيها من أورق؟**» يعني أسود ببياض . قال : نعم . قال : «**من أين جاءها**

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٤٩٣).

(٢) سورة الأنفال : الآية (٢٥).

(٣) سورة العنكبوت : الآية (٤٣).

ذلك؟» قال: لعله نزعة عرق، يعني ربما يكون له أجـداد أو جدات سابقة لونها هكذا، فنزعة هذا العرق، قال: **«فابنك هذا لعله نزعة عرق»** (١) يمكن واحد من أجداده أو جداته أو أخواله أو آبائه لونه أسود فجـاء الولد عليه، فاقتنع الأعرابي تمام الاقتناع، لو جاءه النبي ﷺ يشرح له شرحًا فهو أعرابي لا يعرف، لكن أتاه بمثال من حياته التي يعيشها ، فانطلق وهو مقتنع .

وهكذا ينبـغي لطالب العلم، بل ينبغي لـلمعلم أن يقـرب المعاني المعـقولة لأذهان الناس بضرب الأمثال المحسوسة ، كما فعل النبي ﷺ .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٢٦) (٤/ ٥٢٧).

قوله رحمه الله: في حديث جرير بن عبد الله قال:

بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم(١)

وأما قوله النصح لكل مسلم. أي ينصح لكل مسلم، قريب أو بعيد، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى.

وكيفية النصح لكل مسلم هي كما في حديث أنس: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٢). هذه هي النصيحة أن تحب لإخوانك ما تحب لنفسك، بحيث يسرك ما يسرهم ويسوءك ما يسوءهم، وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وهذا باب واسع كبير جدًا (٣).

---

(١) صحيح: وأخرجه البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦).

(٢) صحيح: وأخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨٦).

قوله رحمه الله ، في حديث تميم الداري رضي الله عنه

أن النبي [قال «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (١)

والنصيحة لله عز وجل تكون بالإخلاص لله تعالى . والتعبد له محبة وتعظيما . . .» .

ومن النصيحة لله أن يكون الإنسان دائمًا ذاكرًا لربه، بقلبه ولسانه وجوارحه.

من النصيحة لله أن تكون غيرته لله فيغار لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، كما كان النبي ﷺ هكذا فإنه ﷺ كان لا ينتقم لنفسه أبدًا، كما قال الناس فيه لا ينتقم لنفسه ، ولكنه إذا انتهكت محارم الله صار أشد الناس انتقامًا ممن ينتهك حرمات الله تعالى(٢) ، فيغار الإنسان على ربه ، فلا يسمع أحدًا يسب الله أو يشتم الله أو يستهزئ بالله إلا غار من ذلك ، حتى إذا كان له أن يقتله قتله، لأن هذا من النصيحة لله عز وجل.

ومن النصيحة لله أن يذب عن دين الله تعالى الذي شرعه لعباده، فيبطل كيد الكائدين ، ويرد على الملحدين الذين يعرضون الدين وكأنه قيود، تقيد الناس عن حرياتهم ، والحقيقة أنها قيود حرية ، لأن الإنسان يتقيد لله عز وجل ، وبالله، وفي دين الله ، من لم يتقيد بها تقيد للشيطان، وفي خطوات الشيطان ،

---

(١) صحيح رواه مسلم (٥٥) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧ ، ٥٩٩٩) .

لأن النفس همـامة دائمـا، فلا تسكـن نفس أحد أبدًا ، بل لا بد أن تكون لهـا همم في أي شيء، إما في خير ، وإما في شر .

ومن النصيحة لله عز وجل أن يكون باثًا دين الله في عباد الله، لأن هذا مقام الرسل كلهم ، فهم دعاة إلى الله يدعو الناس إلى الله عز وجل ، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم﴾ أي من الأمة التي بعث فيها الرسول . نسأل الله تعالى أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم .

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ الذب عن شريعته وحمايتها ، فالذب عنها بأن لا ينتقصها أحد، والذّب عنها بأن لا يزيد فيها أحد ما ليس منها، فتحارب أهل البدع القولية والفعلية والعقدية ، لأن البدع كلها باب واحد ، كلها حقل واحد، كلها ضلالة، كما قال الرسول ﷺ : **«كل بدعة ضلالة»** (٢) لا يستثنى من هذا بدعة قولية ولا فعلية ولا عقدية، كل ما خالف هدي النبي ﷺ وما جاء به في العقيدة أو في القول أو في العمل فهو بدعة ، فمن النصيحة لرسول الله ﷺ أن تحارب أهل البدع بمثل ما يحاربون به أهل السنة، إن حاربوا بالقول فبالقول ، وإن حاربوا بالفعل فبالفعل، جزاء وفاقًا، لأن هذا من النصيحة لرسول الله ﷺ.

والنصح لأئمة المسلمين أي إمامة الدين والعلم . هو أن الإنسان يحرص على تلقي ما عندهم من العلم ، فإنهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين أمته فيحرص على تلقي العلم عنهم بكل وسيلة .

ومن النصح أيضًا للعلماء المسلمين أن لا يتتبع الإنسان عوراتهم وزلاتهم

---

(١) سورة النحل الآية (٣٦).

(٢) صحيح : وأخرجه مسلم (٨٦٧).

وما يخطئون فيه، لأنهم غير معصومين، قد يزلون وقد يخطئون ، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والنصيحة لعامة المسلمين بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وأن ترشدهم إلى الخير ، وأن تهديهم إلى الحق إذا ضلوا عنه، وأن تذكرهم به إذا نسوه، وأن تجعلهم لك بمنزلة الإخوة . . . . وليُعلم أن النصيحة هي مخاطبة الإنسان سرًا بينك وبينه، لأنك إذا نصحته سرًا بينك وبينه أثرت في نفسه، وعلم أنك ناصح، لكن إذا تكلمت أمام الناس عليه فإنه قد تأخذه العزة بالإثم فلا يقبل النصيحة، وقد يظن أنك إنما تريد الانتقام منه وتوبيخه وحط منزلته بين الناس فلا يقبل ، لكن إذا كان السر بينك وبينه صار لها ميزان كبير عنده وقيمة، وقبل منك(١).

قوله رحمه الله ، في حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله [قال : « لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه »

ويجب أن تعلم أن أسد الدعاة في الدعوة إلى الله هو النبي ﷺ ، وأن أحسن المرشدين إلى الله هو النبي ﷺ ، وإذا علمنا فإن أي فهم نفهمه من كلام الرسول ﷺ يكون مجانبًا للحكمة يجب علينا أن نتهم هذا الفهم ، وأن نعلم أن فهمنا لكلام النبي ﷺ ، خطأ ، لكن ليس معنى ذلك أن نقيس أحاديث الرسول ﷺ ، بما ندركه من عقولنا وأفهامنا ، لأن عقولنا وأفهامنا قاصرة ، لكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة الفردية .

---

(١) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٦٥ ـ ٤٨٣) .

فالنبي ﷺ ، يقول : « **لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه** »[(١)].

والمعنى : لا تتوسعوا لهم إذا قابلوكم حتى يكون لهم السعة ويكون الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء ، ومن المعلوم أن هدي النبي ﷺ ، ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار ما كان النبي ﷺ يفعل هذا باليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار .

فالمعنى أنكم كما لا تبدؤونهم بالسلام لا تفسحوا لهم فإذا لقوكم فلا تتفرقوا حتى يعبروا بل استمروا على ما أنتم عليه واجعلوا الضيق عليهم إن كان في الطريق ضيق ، وليس في الحديث تنفير عن الإسلام بل فيه إظهار لعزة الإسلام، **وأنه لا يذل لأحد إلا لربه عز وجل**[(٢)].

وهذا أيضا لا يمنع من دعوة الكافر إلى الإسلام فإن دعوته إلى الإسلام أمر مطلوب وخاصة من الذين يتمكنون من ذلك ولديهم القوة في الدعوة فإنه يجب عليهم الدعوة إلى الله ما استطاعوا [(٣)].

لا تعارض بين الحديثين

ما هو وجه التعارض في هذين الحديثين ، قوله ﷺ لعائشة : « **إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه**» [(٤)]. وقوله ﷺ في حديث آخر : « **إذا رأى أحدكم منكرًا**

(١) صحيح : رواه مسلم (٢١٦٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨ ، ٣٩) .

(٣) الصحوة (١٨٥) .

(٤) مسلم (٢٥٩٣) .

(٥) مسلم (٤٩) .

فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ... »[٥] إلى آخر الحديث .

* لا تعارض بين الحديثين ، لأن قوله ، ﷺ : « فليغيره بيده إذا لم يمكن أن يغيره بما دون ذلك ، ، فإذا أمكن أن يغير المنكر بيد الفاعل ،بأن يكون رجلاً ومعه آلة لهو يتلهّى بها ، وقال له الداعي إن هذا حرام ، ويجب أن تكسره، فهنا إذا كسره المدعو بنفسه كان هذا خيرًا، لأنه قد يكسره عن اقتناع، وقد يكسّره عن خوف . المهم أن مباشرته إياه بنفسه أفضل من أن تقدم أنت وتكسره عن خوف. المهم أن مباشرته إياه بنفسه أفضل من أن تقدم أنت وتكسره فإذا لم يمكن فحينئذ كسّره إن استطعت ، فإن لم تستطع فبلسانك ، فإن لم تستطع فبقلبك .

ولهذا كان ينبغي بل يجب على طلبة العلم إذا تكلّم أحد بباطل أو كتب كلامًا باطلاً يجب أن يتصل بالقائل أو الكاتب قبل أن يردّ عليه ، من أجل أن الكاتب أو القائل يتراجع بنفسه ، ويجب عليه إذا عرف أنه على خطأ أن يُبين للناس خطأ نفسه ، قبل أن يذهب هذا فيرد عليه بمقال أو كتابة؛ لأن في ذلك من إضعاف جانب أهل العلم ما لا يخفى ، ولأن العامة إذا رأوا طلبة العلم يكتب بعضهم في بعض ، ويردّ بعضهم على بعض ضعفت جبهة العلماء عندهم سواء كان من الرّاد أو من المردود عليه ، مع أنه يحدث بلبلة وتشويشًا على الناس ، إذ أن الناس لا يدرون الحق مع هذا أو مع هذا ، لكن لو ذهب الإنسان إلى هذا القائل الذي يرى أنه أخطأ في قوله وتفاهم معه، وقال له : إن هذا خطأ وبين له وجهة خطئه ، وتناقش معه ، لأنه قد يكون عند الكاتب الذي يُراد الرّد عليه ما ليس عند هذا الآخر ، وتناقش في الموضوع ، ففي ظنّي أن الرجل الذي يريد أن تقوم شريعة الله سوف يرجع إلى الحق ، أو على الأقل يقول والله هذا الذي عندي ، وإذا كان عندك شيء فلا حرج عليك أن تبيّنه .

بل يجب عليك أن تبيّنه إذا رأيت أن الحقّ في خلاف ما أقول .

ثم مع ذلك أيضًا أرى أن الطريق السليم ألا يأتي بالخطأ من الآخر ، ويوضع أمام الناس ، ثم يردّ عليه وينتقده ، بل يبين الحق هو بنفسه مثل أن يقول:

فإن قال قائل : كذا وكذا فجوابه عليه كذا وكذا حتى يعرف الناس الحق، وحتى لا يكون هناك تباغض أو تعاد بين الناس، اللهم إلا إذا كان صاحب بدعة، فإن الواجب أن يُبين خطأه ، وأن يُبين شخصه ، حتى لا يغتر الناس به. أما المسائل الاجتهادية التي يتسع الشرع لها فإن الأولى فيها سلوك سبيل الحكمة وجمع القلوب ما أمكن .

الباب السادس

منهجه رحمه الله

في

بعض مسائل الدعوة العقائدية

منهجه رحمه الله في حكم موالاة الكفار ؟

موالاة الكفار بالموادة والمناصرة واتخاذهم بطانة حرام منهي عنها بنص القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة : ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ [آل عمران : ١١٨] ، وأخبر أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ويتميز هؤلاء عن هؤلاء ، فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

ولا ينبغي أبداً أن يثق المؤمن بغير المؤمن مهما أظهر من المودة وأبدى من النصح فإن الله ـ تعالى ـ يقول عنهم : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء : ٨٩] ويقول سبحانه لنبيه : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

والواجب على المؤمن أن يعتمد على الله في تنفيذ شرعه ، وألا تأخذه فيه لومة لائم ، وألا يخاف من أعدائه فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

وقال تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٨] . والله الموفق (١).

وسئل رحمه الله ـ زعم أحد الوعاظ في مسجد من مساجد أوربا من أنه لا يجوز تكفير اليهود والنصارى ؟

أقول : إن هذا القول الصادر عن هذا الرجل ضلال ، وقد يكون كفراً ، وذلك لأن اليهود والنصارى كفرهم الله عز وجل في كتابه ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ : [التوبة: ٣٠ ـ ٣١] ، فدل ذلك على أنهم مشركون ، وبين الله تعالى في آيات أخرى ما هو صريح بكفرهم ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ : [المائدة : ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ : [المائدة : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ : [البينة : ٦] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة .

فمن أنكر كفر اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ وكذبوه ، فقد كذب الله عز وجل ، وتكذيب الله كفر ، ومن شك في كفرهم فلا شك في كفره هو .

---

(١) مجموع الفتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ١٢ ، ١٣ ، ١٤).

ويا سبحان الله !!

كيف يرضي هذا الرجل أن يقول: إنه لا يجوز إطلاق الكفر على هؤلاء وهم يقولون أن الله ثالث ثلاثة ، وقد كفرهم خالقهم ـ عز وجل ـ وكيف لا يرضي أن يُكفِّر هؤلاء وهم يقولون : إنّ المسيح ابن الله ، ويقولون : يد الله مغلولة ، ويقولون : إن الله فقير ونحن أغنياء ! كيف لا يرضى أن يكفر هؤلاء وأن يطلق كلمة الكفر عليهم وهم يصفون ربهم بهذه الأوصاف السيئة التي كلها عيب وشتم وسب وإني أدعو هذا الرجل إلى أن يتوب إلى الله ـ عز وجل ـ وأن يقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾ : [القلم : ٩] وألا يداهن هؤلاء في كفرهم ، وأن يبين لكل أحد أن هؤلاء كفار ، وأنهم من أصحاب النار ، قال النبي ـ ﷺ : « **والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ أي أمة محمد ـ يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** »(حديث صحيح أخرجه مسلم) .

فعلى هذا القائل أن يتوب إلى ربه من هذا القول العظيم ، وأن يعلن إعلاناً صريحاً بأن هؤلاء كفرة ، وأنهم من أصحاب النار وأن الواجب عليهم أن يتبعوا النبي ، الأمي محمداً ـ ﷺ ـ فإنه بشارة عيسى عليه السلام ، معروف عند اليهود والنصارى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ : [الأعراف : ١٥٧] ، وهو بشارة عيسى ابن مريم عليه السلام، فقد قال عيسى ابن مريم ما حكاه ربه عنه : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا**

جاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ : [الصف : ٦] ، لما جاءهم المبشر به أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين وبهذا نرد دعوى أولئك النصارى الذين قالوا : إن الذي بشر به عيسى هو أحمد لا محمد ، فنقول إن الله قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ، ولم يأتيكم بعد عيسى إلا محمد - ﷺ - ومحمد هو أحمد، لكن الله ألهم عيسى أن يسمى محمداً بأحمد ؛ لأن أحمد اسم تفضيل من الحمد ، فهو أحمد الناس لله ، وهو أحمد الخلق في الأوصاف الكاملة التي يحمد عليها ، فهو عليه الصلاة والسلام ، أحمد الناس لله ، جعلا لصيغة التفضيل من باب اسم الفاعل وهو أحمد الناس بمعنى أحق الناس أن يحمد جعلا لصيغة التفضيل من باب اسم المفعول ، فهو حامد ومحمود على أكمل صيغة الحمد الدال عليها أحمد .

وإنني أقول : إن كل من زعم أن في الأرض دينا يقبله سوى دين الإسلام فإنه كافر لا شك في كفره ؛ لأن الله - عز وجل - يقول في كتابه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ : [آل عمران : ٨٥] ، ويقول عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ : [المائدة : ٣] ، ويقول : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ : [آل عمران : ١٩] .

وعلى هذا - أكررها مرة ثانية - على هذا القائل أن يتوب إلى الله - عز وجل - وأن يبين للناس جميعاً أن هؤلاء اليهود والنصارى كفار ، لأن الحجة قد قامت عليهم وبلغتهم الرسالة ولكنهم كفروا عناداً ، ولقد كان اليهود يوصفون بأنهم مغضوب عليهم لأنهم علموا الحق وخالفوه ، وكان النصارى يوصفون بأنهم ضالون لأنهم أرادوا الحق فضلوا عنه ، أما الآن فقد علم الجميع الحق وعرفوه ، ولكنهم خالفوه وبذلك استحقوا جميعا أن يكونوا مغضوبا عليهم .

وإني أدعو هؤلاء اليهود والنصارى إلى أن يؤمنوا بالله ورسله جميعاً وأن يتبعوا محمداً ـ ﷺ ـ لأن هذا هو الذي أمروا به في كتبهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ـ ١٥٨] .

وليأخذوا من الأجر بنصيبين ، كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ـ ﷺ ـ ...** »[١] .

ثم إني اطلعت بعد هذا على كلام لصاحب الإقناع في باب حكم المرتد قال فيه بعد كلام سبق : « . . . أو لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى ، ومن شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم فهو كافر » .

ونقل عن شيخ الإسلام قوله : « من اعتقد أن الكنائس بيوت الله وأن الله يُعبد فيها وأن ما يفعله اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله أو أنه يحب ذلك أو يرضاه أو أعانهم على فتحها ، وإقامة دينهم وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر » .

وقال أيضاً في موضع آخر : « من اعتقد أن زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد » .

---

(١) **حديث صحيح** : رواه البخاري (٩٧) ومسلم (٢٤١ ـ ١٥٤) .

وهذا يؤيد ما ذكرناه في صدر الجواب ، وهذا أمر لا إشكال فيه ، والله المستعان [١].

قوله ـ رحمه الله ـ في السبيل الأرشد لمواجهة الحرب التي تشن على الإسلام من بعض أبناء المسلمين أنفسهم سواء كانوا من العلمانيين أو من غيرهم؟

الواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه ، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبين بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية ، إضافة إلى الأدلة الشرعية ، حتى يتبين بطلان ما هم عليه ، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يدافعوا . بل أن يهاجموا إذا أمكن بمثل ما يحاربون به الإسلام ، ويبين أن أفضل طريقة لتقويم الاقتصاد على وجه عادل هي طريقة الإسلام .

والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوموا بما يناسب تلك الأسلحة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم : ٩] ، ومن المعلوم أن جهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان ، وجهاد الكفار يكون بالسيف والسِّهام[٢] .

قوله ـ رحمه الله ـ حكم مخالطة الكفار ومعاملتهم بالرفق واللين طمعاً في إسلامهم ؟

لا شك أن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله ويتبرأ منهم لأن هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا

(١) الصحوة (١٩٦ ـ ٢٠١) ومجموع الفتاوى (٣/ ١٨ ـ ٢٣) .
(٢) الصحوة (١٩٥ ـ ١٩٦) .

وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ : [الممتحنة : ٤] ، وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾ [المجادلة : ٢٢] وعلى هذا لا يحل لمسلم أن يقع في قلبه محبة ومودة لأعداء الله الذين هم أعداء له في الواقع قال ـ تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ [الممتحنة : ١] .

أما كون المسلم يعاملهم بالرفق واللين طمعاً في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به ، لأنه من باب التأليف على الإسلام ولكن إذا يئس منهم عاملهم بما يستحقون أن يعاملهم به ، وهذا مفصل في كتب أهل العلم ولا سيما كتاب «أحكام أهل الذمة » لابن القيم ـ رحمه الله ـ [١] .

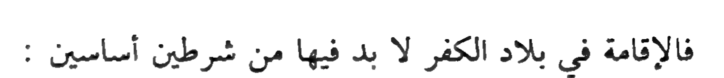
منهجه في حكم الإقامة في بلاد الكفار

الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم وأخلاقه وسلوكه ، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً ، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوى في تلك المهالك[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٥) .



منهجه ـ رحمه الله ـ في شروط الإقامة في بلاد الكفر

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسين :

الشرط الأول : أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة ما يطمئن على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدا عن موالاتهم ومحبتهم ، فإن موالاتهم ومحبتهم مما لا ينافي الإيمان قال الله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ : [المجادلة : ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٢] ، وثبت في الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ بأن من أحب قوماً فهو منهم ، وأن المرء مع من أحب ، ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم ، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ـ ﷺ: « **من أحب قوماً فهو منهم** » .

الشرط الثاني : أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع ، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة ، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين ، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ ، قال في « المغنى » (ص ٤٥٧ ج ٨) في الكلام على أقسام الناس في الهجرة : أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى : ﴿ إنَّ

الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] ، وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب ، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . اهـ (١) .

أقسام الإقامة في دار الكفر

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول : أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها ، بشرط أن تحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها ، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي - ﷺ - بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية** » .

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة ،و بطلان التعبد ، وانحلال الأخلاق ، وفوضوية السلوك ، ليحذر الناس من الاغترار بهم ، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم ، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه ، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام ، كما قيل : وبضدها تتبين الأشياء ، لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه ، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته ، وإن تحقق مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسبب

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٥ ، ٢٦) .

الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ : [الأنعام : ١٠٨]

القسم الثالث : أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله ، فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندفع بها شر كبير .

القسم الرابع : أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة ، وقد نص أهل العلم ـ رحمهم الله ـ على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ .

القسم الخامس : أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه ، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ منه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط :

الشرط الأول : أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث «صغار السن » وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم ، وخلقهم ، وسلوكهم ، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها ويبعثون فيها السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع .

الشرط الثاني : أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل ، ومقارعة الباطل بالحق لئلا يخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

الشرط الثالث : أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر ، والفسوق ، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم ، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها .

الشرط الرابع : أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم ، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة منه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله .

القسم السادس : أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم مما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة ، وموالاة ، وتكثير لسواد الكفار ، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم ، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد[1] .

منهجه رحمه الله في حكم مخالطة المسلمين لغيرهم في أعيادهم ؟

مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرمة لما في ذلك من الإعانة علي الإثم والعدوان وقد قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢]، ولأن هذه الأعياد وإن كانت لمناسبات دينية فإن مشاركتهم فيها تقتضي اقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من الكفر، وإذا كانت الأعياد في المسلمين ما أقيمت فكيف وهي في الكفار؟! ولذلك قال أهل العلم:

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٧) .

إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم ، لأن ذلك إقرار ورضا بما هم عليه من الدين الباطل ، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان .

واختلف العلماء فيما إذا أهدى إليك أحد من غير المسلمين هدية بمناسبة أعيادهم هل يجوز لك قبولها أو لا يجوز ؟

فمن العلماء من قال : لا يجوز أن تقبل هديتهم في أعيادهم ، لأن ذلك عنوان الرضا بها ، ومنهم من يقول لا بأس بها ، وعلى كل حال إذا لم يكن في ذلك محظور شرعي وهو أن يعتقد المهدي إليك أنك راض بما هم عليه فإنه لا بأس بالقبول وإلا فعدم القبول أولى ، وهنا يحسن أن نذكر ما قاله ابن القيم - رحمه الله - في كتاب « أحكام أهل الذمة » : « وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق ، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول : عيد مبارك عليك أو تهنئا بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر ، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه للصليب . . . وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك»[١] . اهـ .

منهجه ـ رحمه الله ـ في حكم السلام على غير المسلمين[٢]؟

البدء بالسلام على غير المسلمين محرم ولا يجوز لأن النبي - ﷺ - قال : **«لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»**[٣] .

وقال رحمه الله أيضاً : إن هؤلاء الذين يأتوننا من الشرق والغرب ممن ليسوا

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢ ، ٣٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣) .

(٣) صحيح : رواه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة . .

مسلمين لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام[١].

قوله ـ رحمه الله ـ فيما إذا سلم الكافر على المسلم فهل يرد عليه ؟

وإذا مد يده للمصافحة فما الحكم ؟ وكذلك خدمته بإعطائه الشاي وهو على الكرسي ؟

فأجاب بفضيلته بقوله :

إذا سلم الكافر على المسلم سلاما بيناً واضحاً فقال : السلام عليكم ، فإنك تقول : عليك السلام ، لقوله تعالى : ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ : [النساء : ٨٦] ، أما إذا لم يكن بينا واضحاً فإنك تقول : وعليك، وكذلك لو كان سلامه واضحا يقول فيه السام عليكم ـ يعني الموت ـ فإنه يقال : وعليك .

فالأقسام ثلاثة :

القسم الأول : أن يقول بلفظ صريح « السّام عليكم » فيجاب : «وعليكم».

القسم الثاني : أن نشك هل قال : «السّام » أو قال : «السلام » ، فيجاب: وعليكم .

القسم الثالث : أن يقول بلفظ صريح : « السلام عليكم » فيجاب : «عليكم السلام » ، لقوله تعالى : ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ .

قال ابن القيم[٢] ـ رحمه الله ـ : « فلو تحقق السامع أن الذي قال له :

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥) .

(٢) أحكام أهل الذمة (١/٢٠٠) .

سلام عليكم لا شك فيه ، فهل له أن يقول : وعليك السلام أو يقتصر على قوله وعليك ؟ فالذي تقتضيه الأدلة وقواعد الشريعة أن يقال له : وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل ، والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ : [النساء :٨٦] ، فندب إلى الفضل ، وأوجب العدل ، ولا ينافي هذا شيئا من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ـ ﷺ ـ إنما أمر بالاقتصار على قول الرد ، وعليكم على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم ، ثم قال ابن القيم: والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنه يعتبر عمومه في نظير المذكور لا فيما يخالفه ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ : [المجادلة : ٦] ، فإذا زال هذا السبب ، وقال الكتابي : سلام عليكم ورحمة الله فالعدل في التحية أن يرد عليه نظير سلامه وفي صحيح البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم : السّام عليكم ، فقولوا : وعليك** » ، والسّام: هو الموت .

وإذا مد يده إليك للمصافحة فمد يدك إليه وإلا فلا تبدأه .

وأما خدمته بإعطائه الشاي وهو على الكرسي فمكروه ، لكن ضع الفنجان على الماصة ولا حرج[1] .

سئل رحمه الله : شخص يعمل مع الكفار فبماذا تنصحونه ؟

فأجاب فقال :

« ننصح هذا الأخ الذي يعمل مع الكفار أن يطلب عملا ليس فيه أحد من أعداء الله ورسوله ممن يدينون بغير الإسلام ، فإذا تيسر فهذا هو الذي ينبغي ،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧ ، ٣٨) .

وإن لم يتيسر فلا حرج عليه لأنه في عمله ، وهم في عملهم ، ولكن بشرط أن لا يكون في قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة ، وأن يلتزم ما جاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورد السلام ونحو هذا ، وكذلك أيضاً لا يشيع جنائزهم، ولا يحضرها ، ولا يشهد أعيادهم ، ولا يهنئهم يها » [1] .

سئل رحمه الله : هل يجوز الذهاب إلى القس للتهنئة بسلامة الوصول والعودة ؟

فأجاب رحمه الله :

لا يجوز الذهاب إلى أحد من الكفار عند قدومه للتهنئه بوصوله والسلام عليه لأنه ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال : « **لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام**»[2].

وأما ذهاب النبي - ﷺ - لليهودى الذي كان مريضاً فإن هذا اليهودي كان غلاماً يخدم النبي - ﷺ - ليعرض عليه الإسلام ، فعرضه عليه فأسلم[3]، فأين هذا الذي يعوده ليعرض عليه الإسلام من شخص زار قساً ليهنئه بسلامة الوصول ويرفع من معنويته؟! لا يمكن أن يقيس هذا على ذاك إلا جاهل أو صاحب هوى[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩ ، ٤٠) .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم (٢١٦٧) ، وغيره .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري وغيره .

(٤) مجموع الفتاوي (٣/ ٤٧) .

سئل رحمه الله : إذا وجد الإنسان شخصاً غير مسلم في الطريق وطلب إيصاله فما الحكم ؟ وهل يجوز الأكل مما مسته أيدي الكفار :

فأجاب بقوله :

وإذا وجدت شخصاً غير مسلم في الطريق فلا حرج عليك أن تركبه لأن الله يقول : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ : [الممتحنة : ٨] ، أما الأكل مما مسته أيدي الكفار فجائز ، لأن نجاسة الكافر نجاسة معنوية لا حسّية[١] .

لا بأس لطالب العلم من اقتناء شيء من الكتب السابقة لإقامة الحجة على معتنقيها .

لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن من إنجيل أو توراة أو غيرهما لسببين :

السبب الأول : أن كل ما كان نافعا فيها فقد بينه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في القرآن الكريم .

السبب الثاني : أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : [آل عمران : ٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ : [المائدة : ٤٨] ، فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن . . . وأيضاً فالإنجيل الموجود الآن محرَّف ، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل يخالف بعضها بعضاً وليست إنجيلاً واحداً ، إذن فلا يعتمد عليه .

أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل فلا

---

(١) مجموع الفتاوي (٣/ ٤٤) .

مانع من معرفته لها لرد ما فيها من الباطل وإقامة الحجة على معتنقيها[١] .

الضوابط الشرعية في التعاون والتعامل مع الموظفين ذوي الجنسيات والديانات المختلفة :

الضوابط في هذا أن نقول : إن عمل الجميع لمصلحة العمل ، فأنت لا تستخدمه إلا لطبيعة العمل ، وهو إذا قدرنا أنه فوقك لا يستخدمك إلا لطبيعة العمل ، وهذا لا بأس به ولا حرج فيه ، أما لو أنك خدمته في أمر لا يتعلق بالعمل ، مثل أن تقرب له ملابسه أو تنسلها له ، فهذا لا ينبغي أن يذل المسلم نفسه إلى هذا الحد ، فالخلاصة : أن ما كان خدمة للعمل ، فليس خدمة للعامل وهذا جائز ، وأنا لا أنصح بالغلظة في رجل يشارك في العمل ولكن أنصح بعدم الإكرام لقول النبي ـ ﷺ ـ : « **لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه** »[٢] ، فهناك فرق بين الإكرام والإهانة ، أنا لا أهينه ولا أكرمه ولكن من باب المكافأة ، أن تقول له مثل ما يقول لك ، لقوله تعالى : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ : [الممتحنة : ٨] ، وأما في سبيل دعوته عندما تحسن إليهم ، من باب المعاملة الحسنة ، كي يقبل منك شريطاً أو كتاباً قد يقرأه ، أو يطلع عليه ، وقد لا يقرأه فلا بأس أما من باب الاكرام ، فلا تفعل ، والتأليف له باب آخر ، ولهذا قالوا في المؤلفة قلوبهم: هم من يرجى إسلامه[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢ ، ٣٣) .

(٢) صحيح : رواه مسلم (٢١٦٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٤٦) .

منهجه رحمه الله في إقناع منكري الحياة الآخرة :

من أنكر حياة الآخرة ، وزعم أن ذلك من خرافات القرون الوسطى فهو كافر .وأما إقناع هؤلاء المنكرين فيما يأتي :

أولاً : أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية ، وتلقته أممهم بالقبول ، فكيف تنكرونه وأنتم تصدقونه بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة ، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل ، ولا في شهادة الواقع ؟!!

ثانياً : أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه ، وذلك من وجوه :

١ ـ كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم ، وأنه حادث بعد أن لم يكن ، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ : [الروم : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ : [الأنبياء: ١٠٤] .

٢ ـ كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعاداتهم بالأولى قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : [الأحقاف : ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ : [يس : ٨٠] .

٣ ـ كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات ، فإذا نزل المطر عليها

أخصبت وحيي نباتها بعد الموت ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت : ٣٩] .

ثالثاً : أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع احياء الموتى ، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها ، قوله : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] .

رابعاً : أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازي كل نفس بما كسبت ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثا لا قيمة له ، ولا حكمة ولم يكن بين الناس وبين البهائم فرق في هذه الحياة ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٥، ١٦]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ : [طه : ١٥] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ : [النحل : ٣٨ ـ ٤٠] ، وقال ـ تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا على إنكارهم فهم مكابرون

معاندون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[1] .

قوله رحمه الله في مذهب المتصوفة البطالين والفلاسفة المتكلمين وما يجب على الداعية نحوهم

الصوفية يدَّعون أن الله يخاطبهم ويوحى إليهم ، وأنه يزورهم ويزورنه وهذا من خرافاتهم ، فهم جديرون بالمهاجمة ، لأن بعضهم يصل إلى حد الكفر والإلحاد بالله ، حتى يعتقد أنه هو الرب كما يقول بعضهم « ما في الجبة إلا الله» - يعني نفسه - ويقول :

الرب عبد والعبد رب . يا ليت شعري من المكلف

- يعني هما شيء واحد - إلى أمثال ذلك من الخرافات التي يقولونها ، لكن ينبغي أيضاً أن نهاجم ونركز على مهاجمة أهل الكلام الذين سلبوا الله من كماله بكلامهم أنكروا الصفات ، فمنهم من أنكر الصفات رأساً كالمعتزلة ، ومنهم من أثبت الأسماء ، لكن جعلها أسماء جامدة لا تدل على معنى ، وغالى بعضهم وقال : إنها أسماء واحدة ، وأن السميع هو البصير ، وأن السميع والبصير هو العزيز وهما شيء واحد ، وغالى بعضهم وقال : هي أسماء متعددة ، لكن لا تدل على معنى - مسلوبة المعنى - لأنهم لو أثبتوا لها معنى - بزعمهم - لزم تعدد الصفات ، وبتعددها وبتعدد الصفات يرون أنه شرك ، لأنهم يقولون : يلزم تعدد الصفات القديمة كالعلم والسمع والبصر ، فيلزم من ذلك تعدد القدماء ، وهو أشد شركا من النصارى .

فالحاصل أنه أيضاً ينبغي أن يهاجم على أهل الكلام الذين عطلوا الله ما يجب له من صفات كمال بعقول واهية[2] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢ - ٢٥) .

(٢) العلم (١١٤، ١١٥ ، ١١٦) .

لا يجوز الاجتهاد في العقيدة

إذا قلنا : إن الاجتهاد يكون خطأ وصوابا حتى في العقائد ، أنه يلزم أن تصوب النصارى في قولهم : إن الله ثالث ثلاثة ، ونحن نقول : إنه لا يمكن لأحد أن يقول : إن النصارى مجتهدون في التثليث ، فهذا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام - يقول الله له يوم القيامة : ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة : ١١٦ - ١١٧] ، فهذا نص من عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - الذي هو رسولهم أنه ما قال لهم إلا كلمة الإخلاص : « أن اعبدوا الله ربي وربكم » ، فكيف يقال : إنهم إذا قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ، إنهم مجتهدون ، أين الاجتهاد ؟! لو اجتهدوا لعلموا أنه لا إله إلا الله [١].

---

(١) شرح نظم الورقات (٢٠٧) .



الباب السابع

مسائل وتوجيهات
عامة في الدعوة

يجب على الإنسان أن يعلم أهله ويأمرهم

الإنسان مأمور بأن يُعلم أهله ولهذا قال النبي ﷺ : «**ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم ومروهم**»(١) يعلمونهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ، فالإنسان ينبغي له أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه ، إما أن يجعل جلسة خاصة لهم ، أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشبه ذلك يعلمهم.

ومن فوائد الحديث(٢) أن الإنسان لا يقتصر على التعليم فقط قال : «**علموهم ومروهم**» فيعلمهم ويأمرهم . وأهم ما يأمر به . الصلاة . وقد نص الرسول ﷺ عليها فقال: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»(٣) فلا بد من تعليم الأهل ، ولا بد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم (٤) .

أدب الاستماع للداعي إلى الله

ينبغي للإنسان أن يكون حسن الإصغاء إلى كلام جليسه . إذا لم يكن يتكلم بمحرم . وحسن الإصغاء يكون بالقول وبالفعل .

أما بالقول: فبألا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم، فيحصل بذلك التشويش بأن يكون كل واحد يتكلم مع جليسه، والذي ينبغي في المجالس أن يكون الكلام واحدًا حتى ينتفع الناس جميعًا بما يتكلم به بعضهم .

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٦٣) ومسلم (٦٧٤) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) هو حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه المشار إليه آنفا .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٥، ٤٩٦) والترمذي (٤٠٧) .

(٤) شرح رياض الصالحين (٧/ ١٥٥، ١٥٦).

وأما الإصغاء بالفعل: فينبغي إذا كان الإنسان يحدثك أن تقبل إليه بوجهك، وألا تلتفت يمينًا وشمالاً، لأنك إذا التفت يمينًا وشمالاً وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[1] فينبغي أن تصغى إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به، وأنك قد اهتممت بكلامه، إلا إذا كان يتكلم بشيء محرم. كغيبة، أو كلام لغو، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة، فإنك لا تصغي إليه. بل انهه عن ذلك الشيء.

فإن استمر يتكلم بالكلام المحرم ولم يصغ إلى قولك وإلى نصحك، فالواجب عليك أن تقوم من مكانك وأن تفارقه، لأن الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [2] [3].

سئل رحمه الله عن رجل لديه عمال لا يصلون فما نصيحتكم لهؤلاء العمال؟ وما الواجب على صاحب العمل ؟

لا شك أن المسلم ملتزم بجميع أحكام الإسلام من : الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها ، والواجب عليه أن يقوم بذلك على حسب ما أوجبه الله عليه ، وترك الصلاة كفر مخرج من الملة ، فمن تركها وهو مسلم فهو ملتحق ـ والعياذ بالله ـ بالكفار المرتدين ، ونصيحتي لهؤلاء العمال أن يتقوا الله، عز وجل وأن يرجعوا إلى دينهم ، وأن يؤدوا الصلاة حسب ما أمر الله بها ، هذا بالنسبة لهم ، أما بالنسبة لمن كانوا عنده فإن الواجب عليه إلزامهم بالصلاة،

---

(١) سورة لقمان: (١٨) .

(٢) سورة النساء: (١٤٠) .

(٣) شرح رياض الصالحين (٧/ ٧٤، ٧٥) . .

فإذا لم يفعلوا فليرفع بهم إلى ولاة الأمور ، ليقوموا بما يجب لأنه لا ينبغي أن يبقي عندك رجل مرتد عن الإسلام يعمل في ورشة أو غيرها ، والله الموفق[١].

سئل رحمه الله : عن امرأة توفي زوجها ولها ولدان بالغان ولا يصليان ولقد أمرتهما بالصلاة ونصحتهما وأخبرتهما عن إثم تارك الصلاة ولكن دون فائدة وهي مريضة ومتأثرة بذلك فإذا رأياها كذلك توددا إليها فيصليان ويتركان ، فماذا تفعل لهما ؟ وهل عليها إثم إذا تركتهما ؟

لا شك أن الإثم على الأولاد لأنهم بالغون ،وترك الصلاة كفر مخرج من الملة إذا تركها الإنسان ولم يصلي ، لأدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، وقد حكى بعض أهل العلم إجماع الصحابة على ذلك ، ولا شك أن الذي لا يصلي ليس في قلبه إيمان ، ؛ لأن الإيمان مقتضي لفعل الطاعة ، وأعظم الطاعات البدنية الصلاة ، فإذا تركها فهو دليل أنه ليس في قلبه إيمان ، وإن ادعى أنه مؤمن ، فإن من كان مؤمنا فإنه بمقتضى هذا الإيمان يكون قائما بهذه الصلاة العظيمة .

وأما أنت فعليك أن تتقي الله سبحانه وتعالى في نصحهم ، وإرشادهم ، وأمرهم بالصلاة ، ونهيهم عن إضاعتها ، وإيقاظهم من النوم ، وزجرهم لأدائها ، فإذا لم يفعلوا فإنما حسابهم على الله عز وجل ، وأكثري أيتها الأخت لهم من الدعاء بالهداية والتوفيق ، فلعل الله أن يستجيب لك فيكون بذلك سعادتك وسعادتهم إلى يوم القيامة[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٨) .

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٩) .

سئل رحمه الله : ماذا يفعل الرجل إذا أمر أهله بالصلاة ولكنهم لم يستمعوا إليه ، هل يسكن معهم ويخالطهم أو يخرج من البيت ؟

إذا كان هؤلاء الأهل لا يصلون أبداً فإنهم كفار ، مرتدون خارجون عن الإسلام ، ولا يجوز أن يسكن معهم ولكن يجب عليه أن يدعوهم ويلح عليهم ويكرر لعل الله أن يهديهم [١].

سئل رحمه الله : امرأة تقول : لي زوج لا يصلي في البيت ولا مع جماعة ، وقد نصحته ولم يجد به نصحي شيئا ، وقد أخبرت أبي وإخواني بذلك الأمر ، ولكنهم لم يبالوا بذلك ، وأخبركم أني أمنع نفسي منه ، فما حكم ذلك ؟ وكيف أتصرف ؟ مع العلم أنه ليس بيننا أولاد .

فأجاب بقوله :

إذا كان حال الزوج لا يصلي في البيت ولا مع الجماعة فإنه كافر ونكاحه منك منفسخ إلا أن يهديه الله فيصلي ، ويجب على أهلك وأبيك وإخوتك أن يعتنوا بهذا الأمر ، وأن يطالبوا زوجك بالعودة إلى الإسلام أو يفسخ النكاح، وامتناعك هذا في محله لا بالجماع ولا فيما دونه، وذلك لأنك حرام عليه حتى يعود إلى الإسلام، والذي أرى لك أن تذهبي إلى أهلك ولا ترجعي، وأن تفتدي منه نفسك بكل ما تملكين حتى تتخلصي منه ، ففري منه فرارك من الأسد.

وأما نصيحتي له : أن يعود إلى الإسلام ، ويتقي ربه ، ويقيم الصلاة ، فإنه إن لم يصلِّ فإنه كافر مخلد في نار جهنم ، يحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف ، وإنه إذا مات على هذه الحال فإنه لا حق له على المسلمين ، لا بتغسيل ، ولا بتكفين ، ولا بصلاة ، ولا بدعاء ، وإنما يرمى في

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧) .

حفرة لئلا يتأذى الناس برائحته ، فعليه أن يخاف الله - عز وجل - ويرجع إلى دينه ويقيم الصلاة وبقية أركان الإسلام من زكاة وصيام وحج بيت الله الحرام ، وأن يقوم بكل ما أوجب الله عليه ، وأن يسأل الله الثبات إلى الممات[1] .

ما حكم الذي لا يصلي إلا يوم الجمعة وهل يجوز مقاطعته إذا كانت المقاطعة ضرراً على العائلة؟

أولاً : إذا قلنا بأن الرجل لا يكفر إلا إذا ترك الصلاة بالكلية، فإن هذا الذي لا يصلي إلا يوم الجمعة لا يكفر، لأنه لم يتركها مطلقاً، وإن قلنا بأنه يكفر بترك الصلاة الواحدة أو الصلاتين يجمع أحدهما إلى الأخرى ، فإن هذا يكون كافراً .

فمتى حكمنا بالكفر فإنه يجب هجره ، ومقاطعته ، بل يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، أما إذا لم تحكم بكفره فإنه يبقي غير كافر ،يكون هجره وعدم هجره مبنياً على مصلحة ، فإن وجدنا مصلحة في هجره هجرناه ، وإن لم نجد مصلحة فإننا لا نهجره[2] .

توجيه منه رحمه الله للآباء الذين يهملون تربية أولادهم من الناحية الدينية بحجة التعب بعد عناء العمل .

الواجب على المؤمن أن يهتم بتربية أولاده اهتماماً بالغاً ليكون ممتثلاً بقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ : [التحريم : ٦]، وليقم بالمسؤلية التي حمله إياها رسول الله ﷺ في قوله : « **الرجل راع في أهله ،**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧ ـ ٥٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٠) .

ومسئول عن رعيته »[١] ولا يحل له أن يهملهم بل عليه أن يؤدبهم بحسب أحوالهم وبحسب جرائمهم ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر** [٢]» ، وليعلم أن هذه الأمانة التي حملها سوف يسأل عنها يوم القيامة ، فليعد الجواب الصواب حتى يتخلص من هذه المسئولية ، وسيجني ثمار ما عمل : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وربما يعاقب به في الدنيا فيبتلى بأولاد يسيئون إليه ويعقونه ولا يقومون بحقه »[٣] .

سئل رحمه الله : بعض الناس لا يصلي مع الجماعة فهل يجوز هجرهم ؟

فأجاب بقوله :

هؤلاء الذين لا يصلون مع الجماعة لا شك أنهم تركوا واجباً من الواجبات التي دل عليها كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، فإن الله أوجب الجماعة في حال الخوف ، فقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ** ﴾ : [النساء : ١٠٢] ، وإذا وجبت الجماعة في حال الخوف ففي حال الأمن من باب الأولى .

وأما الأحاديث فواجب الجماعة فيها ظاهر فمن ترك الصلاة مع الجماعة فهو آثم ، بل قال بعض العلماء : إن من ترك الصلاة مع الجماعة بلا عذر فصلاته باطلة ، وهو إحدى الروايات عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فهؤلاء الذين يتركون الجماعة يجب على جميع إخوانهم المسلمين ، ولا سيما أقاربهم أن يبادلوهم النصيحة ، ويخوفوهم من الله ـ عز وجل ـ ولا يحل هجرهم بهذه المعصية إلا أن يكون هجرهم سبباً

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) **صحيح** : أحمد (٢/ ١٨٧) أبو داود (٤٩٥ ، ٤٩٦) وصحيح الجامع (٥٨٦٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٧ ـ ١١٨) .

لاستقامتهم وقيامهم بالواجب فيجوز هجرهم بعد نصيحتهم وإصرارهم على المعصية(١) .

نصيحته رحمه الله لأهل الأهواء أصحاب الدشوش

وكذلك أوجه النصيحة إلى من يضع الدش في هذه الاستراحات وأقول له: اتق الله في نفسك ، ولا تكن سبباً لفساد الأخلاق ، ودمار الأديان ، بما يشاهد في هذه الدشوش ، كما إنني بالمناسبة أحذر صاحب كل بيت من أن يضع في بيته مثل هذا الدش ، لأنه سوف يخلفه بعد موته ، فيكون وبالاً عليه في حياته وبعد مماته .

وإني أسأل واضع الدش في بيته وهو يرى هذه المناكر التي تبث منه ، هل هو بهذا ناصح لأهل بيته أو غاش لهم ؟ والجواب : لا بد أنه غاش ، إلا أن يكون ممن طبع الله على قلبه فلا يحس ، ولكن سنقول : إنه غاش ، وأقول له: اذكر قول رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يسترعيه الله رعية فيموت حين يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه الجنة** »(٢) .

فأنت الآن إذا مت وقد وضعت لأهلك هذا الدش الذي لا يشك أحد أنه غش في البيت ، لأن البيت فيه نساء ، وفيه سفهاء صغار ، لا يتحاشون الشيء المحرم ، فأنت بهذا ممن يموت غاش لرعيته ، فتكون أهلاً للوعيد الشديد الذي جاء في الحديث ، فنصيحتي لإخواني : أن يبتعدوا عن هذا الدش ، وأن يفروا منه فرارهم من الأسد ، وإلا كيف يليق بالإنسان أن يدمر أخلاقه وأخلاق أهله نسأل الله العافية(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١ ، ٢٢) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٧٣١) ، ومسلم (١٤٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣١) .

رسالة (١) من أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ حفظه الله ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فإن بعض أعضاء الهيئة يتحرجون من بقائهم إلى ما بعد خروج بعض المساجد من الصلاة ، وتعلم يا فضيلة الشيخ أننا نضطر في بعض الأحيان إلى التأخر ، نرجوا من فضيلتكم التكرم بافتائنا في هذا الموضوع ؟ علماً أنه لا يخرج وقت الصلاة وجزاكم الله خيراً .

فأجاب فضيلته بقوله :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

ليس عليكم حرج إذا بقيتم في توجيه الناس إلى الصلاة ، ولو تأخرتم عن الصلاة في المساجد ، لأن هذه المصلحة عامة وتوجيه للخير ، فإن أدركتم آخر المساجد فصليتم فيه فذاك ، وإلا أنتم تصلون جماعة ، وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، كتبه محمد الصالح العثيمين في ٩/ ٧/ ١٤١٠هـ [١] .

رسالة (٢) من أعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين أمد الله في عمره على طاعته ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

لا يخفي على فضيلتكم أهمية عمل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يحتاج ذلك من وقت ومتابعة بحيث يتطلب الأمر في بعض الأحيان تأخيرهم للصلاة إلى حين خروج المساجد وتفويتهم للصلاة مع الجماعة ولكثرة كلام الناس في ذلك واتهام الأعضاء بعدم المحافظة على الجماعة ودرءًا للشبهة

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٥) .

حول ذلك ، نأمل من فضيلتكم بسياق ذلك بفتوى خطية ، فلكم من الله الأجر والمثوبة إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فأجاب فضيلته بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

لا حرج على الإعفاء إذا بقوا يوجهون الناس للصلاة ويأمرونهم بها ولو تأخروا على الجماعة في المساجد ، لأن عملهم هذا مصلحة عامة ودعوة للخير، فإن أدركوا آخر المساجد فصلوا معهم فذاك ، وإلا صلوا وحدهم جماعة في أي مسجد ، ولا عبرة باتهام من اتهمهم بعدم المحافظة على الجماعة ؛ لأن الأعضاء محل ثقة وعملهم هذا في مصلحة المسلمين ، ولقد هم النبي ﷺ أن يأمر بالصلاة فتقام ، ثم انطلق إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، ومعه رجال معهم حزم من حطب فيحرق على المتخلفين بيوتهم بالنار ، ومعلوم أن هؤلاء الرجال لن يحضروا الصلاة التي أقيمت لأنهم مشتغلون بمصلحة تأديب المتخلفين ، فمن اتهم الأعضاء بما ذكر فليبين له الحكم في ذلك ، والله الموفق .

كتبه محمد الصالح العثيمين في ٢/ ١١/ ١٤١٠ هـ

رسالة حول تحديد موعد منتظم لإلقاء محاضرة هل هو بدعة ؟ :

إن تحديد يوم معين منتظم لإلقاء محاضرة ، أو حلقة علم ليس ببدعة فهي ببعيدة عنها ـ بل هو مباح ـ كما يقرر يوم معين في المدارس والمعاهد لحصة الفقه، أو التفسير ، أو نحو ذلك ، ولا شك في طلب العلم الشرعي من العبادات لكن توقيته بيوم معين تابع لما تقتضيه المصلحة ، ومن المصلحة أن يعين يوم لذلك ؛ حتى لا يضطرب الناس ، وطلب العلم ليس عبادة مؤقتة بل هو

بحسب ما تقتضيه المصلحة والفراغ .

لكن لو خص يوماً معيناً لطلب العلم باعتبار أنه مخصوص لطلب العلم وحده فهذا هو البدعة(١).

سئل رحمه الله : إذا هدد الكفيل مكفوله المسلم بالفصل من العمل إذا لم يفطر في رمضان فهل يفطر ؟ وما نصيحتكم لهذا الكفيل ؟

فأجاب رحمه الله :

لا يجوز للإنسان أن يدع فرائض الله من أجل تهديد عباد الله ، بل الواجب على الإنسان أن يقوم بالفرائض ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أرأيت لو قال لك : لا تصلي ، فإن صليت فلا تعمل عندي ، هل تطيعه في ذلك ؟ لا شك أنك لا تطيعه ، وهكذا جميع الفرائض التي فرضها الله عليك ، لا يحل لك أن تدعها لتهديد غيرك بمنعك من العمل إذا قمت بها .

ونقول لهذا الذي استأجر هذا العامل : إن الذي يليق بك وأنت رجل مسلم أن تعينه على طاعة الله من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات ، التي يقوم بها هذا العامل مع وفائه بالعقد الذي بينك وبينه ، فإنك إذا فعلت ذلك فقد أعنته على البر والتقوى ، والمعين على البر والتقوى كالفاعل ، كما قال النبي ﷺ : «**من جهز غازياً فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا** »(٢) ، فأنت يا أخي اتق الله في هؤلاء العمال ، ولا تحرمهم فضل الله عز وجل الذي لا يمنع العمل ولا ينقصه ، بل إن هذا قد يكون سبباً لبركة العمل ، وأضيف إلى هذا أنه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٠١ ، ٢٠٢) .

(٢) **صحيح** : البخاري (٢٨٤٣) ومسلم (١٨٩٥) .

كثرت الشكاوي من العمال في مكفوليهم ، حيث إن بعض الكفلاء نسأل الله لنا ولهم الهداية ، يؤذون المكفول ويماطلونه بحقه ، ربما يبقى شهرين ، أو ثلاثة ، أو أربعة لم يسلمه حقه ، بل ربما ينكر ذلك أحياناً ، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « **أن الله تعالى قال : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره** »[1] ، ثم اتق الله في هؤلاء الفقراء المساكين الذين جاؤوا يريدون لقمة العيش في هذه البلاد ، فتماطلهم حقهم شهرين ، أو ثلاثة، أو أربعة ، أو أكثر من ذلك ، وهم في حاجة وأهلوهم قد يكونون في ضرورة »[2].

يجب على ولاة الأمور أن يأمروا بالرفق واللين

قال رحمه الله عن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم ، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا، فرفق بهم فارفق به**» [3] .

وهذا دعاء من النبي ﷺ ، على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة ؛ فيقع على الإنسان يتولى أمر بيته ، وعلى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة ، وعلى المدرس يتولى أمر الفصل، وعلى الإمام يتولى أمر المسجد .

ولهذا قال : «**من ولي من أمر أمتي شيئًا**» ، «وشيئًا» نكرة في سياق

(١) صحيح البخاري (٢٢٢٧) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦) .

(٣) رواه مسلم (١٨٢٨) .

الشرط، وقد ذكر علماء الأصول أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم ؛ أي شيء يكون ، «**فرفق بهم فارفق به**» ولكن ما معنى الرفق؟ قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون وليس الأمر كذلك . بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالناس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله فإنك تدخل في الطرف الثاني من الحديث، وهو الدعاء عليك بأن يشق الله عليك والعياذ بالله . يشق عليك إما بآفات في بدنك ، أو في قلبك ، أو في صدرك أو في أهلك ، أو في غير ذلك ، لأن الحديث مطلق «**فاشقق عليه**» بأي شيء يكون ، وربما لا يظهر للناس المشقة ، قد يكون في قلبه نار تلظى والناس لا يعلمون ، لكن نحن نؤمن بأنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل الله به سلطانًا فإنه مستحق لهذه العقوبة من الله تعالى (١) .

يجب على ولاة الأمور أن ينصحوا لمن ولاهم الله أمرهم

ولاة الأمور مسئولون عن الصغيرة والكبيرة، وعليهم أن ينصحوا لمن ولاهم الله أمرهم وأن يبذلوا لهم النصيحة ، وأهمها النصيحة في دين الله ، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير .

ومن النصيحة لهم أن يسلك بهم الطريق التي فيها صلاحهم في معادهم

---

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٥٤، ٣٥٥).

ومعاشـهم، فيمنع عنهم كل ما يضـرهم في دينهم ودنياهم ، يمنع عنهم الأفكار السيئة، والأخلاق السافلة، وما يؤدي إلى ذلك من المجلات والصحف وغيرها، ولهذا يجب على ولي الأمـر في البيت وهو الرجل في بيتـه أن يمنع من وجود هذه الأشياء في البيـت؛ الصحف السيئة الفاسدة، الأفكـار المنحرفة ، الأخلاق السافلة، وكذلـك فإن ولي الأمر العام يجب عليه أن يمـنع هذه الأشياء ؛ وذلك لأن هذه الأشياء إذا شـاعت بين الناس صار بهيـميًا ؛ لا يهمه إلا إشـباع البطن وشهوة الفـرج ، وتحصل الفوضى، ويزول الأمن ، ويكون الشر والفـساد، فإن منع ولي الأمر ما يفـسد الخلق، حصل بهذا الخير الكثـير ، لو أن كل واحد منا في بيـته منع أهله من اقـتناء هذه الصحف والمجـلات الخليعـة الفاسـدة، ومن مشاهدة التمثيليات الفـاسدة، والمسلسلات الخبيثة، لصلح الناس، لأن الناس هم أفراد الشعب ، أنت في بيتك، والثاني في بيـته ، والثالث في بيته ، وهكذا إذا صلحـوا صلح كل شيء، نسأل الله أن يصـلح ولاة أمورنا وأن يرزقـهم البطانة الصالحة (١) .

كيف النصح لولاة الأمور

ولو أن الناس كفوا ألسنتهم ونصحوا لولاة أمورهم ، ولا أقول أُسكت على الخطأ ، لكن أكتب لولاة الأمور. اكتب كتابا إن وصل فهذا هو المطلوب . وإذا انتـفعـوا به فهـذا أحسن ، وإذا لم ينتـفـعوا به فـالإثم عليهم ، إذا كـان خطأ صحيحًا، وإذا لم يصل إليهم فالإثم على من منعه عنهم .

(١) شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٥١، ٣٥٢).

قوله ﷺ فيما بايعوا عليه النبي ﷺ : **«وأن نقول بالحق أينما كنا»** [١] يعني أن نقوم بالحق الذي هو دين الإسلام وشرائعه العظام أينما كنا . يعني في أي مكان ؛ سواء في البلد، أو في البر، أو في البحر، أو في أي مكان ، وسواء في بلاد الكفر، أو في بلاد الإسلام ، نقوم بالحق أينما كنا ، لا تأخذنا في الله لومة لائم، يعني لا يهمنا إذا لامنا أحد في دين الله، لأننا نقوم بالحق ، فمثلاً لو أراد الإنسان أن يطبق سنة يستنكرها العامة ، فإن هذا الاستنكار لا يمنع الإنسان من أن يقوم بهذه السنة[٢] .

لا يجوز مقاتلة الأمراء إذا وجد فيهم المنكر

الأمراء إذا رأينا منهم ما ننكر ، فإننا نكره ذلك وننكر عليهم، فإن اهتدوا ، فلنا ولهم ، وإن لم يهتدوا فلنا وعليهم .

وأنه لا يجوز أن نقاتل الأمراء الذين نرى منهم المنكر ، لأن مقاتلتهم فيها شر كثير، ويفوت بها خير كثير، لأنهم إذا قوتلوا أو نوبذوا لم يزدهم ذلك إلا شرًا، فإنهم أمراء يرون أنفسهم فوق الناس، فإذا نابذهم الناس أو قاتلوهم ازداد شرهم، إلا أن النبي ﷺ اشترط لقتالهم شرطًا فقال: **«ما أقاموا فيكم الصلاة»**[٣] .

فدل هذا على أنهم إذا لم يقيموا الصلاة، فإننا نقاتلهم [٤] .

---

(١) حديث صحيح أخرجه البخاري (٧٠٥٦) ، ٧١٩٩، ٧٢٠٠) ومسلم (١٧٠٩) وهو من حديث أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٢١) .

(٣) جزء من حديث صحيح رواه مسلم (١٨٥٤).

(٤) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٣٢).

سُئل رحمة الله عليه .

ما موقفنا ممن يدعو إلى الانتماء لحزب الإخوان أو التبليغ بمنطق الإخوة والمحبة في الله؟

إذا كان أحدُ يدعو إلى هذين الحزبين بناءً على المحبة في الله الإخوة في الله فإن هذه هي النية السليمة أعني أن كونه يحب أن يكون المسلمون إخوة متحابين في الله عز وجل ، ولكن كونه يدعو إلى حزب دون حزب، وينتمي إلى حزب دون آخر ليس بصحيح ، والذي أرى أن يكون الحزبان حزبًا واحدًا حتى لا نتفرق (١) .

بل يجب أن نكون أمة واحدة وإن اختلفنا في الرأي، أما أن نكون أحزابًا ـ هذا إخواني ـ يعني من الإخوان المسلمين ـ وهذا سلفي ـ وهذا تبليغي .

وهذا لا يجوز الواجب أن كل هذه الأسماء ينبغي أن تزول، ونكون أمة واحدة، وحزب واحد على أعدائنا (٢) .

موقف المسلم الداعي إلى الله من كثرة واختلاف الجماعات كالتبليغ والإخوان والسلفية

* والله موقفي أنا من هذا أنه أمر مؤلم ومؤسف، ويخشى أن هذه النهضة والصحوة الإسلامية تعود فتخمد، وتتحطم وتُشل ، لأن الناس إذا تفرقوا، كانوا كما قال الله عز وجل : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(٣) .

---

(١) الصحوة (١٥٨).

(٢) شرح حلية طالب العلم (١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) الأنفال : الآية : (٤٦) .

إذا تفرقوا وتنازعوا فشلوا أو خسروا، وذهب ريحهم، ولن يكون لهم وزن وأعداء الإسلام ـ ممن يتسمون بالإسلام ظاهرًا، أو ممن هم أعداء له ظاهرًا وباطنًا يفرحون بهذه التفرقة وهم يوقدون نارها .

فالواجب علينا أن نقف ضد كيد هؤلاء المعادين لله ولرسوله ولدينه وأن نكون أمة واحدة ، وأن يجتمع بعضنا إلى بعض ، ويستفيد بعضنا من بعض، وأن نجعل أنفسنا كداعٍ واحدٍ وطريق ذلك أن يجتمع في كل بلد الزعماء الذين لهم كلمة في إخوانهم ويتدارسون الوضع، ويجتمعون على خطة تكون جامعة للجميع، وحتى وإن اختلف منهاج الدعوة إلى الله عز وجل فلا يهم، المهم أن نكون إخوة متآلفين على الحق متحابين [١] .

سئل رحمه الله :

جماعة التبليغ دعوتهم تدور حول ما يسمونه الصفات الست وهي صفات الصحابة، فهل لهذه الصفات أصل في الكتاب والسنة؟ وما رأيك في هذه الصفات؟

الصفات الست التي يدعو إليها إخواننا جماعة التبليغ لا شك أنها صفات حسنة حميدة ، ولكنها ليست هي الصفات التي تنحصر فيها صفات الداعين والمدعوين إلى الله عز وجل ، بل هم تركوا صفات عظيمة أعظم مما دعوا إليه ، أو أعظم من بعض ما دعوا إليه ، لكن هذا اجتهاد منهم .

ولهذا كتبنا إلى بعض الناس أن هذه الدعوة قاصرة، وأنه يجب أن يركزوا دعوتهم على ما جعله النبي ﷺ ، دينًا لنا، وهو ما دل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فدخل رجل شديد بياض الثياب

---

(١) الصحوة (١٥٦ ـ ١٥٧).

شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه ووضع يده على فخذيه وقال : «**يا محمد ! أخبرني عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**» قال : صدقت. . . الحديث .

وفي آخره قال النبي ﷺ : «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» (١) . فلو أن إخواننا جماعة التبليغ ركزوا دعوتهم على هذه الأصول التي سماها النبي ﷺ ، دينًا لكان خيرًا وأقوم .

والصفات الست التي دعوا إليها لا شك أن فيها قصورًا عظيمًا ، يجب عليهم أن يكملوها مما دل عليه الشرع (٢) .

سئل رحمه الله:

أيهما أفضل مخالطة الناس بعد العشاء لتعليمهم وإرشادهم ونصحهم بحيث لا يمكن قيام الليل ، أو اعتزالهم حتى يتم قيام الليل ؟

طلب العلم أفضل من قيام الليل، لأن طلب العلم كما قال الإمام أحمد «لا يعدله شيء لمن صحت نيته، قالوا: كيف ذلك ؟ قال: ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره ، فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل في طلب العلم ابتغاء لوجه الله ، سواء كان يَدْرسُه أو يُدَرِّسُهُ أو يُعَلِّمهُ ، ثم يقوم الليل ، فهو أفضل، لكن إذا تزامن الأمران ، فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى، ولهذا أمر

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رقم (٥٠) كتاب الإيمان باب (٣٧) ومسلم من حديث عمر ابن الخطاب رقم (١، ٨) .

(٢) الصحوة (١٦٥، ١٦٦).

النبي ﷺ أبا هريرة أن يوتر قبل أن ينام [(١)] ، قال العلمـاء : وسبب ذلك أن أبا هريرة كان يحفظ أحاديث الرسـول أول الليل ، وينام آخر الليل . فأرشده النبي ﷺ إلى أن يوتر قبل أن ينام[(٢)].

لماذا لا تحقق مسائل الخلاف ليتبين للدَّاعـية وجه الصواب فيها، وذلك لجمع كلمة الأمة؟

* أرى أنه إذا أردنا أن نجمع العلمـاء في بلد ما فسيكون هناك اخـتلاف في الرأي ، حتى وإن حققنا مسائل الخـلاف ، فإنه سيقع الخلاف ، ولكن الواجب عليهم أن يتقـوا الله ما استطاعوا ، وألا يكون الدافع لقبـول هذا العالم المخالف للعالم الآخر هو الهوى، بل الدافع هو قصد الهدى.

وعلى هذا يتـبع الإنســان عـند اخـتلاف الـعلمـاء من يرى أنه أقـرب إلى الصواب، لعلمه ودينه وأمانته. وأمـا أن نجمع النّاس على قول واحد فالظاهر أن هذا أمر متعذر ولا يمكن .

كل دعوة بلا علم فإنها لا بد أن يكون فيها انحراف وضلال

وأما الدعـوة بدون علم فإنها دعـوة على جهل والدعوة على الجهل ضررها أكبر من نفعها، لأن هذا الداعية قد نصب نفـسه موجهًا ومرشدًا فإذا كان جاهلاً فإنه بذلك يكون ضالاً مضلاً والعياذ بالله، ويكون جهله هذا جهلاً مركبًا والجهل المركب أشد من الجهل البسيط . فالجـهل البسيط يمسك صاحبه ولا يتكلم ويمكن رفعه بـالتعلم ولكن المشكلة كل المشكلة في حال الجـاهل المركب إن هذا الجاهل

(١) متفق عليه . البخاري (١١٧٨، ١٩٨١) ومسلم (٧٢١) .

(٢) العلم (١٤٥).

المركب لن يسكت بل سيتكلم ولو عن جهل وحينئذ يكون مدمرًا أكثر مما يكون منورًا [١] .

أيها الإخوة . . . إن الدعوة إلى الله بغير علم خلاف ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتبعه ، واسمعوا إلى قول الله تعالى آمرًا نبيه، ﷺ حيث قال : **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** . فقال : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، أي أن من اتبعه ﷺ فإنه لابد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل[٢] .

ولهذا حذر النبي ﷺ من هذا الأمر عندما يقبض العلماء فلا يبقى إلا رؤساء جُهال يفتون بغير علم فيضلون ويضلون [٣] .

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فمن الأولى به أن يتعلم أولاً ثم يدعو ثانيًا . قد يقول قائل: هل قولك هذا يعارض قول النبي ﷺ : **«بلغوا عني ولو آية»**؟ [٤] .

فالجواب: لا : لأن الرسول ﷺ ، يقول: **«بلغوا عني»** إذن فلا بد أن يكون ما نبلغه قد صدر عن رسول الله ﷺ وهذا هو ما نريده ولسنا عندما نقول إنَّ الداعية محتاج إلى العلم لسنا نقول: إنه لا بد أن يبلغ شوطًا كبيرًا في العلم ولكننا نقول: لا يدعو إلا بما يعلم فقط ولا يتكلم بما لا يعلم [٥] .

* * *

---

(١) الصحوة (٢٤).

(٢) الصحوة (٢٥، ٢٦).

(٣) الصحوة (٢٤).

(٤) البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٥) الصحوة (٣١) زاد الداعية (١٦).

تضخيم أخطاء العلماء ديدن كثير من الشباب ، كيف يمكن أن توجه الشباب في هذا الجانب ؟

ـ **أقول** : أسأل الله أن يعين العلماء على ما ينالهم من ألسنة السفهاء ، لأن العلماء ينالهم أشياء كثيرة ، أولاً أننا نسمع ما ينسب إلى بعض أهل العلم المرموقين ، ثم إذا تحققنا وجدنا أن الأمر على خلاف ذلك ، كثيراً ما يقال : قال فلان كذا ، فإذا بحثنا وجدنا الأمر على خلاف ذلك ، وهذه جناية كبيرة ، وإذا كان الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، يقول : « **ليس كذب علي ككذب عليكم** » ، أو ما هذا معناه .

فالكذب على العلماء فيما يتعلق بشرع الله ليس بكذب على واحد من الناس ، لأنه يتضمن حكماً شرعياً ينسب إلى هذا العالم الموثوق به ، ولهذا كلما كانت ثقة الناس بالعالم أكثر صار الكذب عليه في هذه الأمور أكثر ، وأخطر أيضاً ؛ لأن كل واحد من العامة لو تقول : قال فلان ما يستجيب لك لكن لو تقول : قال فلان ممن يثقون به لاستجابوا لك فتجد بعض الناس له رأي أو فكر يرى إنه الحق ، ويحاول أن يكون الناس عليه ولا يجدون طريقاً إلى ذلك إلا أن يكذب على أحد العلماء الموثوق بهم فيقول : هذا قول فلان ، وهذه مسألة خطيرة جداً وليست جرحاً للعالم شخصيا بل هي تتعلق بحكم من أحكام الله عز وجل ، هذا واحد .

ثانياً : تضخيم الأخطاء كما قلت ، هذا أيضاً خطأ ، خطأ وعدوان ، فالعالم بشر يخطئ ويصيب لا شك ولكن إذا أخطأ العالم فالواجب علينا أن نتصل به وأن نقول له هل قلت كذا ؟ إذا قال نعم وكنا نرى أنه خطأ قلنا له هل لديك دليل ؟ وإذا دخلنا معه في المناقشة يتبين الحق وكل عالم منصف يخشى الله عز وجل لا بد أن يرجع إلى الحق ، ولا بد أن يعلن رجوعه أيضاً ، وأما تضخيم الخطأ ثم يذكر في أبشع حالاته فهذا لا شك أنه عدوان على أخيك

المسلم ، وعدوان حتى على الشرع ، إن استطعت أن أقول هذا لأن الناس إذا كانوا يثقون بشخص ثم زعزعت ثقتهم به فإلى من يتجهون أيبقى الناس مذبذبين ليس لهم قائد يقودهم بشريعة الله ، أم يتجهون إلى جاهل يضلهم عن سبيل الله بغير قصد أم يتجهون إلى عالم سوء يصدهم عن سبيل الله بقصد[١].

هل يجوز للداعية أن يقول كلمة الكفر ولا تضره دفعاً للإكراه

هذا فيه تفصيل إن كانت المسألة تتعلق به نفسه فله الخيار إن شاء قال كلمة الكفر دفعًا للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان ، وإن شاء أصر وأبى ولو قتل هذا إذا كان الأمر عائدًا إلى الإنسان بنفسه .

أما إذا كان الأمر يتعلق بالدِّين بمعنى أنه لو كفر ولو ظاهرًا أمام الناس لكفر الناس فإنه لا يجوز له أن يقول كلمة الكفر بل يجب أن يصبر ولو قتل ، كالجهاد في سبيل الله، المجاهد يقاتل ولو قتل لأنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا فإذا كان إمامًا للناس وأجبر على أن يقول كلمة الكفر فإنه لا يجوز أن يقول كلمة الكفر لا سيما في زمن الفتنة بل عليه أن يصبر ولو قتل.

ومثل ذلك ما وقع للإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ حين امتحن المحنة العظيمة المشهورة على أن يقول إن القرآن مخلوق ليس كلام الله فأبى فأوذى وعزِّر حتى إنه يجر بالبغلة بالأسواق ، إمام أهل السنة ـ يجر بالبغلة بالأسواق ويضرب بالسوط حتى يغشى عليه ، ولكنه كلما أفاق قال: القرآن كلام ربي غير مخلوق. وإنما لم يجز لنفسه أن يقول كلمة الكفر مع الإكراه ، لأن الناس ينتظرون ماذا يقول الإمام أحمد فلو قال القرآن مخلوق لصار كل الناس يقولون

---

(١) الصحوة (١١٩ ـ ١٢٠) .

القرآن مخلوق وفسد الدين.

ولكنه ﷺ جعل نفسه فداءً للدين ومع هذا صبر واحتسب وكان العاقبة له ولله الحمد.

مات الخليفة ومات الخليفة الثاني الذي بعده وأتى الله بخليفة صالح أكرم الإمام أحمد إكرامًا عظيمًا فما مات الإمام أحمد حتى أقر الله عينه بأن يقول الحق عاليا مرتفع الصوت ويقول الناس الحق معه.

وخذل أعداؤه ولله الحمد وهذا دليل على أن العاقبة للصابرين وهو كذلك والله الموفق[1].

موقف أهل النفاق من أهل الخير والدعوة

وهكذا المنافق شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لزمهم وإن رأى المقصرين لزمهم وهو أخبث عباد الله فهو في الدرك الأسفل من النار.

المنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا: هؤلاء متزمتون وهؤلاء متشددون وهؤلاء أصوليون هؤلاء رجعيون وما أشبهه من الكلام.

فكل هذا موروث عن المنافقين في عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا. لا تقولوا ليس عندنا منافقون! بل عندنا منافقون ولهم علامات كثيرة!!

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين في الجزء الأول صفات كثيرة من صفات المنافقين كلها مبينة في كتاب الله عز وجل.

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ١٦٢، ١٦٣).

فإذا رأيت رجلاً يلمز المؤمنين من هنا ومن هنا فاعلم أنه منافق والعياذ بالله[1].

سئل رحمه الله : ما هي الكتب التي تنصح بها المبتدىء في طلب العلم وخاصة في العقيدة ؟

من أحسن ما يكون في العقيدة: كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو زبدة مختصرة في عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي تحتاج إلى شرح، ويحتاج المبتدئ إلى من يشرحها له ، وكتاب عقيدة السفاريني، وهي منظومة ، وفيها بعض الإطلاقات التي تخالف بظاهرها مذهب السلف كقوله:

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى في العلى

فهذا القول يخالف ما كان عليه السلف، وإذا درس الطالب هذه العقيدة على شيخ ملم بالعقيدة ، وبين له الإطلاقات المخالفة لعقيدة السلف فذلك مفيد.

وإن كان المبتدئ صغير فليبتدئ بحفظ عمدة الأحكام ، وهو مختصر، وعامة أحاديثه في الصحيحين . فلا يحتاج إلى البحث عن صحتها ، والسؤال عن مخرجيها.

وفي المصطلح: من أجمع ما يكون نخبة الفكر لابن حجر رحمه الله، وهي عبارة عن ثلاث أو أربع صفحات يحفظها الإنسان، وتبقى في ذهنه، وينتفع بها بعد كبره.

وفي التفسير: تفسير ابن كثير وهو جيد مفيد مأمون ، وتفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أيضًا سهل وجيد ومأمون فليبتدئ بهما، ثم بعد ذلك

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢٣٩، ٢٤٠).

فليتوسع.

وفي الفقه: زاد المستقنع الذي عليه شرح الروض المربع، وهو كتاب مبارك مختصر وجامع، وقد أشار علينا به شيخنا عبد الرحمن السعدي مع أنه حفظ متن دليل الطالب، لكن قال لنا : احفظوا زاد المستقنع .

وفي النحو : يبدأ بالأجرومية . وهو كتاب مختصر مبسط يحفظه الطالب ويقرأه وهو جيد ، ثم بعد ذلك أشير بحفظ ألفية ابن مالك، لأنها خلاصة النحو ، وهي مفيدة للطالب .

ومن أحسن ما رأيت في السيرة: كتاب زاد المعاد لابن القيم، لأنه يذكر سيرة النبي ﷺ في جميع أحواله مع استنباط أحكام كثيرة من الغزوات .

وفي أصول الفقه صعوبة: وقد ألفت فيه كتابًا مختصرًا بعنوان «الأصول من علم الأصول» يفتح الباب للطالب .

وفي الفرائض: البرهانية وهو كتاب مختصر مفيد جامع لكل الفرائض، ومؤلفه محمد البرهاني .

وسئل رحمة الله عليه :

ماذا يجب عليّ تجاه أحد الأساتذة عندما يخطئ ، وخصوصًا في المواد الدينية، وأنا متأكد من الجواب الصحيح؟

هذا سؤال مهم حيث نجد أن بعض الأساتذة لا يريد لأحد أن يخطئه مهما ارتكب من الخطأ، وهذا ليس بصحيح، فكل إنسان معرض للخطأ، والإنسان إذا أخطأ ونبه، فهذا من نعمة الله عليه، حتى لا يغتر الناس بخطئه، ولكن ينبغي للطالب أن يكون عنده شيء من اللباقة ، لا يقوم أمام الطلبة يرد على هذا المدرس ، فهذا يخالف الأدب، ولكن يكون ذلك بعد انتهاء المدرس، فإن اقتنع

المدرس، فعليه أن يعيد ذلك أمام الطلبة في الدرس المقبل، وإن لم يقتنع فعلى الطالب أن يقوم أمام الطلبة في الدرس المقبل ليقول: يا أستاذ إنك قلت: كذا وكذا، وهذا ليس بصحيح[١].

وسئل رحمه الله : أنا طالب علم في الجامعة ، وكل دراستي نظريات غربية تنافي تعاليم الشرع، فما رأيكم ، إذا علمت أنني أنوي نقد مثل هذه النظريات ونفع الأمة الإسلامية في دراستي الحالية وبعد تخرجي؟

أقول: هذا لا شك أنه من الجهاد في سبيل الله، أن يدرس الإنسان هذه النظريات المخالفة للإسلام ، حتى يرد عليها عن علم . ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ، وقد أرسله إلى اليمن : «**إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب**» [٢] ، فأخبره بحالهم، كي يستعد لهم، وكذلك العلماء الذين درسوا هذه الأمور كشيخ الإسلام ابن تيمية، درس من العلوم والنظريات الفلسفية وغيرها ما يستطيع أن يرد بها على أصحابها .

فإن كنت تتعلم هذه الأمور للرد ، وأنت واثق أن لديك المقدرة والحصانة على الرد ، بحيث لا تتأثر بها، بأن يكون لديك علم شرعي راسخ ويكون لديك عبادة وتقوى فأرجو ـ إن شاء الله تعالى ـ أن يكون هذا خيرًا لك ونفعًا للمسلمين ، وأما إذا كنت ترد عليها بشيء غير مقبول أو ليس لديك دليل، فلا تنتهج هذا الطريق، وكذلك إذا كنت تعرف بنفسك أنك لست على يقين كامل وثبات راسخ، فأنا أشير عليك أن تدع هذه الأمور ، لأنها خطيرة ، ولا ينبغي لإنسان أن يتعرض للبلاء مع الخوف منه» [٣] .

---

(١) العلم (١٤٦).

(٢) متفق عليه . البخاري (١٣٩٥، ١٤٥٨، ٤٣٤٧) مسلم (١٩).

(٣) العلم (١٢٥).

وسئل رحمه الله:

أنا طالب علم ، وأهلي عندهم ظروف مادية، فقال لي والدي : اعمل علينا أفضل لك من طلب العلم، فهل أترك دراستي للعلم، وهل العمل على الأهل أفضل أم لا؟

لا شك أن طلب العلم أفضل ـ اللهم إلا في الضرورة ـ إلا أنه يمكنه أن يجمع بينهما ، ولا سيما أن الحالة الاقتصادية ـ والحمد لله ـ أن أكثر الناس قد وسع الله عليهم ـ فيمكن أن تقوم بحاجة أهلك ، فتتزوج امرأة تكون عندها بعض المؤنة، وتكون مستمرًا في طلب العلم» (١) .

دعوته رحمه الله طالب العلم لإتقان علمه

هذه الفقرة من أهم الفقرات ، وهو إتقان العلم وضبطه ومحاولة الرسوخ في القلب، لأن ذلك هو العلم، ولا بد أن يكون على شيخ متقن أما الشيخ المتمشيخ فإياك إياك فقد يضرك ضررًا كثيرًا والإتقان يكون في كل فن بحسبه، قد تجد رجلاً متقنًا في علم الفرائض مثلاً غير متقن في أحكام الصلاة ، وتجد رجلاً متقنًا لعلوم العربية غير عارف بالعلوم الشرعية وآخر بالعكس . فخذ من كل عالم ما يكون متقنًا فيه ما لم يتضمن ذلك ضررًا ، مثل أن تجد رجلاً متقنًا في علوم العربية ، لكنه يتحرف في عقيدته وسلوكه فهذا لا ينبغي أن نجلس إليه لأننا إذا جلسنا إليه اغتر به الآخرون وظنوا أنه على حق . فنحن نطلب العلم على غيره وإن كان أجود الناس في هذا الفن، لكن ما دام منحرفًا فلا ينبغي أن نجلس إليه .

---

(١) العلم (١٢٤).

وسُئل رحمه الله :

زملائي في العمل حديثهم دائمًا عن الجنس والمجلات الخليعة ، وأنكر عليهم ذلك لكن دون فائدة فما العمل؟

إذا كان هؤلاء الذين يتحدثون حديثًا محرمًا لا يمكن إصلاحهم بنصح . فإن الواجب عليك أن تخرج من هذه الوظيفة إلى وظيفة أخرى ، لأن الجلوس مع العصاة مع القدرة على مفارقتهم مشاركة لهم في الإثم كما قال الله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (١) فالواجب عليك إذا لم يحصل تغير في أحوالهم، أن تطلب وظيفة أخرى حتى لا تشاركهم في الإثم ، وإذا علم الله من نيتك أنك تحاول الهروب من هذا المحرم يسر الله لك الأمر لقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٢) وقوله : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (٣) .

قوله رحمة الله عليه في بعض طلاب العلم يقصرون في واجب الدعوة إلى الله وتربية الناس، بحجة قلة بضاعتهم العلمية، والبعض يحتج بالبعد عن الشهرة إلى غير ذلك من الأعذار .

أما الاعتذار الأول: وهو قلة العلم ، فقد ثبت عن النبي ﷺ ، أنه قال : «**بلغوا عني ولو آية**» فليبلغ من العلم ما بلغه علم، ويكون بذلك على خير وأجر .

وأما الثاني: وهو الشهرة ، فإن الواجب على الإنسان أن يقوم بما أمره الله عز وجل به من عبادة وتعليم وغير ذلك، وليدع الشهرة جانبًا يعرض عنها إطلاقًا، على أن الشهرة في العلم والمعرفة أمر مطلوب لا يضر الإنسان شيئًا .

---

(١) سورة النساء، الآية : (١٤٠).

(٢) سورة الطلاق ، الآية (٤).

(٣) سورة الطلاق، الآية (٢).

المهم أن الإنسان إذا اشتهر بعلمه أو بدعوته إلى الله لا يضره ولا ينقص من أجره شيئًا، نعم، لو عمل للشهرة فهذا الذي فيه ما فيه (١).

وسئل رحمه الله، كثير من طلبة العلم ينفرون من قراءة كتب الدعاة المعاصرين، ويرون الاقتصار على كتب السلف ـ رحمهم الله ـ ما رأيكم في هذا؟

* الذي أرى أن أخذ الدعوة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فوق كل شيء وهذا رأينا جميعًا بلا شك ، ثم يلي ذلك ما ورد عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة وعن أئمة الإسلام فيمن سلف ، أما ما يتكلم عليه المتأخرون من المعاصرين فإنه قد حدثت أشياء هم بها أدرى فإذا اتخذ الإنسان من كتبهم ما ينتفع به في هذه الناحية فقد أصاب ونحن نعلم أن المعاصرين إنما أخذوا العلم ممن سبقهم من دعاة السلف، فلنأخذ نحن مما أخذوا منه، لكن استجدت أمور لم تكن معلومة لدعاة السلف بأعيانها .

فالذي أرى أن يجمع الإنسان بين الحسنيَين فيعتمد .

أولاً: على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ .

وثانيًا: على كلام السلف الصالح من الخلفاء الراشدين والصحابة وأئمة السلف.

وثالثًا: على ما كتبه المعاصرين الذين جدت في زمنهم حوادث لم تكن معلومة بأعيانها فيما سلف .

---

(١) الصحوة (١١١، ١١٢).

لا يجوز لطلبة العلم تجريح بعضهم البعض

لا شك أن تجريح العلماء بعضهم بعضاً عمل محرم ، وإذا كان الإنسان لا يجوز له أن يغتاب أخاه المؤمن وإن لم يكن عالماً ، فكيف يسوغ له أن يغتاب إخوانه العلماء من المؤمنين ؟!

فالواجب على الإنسان المؤمن أن يكف لسانه عن الغيبة في إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وليعلم الذي ابتلى بهذه البلوى أنه إذا جرح العالم فسيكون سبباً في رد ما يقوله هذا العالم من الحق ، وليعلم أن الذي يجرح العالم لا يجرحه شخصياً ، بل هو تجريح لإرث محمد ﷺ فإن العلماء ورثة الأنبياء ، فإذا جرح العلماء، وقدح فيهم لم يثق الناس بالعلم الذي عندهم ، وهو موروث عن رسول الله ﷺ وحينئذ لا يثقون بشئ من الشريعة التي يأتي بها هذا العالم الذي جرح ، ولست أقول إن كل عالم معصوم ، بل كل إنسان معرض للخطأ ، وأنت إذا رأيت من عالم خطأ فيما تعتقده فاتصل به وتفاهم معه ، فإن تبين أن الحق معه وجب عليك اتباعه ، وإن وجدت أن قوله خطأ وجب عليك رده وبيان خطئه لأن الاقرار على الخطأ لا يجوز ، ولكن لا تجرحه وهو رجل عالم معروف بحسن النية وإن أمكن أن تقول : قال بعض الناس كذا وكذا وهذا القول ضعيف ثم تبين وجه ضعفه وصواب القول الذي تراه كان هذا أطيب وأطيب .

ولو أردنا أن نجرح العلماء المعروفين بحسن النية لخطأ وقعوا فيه من مسائل الدين ، لجرحنا علماء كباراً ، ولكن الواجب هو ما ذكرت ، فإذا رأيت من

عالم خطأ فناقشه ، إما أن يتبين أن الصواب معك فيتبعك ، أو لا ليتبين الأمر ويكون الخلاف من الخلاف السائغ وحينئذ يجب عليك الكف عنه ، وليقل هو ما يقول ، وأنت تقول ما تقول ، والخلاف ليس في هذا العصر فقط ، الخلاف من عهد الصحابة إلى يومنا هذا ، وأما إذا تبين الخطأ ولكنه أصر انتصاراً لقوله وجب عليك أن تنفر من الخطأ ، لكن لا على أساس القدح في هذا الرجل وإرادة الانتقام منه ، لأنه قد يقول قولا حقا في غير ما جادلته فيه ، فالمهم إني أنصح إخواني بالابتعاد عن هذا البلاء وهذا المرض ، وأسأل الله لي ولهم الشفاء من كل ما يعيبنا أو يضرنا في ديننا ودنيانا [1].

على الشباب أن يلتفوا حول العلماء الموثوق بعلمهم وأماناتهم :

عدم التفاف الشباب على أهل العلم الموثوق بعلمهم ودينهم ؛ سبب للشطح والبعد عن منهج السلف وأقول الموثوق بعلمهم ودينهم لأنه ليس كل عالم يكون موثوقا به في علمه ودينه، بل العالم الموثوق في علمه ودينه ينبغي أن يلتف الشباب حوله ، ولست أقول أنهم يقبلون كل ما يقوله فإنه قد يخطئ ويصيب ولكن إذا كان للإنسان عالم قدوة يقتدي به ويعرف اتجاهاته واستنباطاته، وكيف يأخذ الأحكام من أدلتها كان هذا أحسن وأصلح للشباب، ولكن أهم شئ عندي هو أن الشباب ويجب عليه أن يصبر ويصابر على ما هو عليه ، وألا يُتعجل الأمور مع الالتفاف حول العلماء الموثوق بعلمهم وأماناتهم» [2] .

توجيه منه رحمه الله لطلبة العلم حتى يكونوا دعاة إلى الله عز وجل ؟

في الحقيقة الدعوة التي تكون دون طلب العلم لا خير فيها ، بمعنى أنها تفوت خيرًا كثيرًا والواجب على طالب العلم أن يطلب العلم مع الدعوة إلى الله .

* ما المانع لطالب العلم إذا رأى شخصًا معرضًا حتى في المسجد الذي يطلب فيه العلم أن يدعوه إلى الله عز وجل ؟

* ما المانع إذا خرج إلى السوق يقضي حوائجه أن يدعو إلى الله عز وجل - في السوق كل من يراه معرضًا عن دين الله ؟!

---

(١) الصحوة (١١٧) . (٢) الصحوة : (١١٧) .

* ما المانع إذا كان في مدرسته ورأى من الطلبة من هو معرض أن يدعوه إلى الله عز وجل وأن يمشي معه ، وأن يأخذ بيده لحل مشكلته .

إن الإنسان إذا رأى مخالفًا بمعصية ، بترك مأمور أو فعل محظور كرهه ـ واشمأز منه، وابتعد عنه، ويئس من إصلاحه فهذه مشكلة . والله سبحانه يبين لنا أن نصبر وأن نحتسب ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [١] فالإنسان يجب عليه أن يصبر وأن يحتسب ، ولو رأى في نفسه شيئًا أو على نفسه شيئًا من الغضاضة فليجعل ذلك في ذات الله عز وجل» [٢] .

وسُئل رحمه الله : ما حكم الشرع في الدعوة إلى الله في المجتمعات الخارجية سواء المجتمعات العربية أو غيرها من البلاد الأجنبية، فإن كثيراً من الدعاة يركزون على ذلك بحماس شديد ؟

* الذي أرى أن يدعو الإنسان أقرب الناس إليه، فإن الله تعالى أول ما أرسل رسوله محمدًا ، ﷺ ، قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [٣] فإذا لم يكن في بلده مجالٌ للدعوة وإصلاح الخلق فإنه ينبغي أن يخرج إلى بلد آخر، ولو بجوارهم ، وإذا لم يكن، فإن كان بلده مستقيمًا وعلى الوجه المطلوب ينتقل إلى الثاني، ثم إلى الثالث، وهكذا، ولهذا قال الله عز وجل لنبيه : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وقال لعموم المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [٤] وكونه يذهب إلى أمريكا أو روسيا أو إلى ما أشبهها من الدول يدعو وبلاده بحاجة إليه، هذا ليس من الحكمة فالحكمة أن يصلح الإنسان بلده قبل كل شيء، بل أهله قبل كل شيء، ثم الناس الأولى فالأولى، والأمثل فالأمثل اقتداء بما أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه إليه [٥] .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية (٣٥).
(٢) الصحوة (٩٣).
(٣) سورة الشعراء: الآية : (٢١٤).
(٤) سورة التوبة الآية : (١٢٣) .
(٥) الصحوة (١٨٥).

كبر الهمة في طلب العلم والتحلي بها

وهذا من أهم ما يكون عليه الإنسان في طلب العلم ، يكون له هدف ، ليس مراده مجرد قتل الوقت بهذا الطلب ، بل يكون له همة ، ومن أهم همم طالب العلم أن يريد القيادة والإمامة للمسلمين في علمه ، ويشعر أن هذه درجة هو يرتقي إليها درجة درجة ، حتى يصل إليها ، وإذا كان كذلك فسوف يرى أنه واسطة بين الله عز وجل وبين العباد في تبليغ الشرع ، هذه مزية ثانية ، وإذا شعر بهذا الشعور فسوف يحرص غاية الحرص على اتباع الكتاب والسنة معرضاً عن آراء الناس ، إلا أنه يستأنس بها ويستعين بها على معرفة الحق ، لأن ما تكلم فيه العلماء ـ رحمهم الله ـ من العلم ، لا شك أنه أبواب لنا ، وإلا لما استطعنا أن نصل إلى درجة نستنبط الأحكام من النصوص أو معرفة الراجح من المرجوح وما أشبه ذلك .

والمهم أن يكون للإنسان عنده همة ، وهو بإذن الله إن نوى هذه النية فإن الله سبحانه وتعالى سيعينه على الوصول إليها[1] .

هذا صحيح ، التحلي بعلو الهمة يسلب عنك سفاسف الآمال والأعمال .

الآمال : هو أن يتمنى الإنسان الشيء دون أن يسعى في أسبابه ، فإن المؤمن كيس فطن لا تلهه الآمال ، لكن ينظر الأعمال ويرتقب النتائج .

وأما من تلهيه الآمال فيقول : إن شاء الله أقرأ هذا ، أراجع هذا ، الآن أستريح ، وبعد ذلك أراجع ، أو تلهيه الآمال فيما يحدث للإنسان أحياناً ، يتصفح الكتاب من أجل مراجعة مسألة من المسائل ، ثم ينظر في الفهرس

---

(١) العلم (١٠٨) .

والصفحات ، تلهيه عن المقصود الذي من أجله فتح الكتاب ليراجع مسألة ، وهذا يقع كثيراً ، فينتهي الوقت وهو لم يراجع المسألة التي صار يراجع هذا الكتاب أو فهرس الكتاب ، فإياك والآمال المخيبة ، اجعل نفسك قوي العزيمة ، عالي الهمة[١] .

ما يتزود به في السفر لبلاد الكفر بغرض دعوة الكفار للإسلام

هذا لا شك مقصد طيب لكن بشرطين:

الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات .

أما أن يذهب يدعو إلى الله وليس عنده علم ، فهذا كساع إلى الهيجاء بغير سلاح! فلا بد أن يكون لديه علم يدفع به الشبهات ، ويتمكن من إقناع المدعوين وإفحام المجادلين .

الثاني: أن يكون عنده عبادة ودين يدفع به الشهوات، لأن كثيراً من الناس إذا ذهب إلى تلك البلاد قد ينزلق في مزالق الهاوية ، فإذا كان عنده هذان الأمران: العلم والعبادة مع إخلاص النية فهذا طيب، يستحق أن يشجع عليه ويساعد عليه[٢].

(١) العلم (١٠٩) .

(٢) الصحوة (١٨١، ١٨٢).

فقه دعوة أهل الكفر للإسلام

هو الشيء نفسه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (١) وهذا يشمل دعوة الكافر والمسلم، فالكافر ننظر مثلاً إلى كفره وندعوه بما يناقض ذلك الكفر فإذا كان كافرًا بدعوى أن الله ثالث ثلاثة كالنصارى . فإننا نبين له استحالة ذلك عقلاً، كما أنه مستحيل بنصوص الشرع، ونقول له كما قال الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (٣) ونبين له أن الإله واحد، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن أمه صديقة ، وأنهما كانا يأكلان الطعام، ويشربان، ولو كانا إلهين ما حصل ذلك منهما .

فالذي ينكر وجود الله مثلاً كالشيوعية ندعوهم إلى الله عز وجل ببيان الأدلة العقلية والحسية على وجود الله عز وجل ، أما الأدلة الشرعية فهم لا يقتنعون بها، لكن نبين وجود الله عز وجل ، ووجوب وجوده بالأدلة العقلية والأدلة الحسية الواقعية .

فالحاصل أن الكافر يختلف أسلوب دعوته بحسب كفره(٤) .

والمهم أننا ندعو الكافر ابتداءً بإبطال كفره الذي هو عليه، لكن بالتي هي أحسن، ثم نبين له ما في الإسلام من الخير العاجل والآجل وما الكفر من ضد ذلك(٥) .

---

(١) سورة النحل، الآية : (١٢٥).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٢٢) .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : (٩١) .

(٤) الصحوة (١٨٣).

(٥) الصحوة (١٨٧).

أي هذه الأشياء تقدم
العلم، أو الدعوة، أو الجهاد في سبيل الله

أما طلب العلم والدعوة فلا يتنافيان، إذ يمكن الجمع بينهما بأن يكون الإنسان طالب علم وداعيًا إلى الله عز وجل ، بل كل طالب علم فإنه يجب عليه أن يكون داعيًا إلى الله، لأن من ثمرات العلم الدعوة إليه ، وحينئذٍ نقول الدعوة إلى الله تعالى من ثمرات العلم ، وقد قال النبي ﷺ : «**بلغوا عني ولو آية**» (1) فأنت إذا علمت ولو مسألة من مسائل العلم فادع إلى الله في هذه المسألة التي هي من شرع الله».

وأما تقديم العلم على الجهاد أو الجهاد على العلم ، فهذا يختلف . أولاً : باختلاف حكميهما . ثانيًا : باختلاف الأشخاص ، وأما باختلاف حكميهما فإذا كان طلب العلم فريضة والجهاد تطوعًا ، فلاشك أنه يجب تقديم طلب العلم ، لأنه فريضة وإذا كان الجهاد فريضة وطلب العلم تطوعًا فلا شك بوجوب تقديم الجهاد لأنه فريضة ولكن إذا كان كل من طلب العلم والجهاد واجبًا أو كان كل منهما تطوعًا فأيهما يقدم ؟

فهذا ينبني على الأمر الثاني : وهو اختلاف الأشخاص فمن الناس من نقول له الأفضل أن تقدم الجهاد ومنهم من نقول له: الأفضل أن تقدم طلب العلم . فإذا كان الرجل قوي البدن شجاعًا مقدامًا عالمًا بأساليب الحرب الحديثة ، وهو بالنسبة للعلم قليل الفهم ، قلنا له: الأفضل للجهاد ، وإذا كان الرجل على العكس ، ليست له قوة في البدن ، وليس عنده علم بالأساليب الحربية ، ولكنه في العلم عبقري جيد في الحفظ والفهم والاستنباط ، قلنا هنا نقدم العلم .

---

(1) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو وقد تقدم .

فلكل مقام مقالٍ .

وخلاصة القول أن العلم والدعوة لا يتنافيان، فالدعوة ثمرة العلم ، والجمع بينهما هو كمال العلم وأما العلم والجهاد فلنا نظران :

النظر الأول : في حكميهما: فإذا كان أحدهما واجبًا والثاني تطوعًا قدم الواجب.

بلا شك ، وإذا كان كل منهما واجبًا أو كل منهما تطوعًا فإننا ننظر النظر الثاني: بالنسبة للرجل نفسه والناس يختلفون [١].

ما هي أحسن الطرق لتلقي العلم الشرعي ؟

ما هي أحسن الطرق لتلقي العلم الصحيح الشرعي نظراً لظروف هذا العصر التي نحن به ؟

ـ لا شك أنه أحسن الطرق أن يبدأ الإنسان بكتاب الله تعالى ثم بما تيسر من سنة الرسول ـ ﷺ ـ الصحيحة ، ثم بما كتبه أهل العلم من الفقه وغيره ، ولكن الذي أحبه من طلبة العلم أن يكون تركيزهم على الأصول لا على الحواشي ـ يعني ألا يكون هم الطالب أن يحفظ مسائل فقط ـ بل يكون همه أن يحفظ الأصول والقواعد والضوابط حتى إذا أتته أي جزئية من المسائل يستطيع أن يطبقها على هذه الأصول والقواعد ؛ لأنه كما قال العلماء : من حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول ، وكثير من طلبة العلم تجده قد حشا عقله من المسائل الجزئية الفردية لكن لو تخرج به عنها قيد أنملة ما عرف شيئا لأنه لم يعرف الضوابط والأصول فلا بد لطالب العلم من أن يكون عارفاً بالضوابط والأصول والقواعد

(١) الصحوة (١٧٣ ـ ١٧٤) .

التي تبني عليها الجزئيات .

وقد ذكر لنا ونحن في زمن الطلب أن رجلا كان طالب علم لكنه حافظ غير فاهم ، كان يحفظ كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، كتاب الفروع كتاب من أجمع ما يكون من كتب الحنابلة ، وفيه أيضاً إشارة إلى المذاهب الأربعة وغيرها ، ألفه محمد بن مفلح ـ رحمه الله ـ أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية البارزين الذين هم من أعلم الناس باختيارات شيخ الإسلام في الفقه ، حتى كان ابن القيم يراجعه في المسائل الفقهية عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، المهم هذا الرجل ألف كتاب الفروع ، وقد حفظه أحد الطلبة حفظا تاما ولكن لا يعرف منه شيئا من المعنى ، فكان طلبة العلم يحضرونه عندهم كأنه كتاب ، وإذا أشكل عليهم شيء قالوا : ماذا قال ابن مفلح في الفصل الفلاني ، أو في الباب الفلاني ؟ ثم يسرده عليهم سرداً وهو لا يعرف المعنى ، فكون الإنسان يعتني بحفظ المعاني وبالأصول أصول الفقه والقواعد هذا من أهم ما يكون لطالب العلم .

هل تدريس العلوم الشرعية من الدعوة إلى الله؟

لاشك أن تعليم الشرع من الأمور المستحبة وهو من طلب العلم، لكن كونه دعوة إلى الله عز وجل، يتوقف على حال المدرس، إذا كان هذا المدرس يستغل فرصة وجوده بين الطلبة بتوجيههم إلى الخير، ويكون قدوة صالحة في عمله فهذا من الدعوة إلى الله ، أما إذا كان يأتي بدرس جاف يقرأه عليهم أو يشرحه وكأنه مجرد نظرية، فهذا قد لا يكون من باب الدعوة إلى الله، وإذا كان المدرس من الطراز الأول فهو داعية إلى الله، وإن كان يأخذ رزقًا من بيت المال فإن ذلك لا يضره (١).

(١) الصحوة (٨٠) .

هل الدعوة إلى الله واجبة في حق المرأة وكيف تدعو المرأة بنات جنسها

يجب أن نعلم قاعدة ، وهي أن ما ثبت في حق الرجال فهو ثابت في حق النساء، وما ثبت في حق النساء ثبت في حق الرجال إلا بدليل يدل على خلاف ذلك . ثم ننظر إلى الدعوة إلى الله عز وجل هل هي خاصة بالرجال أم هي عامة مشتركة؟ والذي يتبين من كتاب الله ، وسنة رسوله، ﷺ ، أنها مشتركة عامة،لكن مجال دعوة المرأة غير مجال دعوة الرجل، فالمرأة تدعو إلى الله تعالى في المجتمع النسائي وليس في مجتمع الرجال ، فهي تدعو في الحقل الذي يمكنها أن تدعو به، وهو مجتمع النساء سواء كان في المدارس أو في المساجد[1].

وقال رحمه الله [2] : ولكن نظرًا لكون المرأة لا يتيسر لها الخروج كما يتيسر للرجل فإنها لا تساويه من كل وجه ولكن هذه المدارس وهذه الكليات التي تضم عددًا من النساء يمكن أن تكون مجالاً للدعوة إلى الله فيما بين النساء .

وأما الاجتماع في بيت من البيوت للعلم بالنسبة للنساء . فهذا محل توقف عندي لأنني إذا قارنت بين مزاياه النافعة ، وما يخشى فيه من الضرر فإني أقول الأولى أن تبقى المرأة في بيتها ، وأن تدرس من العلم وتقرأ من الكتب ما تيسر، اللهم إلا إذا كنَّ هؤلاء النسوة في بيوت متقاربة كالجيران المتلاصقين مثلاً فهذا أمره سهل .

أما أن تركب السيَّارة أو تذهب إلى مكان بعيد للاجتماع في بيت امرأة فهذا أتوقف فيه، وأستخير الله سبحانه وتعالى في القول به .

---

(١) الصحوة (١٤٤).

(٢) الصحوة (١٤٧).

يجب أن تنظري إلى المصلحة

زوجي يأمرني أن أكمل دراستي لكي أصبح داعية بين النساء، وأنا أريد أن أهتم ببيتي وأولادي وأترك دراستي فهل من الحكمة أن أطيع زوجي أو أترك دراستي ؟

ـ الذي أرى أن تنظري إلى المصلحة هل البيت مضطر إلى بقائك فيه ؟ مثل أن يكون الأولاد الصغار كثيرين يحتاجون إلى عناية ، فإن بقاءك في بيتك أفضل لك من الخروج إلى المدرسة ، لأن النبي ﷺ يقول : « **ابدأ بنفسك ثم بمن حولك** »[1].

فأنت مكلفة ومطالبة برعاية الأولاد ، وإصلاح البيت ، وهذا أمر واجب .

والدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية قد يقوم فيها من يكفي من النساء ، وإذا أمكن الجمع بين هذا وهذا بمعنى أن تكوني داعية إلى الله تعالى ولو في غير مدرسة فهذا طيب .

وبهذه المناسبة أود أن أحذر إخواني من استجلاب الخدم سواء كن مسلمات أو غير مسلمات ، لأن في استجلاب الخدم مفاسد متعددة :

منها : أن كثيراً منهن يأتين بدون محرم ، وسفر المرأة بلا محرم لا يجوز ، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « **لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم** »[2].

ومنها : أن هذه الخادمة تطلع على أسرار البيت وتعرفه ، وربما تكون امرأة مستأجرة للتطلع على أحوال المسلمين للعلم ببواطن أمورهم .

ومنها : أنها تعود النساء الركون إلى الكسل والدعة والخمول ، وهذا ضرر

---

(١) صحيح ، رواه مسلم (٩٩٧) من حديث جابر .
(٢) صحيح ، البخارى (١٨٦٢) ومسلم(١٣٤١).

على النساء حتى في أفكارهم ، فإن المرأة تكون في بيتها جالسة ليس لها شغل فيتبلد ذهنها ، وتضعف ذاكرتها .

ومنها : أن بعض هؤلاء الخدم تكون شابة وجميلة فتحصل بها الفتنة ، إما من الرجل نفسه ، وإما من أولاده إن كان له أولاد ، وهذا شيء يبلغنا عنه الكثير مما حصل من الفساد .

ومنها : أن كثيراً من هؤلاء الخدم يحضرن إلى الرجال بالبيوت وهن كاشفات الوجوه ، قد خرجت أكفهن وأذرعتهن وأقدامهن وسيقانهن وكل هذا حرام لا يجوز .

فالذي ينبغي لنا هو الحذر التام من استجلاب الخدم وإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا بد من شروط :

الشرط الأول : أن تكون المرأة مع محرمها .

الشرط الثاني : أن تؤمن الفتنة .

الشرط الثالث : أن تدعو الضرورة وتكون الضرورة صادقة في جلب هذه الخادمة .

الواجب على أولياء الأمور تجاه أولادهم دعاة الحق

كما أنني أقول: إن هؤلاء الأهل الذين يجدون في أبنائهم وبناتهم اتجاها سليمًا، لا يحل لهم أن يقفوا أمام دعوتهم للحق، بل يشكرون الله على هذه النعمة ، أن جعل من ذريتهم من يدلهم إلى الخير ويأمرهم به، ويحذرهم من الشر وينهاهم عنه، فإن هذا والله أكبرُ من نعمة المال وأكبر من نعمة القصور والمراكب وغير ذلك . فعليهم أن يحمدوا الله ، ويشجعوا أبناءهم وبناتهم ، وأن يتقبلوا ما يقولون ، وإن كان فيه شيء من الشدة والخروج عن الاعتدال ،

فـإن الأبناء إذا رأوا تقـبلاً فـإن ذلك يهـون من غلوانهـم وغلوهم ، لكن الذي يجعل الشاب الداعيـة يتضجر ويتضايق أن بعضـهم لا يجد من أهله أي قبول، فالواجب على أهله أن يتقبلوا منه، وأن يعاملوه بالإرشاد والمسلك الحسن ، حتى يتم الأمر لهؤلاء ولهؤلاء .

أيها الشباب !! أيها الدعاة!! على كل داعية إلى الله أن يكون : صابرًا على دعوته، صابرًا على ما يدعو إليه ، صـابرًا على ما يعترض دعوته ، صابرًا على ما يعترضه من الأذى [1] .

وسُئل رحمة الله عليه :

هناك حيرة عند كثير من الشباب في كيفية مواجهة المنكرات المنتشرة في كثير من الدول الإسـلاميـة، أيواجـهـونهـا بالعنف كـمـا يصنع بعض الشـبـاب ، أم يواجهونها بأسلوب آخر فلا يجدون الاستجابة خاصة في بعض الدول الإسلامية التي لا تحكم شـرع الله بالطريقة المطلوبة ، فـما رأي فـضيلتكم في توجـيه هؤلاء الشباب ؟

الذي أرى أن يبدأوا أولاً بعرض الإسـلام على حقيقته بعقـائده ، وأعماله، وأخلاقـه وأن لا يهاجمـوا هؤلاء مهاجمـة توجب نفورهم ، وفيـما أعتـقد أن الإسلام إذا عرض على الوجه الصحيح أن الفطر تقـبله ، مهما كان الأمر ، لأن الدين الإسلامي، مـوافق للفطرة السليمـة أما مهـاجمة الإنسـان بما هو عليه من أزمنة قديمة وما عليه آباؤه وأجداده فهذا يوجب النفور والكراهية لما يدعو إليه من الحق ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [2] فلذا أرى لإخوتي الدعاة في مجتمع كهذا أن

---

(١) الصحوة (٥٤، ٥٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية : (١٠٨).

يحرصوا على بيـان الحق على ما هو عليه ، وبيان البـاطل على ما هو عليه دون أن يهاجموا هؤلاء مهاجمة مباشرة في أعمالهم. . .» (١) .

موقف الأب المستقيم نحو أولاده العاصين

الذي أرى أن يدعوهم بالتـي هي أحسن شيـئًا فشـيئًا، إذا كـانوا على عدة معاصي ينظر الأشـد منها ، فيبدأ بها ويكرر مـعهم المناقشة فيهـا حتى يُيَسِّر الله تعالى الأمر، ويتركوه فإذا لم يكن أن يستجيـبوا له فالمعاصي تختلف، بعضها لا يمكن أبدًا أن تُقرّ ابنك معك وهو عليها، وبعضها دون ذلك والإنسان إذا تعارض عنده مفسدتان ولابدّ من وقوعهما أو من وقـوع إحداهما ، فإن ارتكاب أخفهما هو العدل وهو الحق. . .

ثم أوجه الكلام أيضًا إلى الأبناء أو البنات بأن آباءهم أو أمهاتهم إذا أمروهم بالمعصية فـلا طاعة لهم في ذلك ، فلا تجب طاعتهم ، ومخالفتـهم وإن غضبوا ليست من باب العقـوق، بل من باب البر والإحسان إليـهم حتى لا تزداد آثامهم وجرائمهم بارتكابكم ما أمروكم به من المعصـية. . . أما في الطاعات التي تركها ليس بمعصـية فـهذا ينبغي لـلإنسان أن ينظر ما هو أصلـح فإذا رأى الأصلح في مخـالفتـهم ولكن يداريهم إذا كانت الطـاعة مما يمكن جـحدها وإخفـاؤها عنهم فليجحدها وليخفها عنـهم، وإذا كانت مما لا يمكن إخفاؤه فليظهرها ، وليقنعهم بأنه لا ضرر عليـهم إذا فعلهـا وأنه لا ضرر عليه من فـعلها وما أشـبه ذلك من الكلمات المقنعة (٢) .

---

(١) الصحوة (٨٥، ٨٦).

(٢) الصحوة (١٣٩، ١٤٠، ١٤١).

كيف ينصح الجار الذي لا يشهد الجماعة في المسجد؟

هذا الجار الذي سأل عنه السائل من كونه لا يشـهد صلاة الجماعة . الطريق إلى إصلاحـه أن يحرص هذا الأخ على نصيـحته ويذهب إليـه يزوره ، ويدعوه أيضًـا إلى بيـتـه، ويجـعل بينه وبـينه رابطة ، وإذا تألفت القـلوب وصلحت الأحوال، فإنه يسـهل القبول من الإنسان ، ويبين له أيضًـا أن النبي ﷺ . أخبر عن نفسه أن هم أن يحـرق المتخلفين عن الجماعـة بالنار ، ويحذر هذا الجار عن تخلفه عن الجمـاعة . ويبين له أن من صلى في المسجد في الجماعـة فإن صلاته أفضل من صـلاة الفرد بسبع وعـشرين درجة إلـى غير ذلك من طرق التـرغيب والتـرهيب لعل الله يهديه . فـإن لم يستـجب وكرر عليـه فإنه يرفع الأمـر إلى المسؤولين وبهذا تبرأ ذمته [١] .

وسئل رحمه الله

هل يجوز تعلم الدين من الكتب فقط دون العلمـاء وخاصة إذا كان يصعب التعلم على أيدي العلـماء لندرتهم ، وما رأيك في قـول القائل : من كان شيـخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه؟

لا شك أن العلم يحـصل بطلبه عند العلمـاء وبطلبه في الكتب لأن كـتاب العالم هو العالم نفسه ، فهو يحدثك من خلال كتابه فإذا تعذر الطلب على أهل العلم ، فإنه يطلب العلم من الكتب .

ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله عن طريق الكتب ، لأن الذي يحصله عن طريق الكتب يتـعب أكثر ويحتـاج إلى جهد كبـير جدًا ،

(١) الصحوة (١٤٢).

ومع ذلك فإنه قد تخفى علـيه بعض الأمور كالقواعد الشرعـية التي قعدها أهل العلم ، والضوابط، فلا بد أن يكون له مـرجع من أهل العلم بقدر الإمكان وأما من قال «من كان دليله كـتابه فخطؤه أكثـر من صوابه» فهذا ليس صحـيحًا على إطلاقه ولا فاسدًا على إطلاقه ، أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه فلا شك أنه يخطىء كثيرًا، وأما الذي يعتمد في تعلمه على كتب رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فـإن هذا لا يكثر خطؤه ، بل قد يكون مصيبًـا في أكثر ما يقول [1] .

ما مـوقف المسلم من كثـير من المعاصي المـنتشرة في بلاد المسلمـين مثل الربا وتبرج النساء وترك الصلاة ... إلخ ؟

ـ موقف المسلم حدده النبي ﷺ فقال : « **من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فـبلسانه ، فإن لم يستطع فبـقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » ، فمن هذا الحديث يكون تغيير المنكر على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : التغيير باليد :

فإذا كان لك سلطة يمكنك بها أن تغيـر هذا المنكر بيدك فافعل ، وهذا يمكن للإنسان إذا كـان المنكر في بيـته ، وكان هو القـائم على البيت ، فـإنه في هذه الحالة يمكن أن ينكر بيده ، أليس كذلك ؟

لو أن رجلاً دخل بيـته ووجد فيـه آلة لهو والبيت بيـته والولد ولده والأهل أهله أمكنه أن يغير بيده ، ماذا يصنع ؟ يكسـر الآلة لأنه يستطيع بيده .

المرتبة الثانية : التغيير باللسان :

فإذا كان لا يسـتطيع تغيير المنكـر بيده فإنه ينتقل للمـرتبة الثانية وهي تغـيير

(١) الصحوة (١٧٨).

المنكر باللسان ، والتغيير باللسان على وجهين :

الوجه الأول : أن يقوم لصاحب المنكر ، ارفع هذا المنكر ، ويتكلم معه ويزجره إذا اقتضت الحال ذلك .

الوجه الثاني : إذا كان لا يستطيع هذا فليبلغ ولاة الأمر .

المرتبة الثالثة : التغيير بالقلب :

فإذا كان لا يستطيع تغيير المنكر بيده أو بلسانه فلينكر بقلبه وذلك أضعف الإيمان ، والإنكار بالقلب أن تكره بقلبك هذا المنكر وتكره وجوده ، وتود أنه لم يكن .

وهنا نقطة يجب أن نتنبه إليها ، أشار إليها النبي - ﷺ - في هذا الحديث حيث قال : « **من رأي منكم** » .

والرؤية هنا هل هي بصرية أم علمية أم ظنية ؟

أما الظن فلا يرد هنا ؛ لأنه لا يجوز ظن السوء بالمسلم !!

إذن تبقى الرؤية البصرية أو العلمية .

أما البصرية : فهي أن يشاهد الإنسان المنكر .

والعلمية : أن يسمع إذا كان لا يرى ، أو أن يخبره به من يثق به .

وهنا يتبين لنا أن الرسول ﷺ أراد منا ألا نتعجل في الحكم على شخص ما في المنكر حتى نراه ، « **من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » .

يقول لي بعض الناس : أنا أجلس عند أهل المنكر وأكره هذا بالقلب وأنكره بقلبي ، فهل أقع في الإثم أم لا ؟

يقـول : أشهد الله أنـي أكره هذا المنكر وأبغـضه بقلبي ، نقـول : أنت لم تنكره بقلبك لأنه لو أنكره قلبك لأنكرته جـوارحك ، لأن النبي ﷺ ، يقول : « **ألا وإن في الجسـد مضـغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فـسدت فـسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** »(1).

لو أن قلبك كرهه هل يمكن أن تجلس عند الذين يفـعلونه ؟! ولهذا قال الله تعالى : ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾ [النساء : ١٤٠] .

ولهذا فإن بعض العامـة مساكين يظنون أنه إذا جلس على المنكر وهو يكرهه بقلبه فهذا معنى قول النبي ﷺ : «**فإن لم يستطع فبقلبه**»، وليس الأمر كذلك .

فالأمر كـما بينت لكم والذي أنكر بقلبه لا يمكن أن يبـقى أبدًا لا واقعًا ولا شرعًا، وكذب من يقول أكره هذا المنكر وهو جالس مع أهله .

قـال لي بعض الناس : إنك إذا قـلت ذلك حـرمت الجلوس مع من كـانوا حالقين لحاهم ؛ لأن حلق اللحى منكر!!

نقول : عندنا أمران:

الأول : فعل المنكر .

الثاني : أثر منكر .

فإذا وجدت رجلا يعمل المنـكر فإنك تنكر عليه حتى يدع هذا المنكر ، وإذا لم يفعل فإنك لا تجلس معه ، لأن من الإنكار بالقلب أن لا تجلس معه.

---

(١) صحيح : أخرجـه البخـاري ، كتـاب الإيمان ، باب (٣٩) وأخرجـه مـسلم برقم (١٥٩٩) كـتاب المساقة، باب (٢٠)

أما إذا وجدت أناسًا قد فعلوا المنكر وحضرت أنت وهم قد فعلوا منكرهم، وانتهوا وبقي أثر المنكر عليهم. فهل يجوز أن تجلس معهم؟ .. نعم يجوز الجلوس معهم؛ لأن هذا الذي تشاهده هو أثر المنكر.

إذن انتبهوا بين أثر المنكر وبين التلبس بالمنكر.

إذن لا تجلس مع الذي يحلقون لحاهم حال الحلق. أما بعد الحلق مثل أن نجدهم في السّوق أو على عتبة الدّكان وما أشبه ذلك فنجلس معهم. لكن لا ندع فرصة إذا أمكن أن نناصحهم، لأننا رأينا عليهم أثر المعصية، فننصحهم لأن هذا أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر. ومثل ذلك أن تجلس مع شخص تشم منه رائحة الدخان فإنه لا حرج عليك لكن أنصحه عن عدم معاودة شربه أما لو كان يشرب فعلاً فلا تجلس معه فإن جلست كنت شريكًا له في الإثم.

وسئل رحمه الله

يلاحظ التقصير في العمل بالعلم. فما نصيحة فضيلتكم؟

يجب على من علم شيئًا من الشريعة أن يبلغه للناس، لأن العمل بما علم الإنسان يستوجب حفظه بالعمل ويزيده الله تعالى بالقرآن نورا زائدًا على ما عنده، قال الله تعالى: **﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾** ولهذا قيل: العلم يهتف بالعمل، فإن أجاب ولا ارتحل.

السلف الصالح في طلب العلم إذا علموا مسألة عملوا بها وكثيراً منهم لا يخفى عليه ما يقع من سرعة الامتثال والمبادرة للصحابة فيما عملوا، حتى النبي ﷺ حث النساء على الصدقة في يوم العيد، فجعل النساء يلقين ما على آذانهم من الحلي، يلقينه في ثوب بلال رضي الله عنه ولم يقلن إذا وصلن إلى البيت تصدقن، ولكن بادرن بذلك، وكذلك الرجل الذي طرح النبي ﷺ خاتمه الذي كان من ذهب، وألقاه في

الأرض، ما رجع إليه بعد أن علم التحريم ، حتى قيل له : خذ خاتمك ، لتنتفع به، فقال: والله لا آخذ خاتمًا طرحه النبي ﷺ بل إن الرسول ﷺ عندما قال: «**اخرجوا إلى بني قريظة: لا يصلين العصر إلا في بني قريظة**» (١) ، فخرجوا بعد أن كانوا مرهقين ، حتى إن الصلاة أدركتهم في الطريق، فمنهم من صلى خوفًا من فوات الوقت، ومنهم من أخر لقول النبي ﷺ : «**لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة..**».

فانظر يا أخي طالب العلم إلى سرعة امتثال الصحابة له لما علموا من تعليم الرسول ﷺ فهل إذا طبقنا هذا الأمر على ما هو الواقع الآن فهل نحن على هذا الأمر في هذا الوقت ؟! أعتقد أن هذا يفوت كثيرًا» (٢) .

قوله رحمه الله في بعض المبتدئين الذين يبتدؤون في القراءة من كتاب المحلي لابن حزم بحجة التمرن على المناظرة .

مناظرة ابن حزم رحمه الله مناظرة صعبة يُشَدِّد على خصمه ، ويحصل منه أحيانًا سبب لمخالفة ، فهو رحمه الله كان شديدًا جدًا ، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعود على مثل ما كان عليه ابن حزم أخشى عليه من المماراة ، فلو أنه سلك مسلكًا سهلاً لكان أحسن ، وإذا حصل على قدر كبير من العلم إن شاء الله وعرف كيف يستفيد من ابن حزم فليطالع في كتابه، لذلك لا أنصح بمطالعته للطالب المبتدئ ، لكن التمرن على المجادلة لإثبات الحق أمر لا بد منه، فكثير من الناس عنده علم واسع ، لكنه عند المجادلة لا يستطيع إثبات الحق» (٣) .

قوله رحمه الله في بعض طلبة العلم الذين قد جمعوا أسس العلم في العقيدة ومعرفة الأحكام الفقهية أخذًا من العلماء . فهل يقومون بالدعوة في المساجد ، أم

---

(١) صحيح رواه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩) ومسلم (١٧٧٠) وعنده بلفظ «الظهر» بدلاً من العصر.

(٢) العلم (١٥٩، ١٦٠).

(٣) العلم (١٨٣).

ينتظرون حتى يكون عندهم إذن رسمي من الجهات المختصة؟

الذي أرى ألا يتكلموا فيما يمنع فيه الكلام إلا بإذن ، أرى ألا يتكلم ، لأن طاعة ولي الأمر في تنظيم الأمور واجبة ، ونعلم أنه لو أذن للصغار الذين ابتدأوا طلب العلم بالكلام لتكلموا بما لا يعلمون ، وحصل بذلك مفسدة واضطراب للناس، ربما في العقائد فضلاً عن الأعمال البدنية ، فمنع الناس من الكلام إلا بإذن وبطاقة، ليس منعًا تامًا حتى نقول لا طاعة لولاة الأمر في ذلك ، لأن فيه منعًا لتبليغ الشريعة، لكنه منع مقيد بما يضبطه بحيث يُعرف من هو أهل لذلك أو لا ، وكما تعلمون الآن كل من تقدم للمسؤولين لهذا الأمر وعلموا أنه أهل لذلك أعطوه إذنًا، لم نعلم بأنهم قالوا لأحد تقدم وهو أهل لنشر العلم لا تفعل ، والأمر والحمد لله أمر يطمئن إليه الإنسان ، ولا يجوز لأحد أن يتكلم في موضع يمنع فيه من الكلام من جهة ولي الأمر، إلا بإذن يعني مثلاً: في المساجد ، أو في الأماكن العامة ، لكن بينه وبين إخوانه في غرفته ، في حجرته ، فهذا لا بأس به ، لا يمنع أحد [١] .

قوله رحمه الله ، فيمن عنده خادم كافر أو خادمة كافرة فهل يتعين عليه دعوتهما للإسلام [٢] .

نعم يجب عليه أن يدعوهما للإسلام إلا إذا كان هناك من يقوم بدعوتهما . والغالب أنه لا يقوم بدعوة من هو في بيته وتحت خدمته إلا هو ، ويدل لوجوب الدعوة عليه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [٣] وقول النبي ﷺ ، لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : **«ادعهم إلى الإسلام»** [٤] .

والإسلام إنما ينتشر بالدعوة القولية والفعلية كما هو ظاهر في انتشار الإسلام

---

(١) العلم (١٠٨). (٢) الصحوة (١٨٧، ١٨٨).

(٣) سورة النحل، الآية : (١٢٥).

(٤) البخاري (١٣٩٥، ١٤٥٨، ٤٣٤٧) مسلم (١٩).

في أول عهده ، ولا يخفى على الجميع فضل الدعوة إلى الإسلام، وأن الإنسان إذا اهتدى على يده أحد فله مثل أجره لأن الدال على الخير كفاعله، وقد قال النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[1].

لا تجوز الوقيعة في أهل الخير

هناك اتهامات خطيرة للآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، مثل اتهامهم بالتسرع والعجلة ، مع أنهم يلاقون مصاعب ومتاعب ومخالفات من قبل الناس في الشرع الحنيف، فصاروا بهذا الاتهام فاكهة للمجالس، وخصوصًا من إخوانهم المسلمين ، فما هو توجيه فضيلتكم لمن ولغ في أعراضهم أو تكلم فيهم؟

الوقيعة في أعراض أهل الخير أشد من الوقيعة في عامة الناس، ومن أهل الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والوقيعة فيهم توهن جانب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر ويخشى أن يبتلى الواقع فيهم بكراهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي كراهة ذلك خطر على دين العبد لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ فالواجب حماية جانب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومساعدتهم والكف عن أعراضهم لأنهم قائمون بمسؤولية عظيمة وفرض على الأمة جميعًا .

ولكني أقول : إنه لا يمكن أن نبرئ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، من الخطأ كما أننا لا نبرئ أنفسنا أيضا، إن إخواننا الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يعانون من المشقة والتعب مما نسأل الله تعالى لهم أن يكون كفارة

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٩٤٢) مسلم (٢٤٠٦).

لسيئاتهم ، ورفعة لدرجاتهم ، ونسأل الله لهم العون .

وخيراتهم أكثر بكثير مما يقع من خطأ من بعض أعضاء الهيئة، لأن بعض أعضاء الهيئة قد تأخذه الغيرة والعاطفة حتى لا يملك نفسه في التصرف كما فعل الصحابة رضي الله عنهم مع الأعرابي الذي جاء فبال في المسجد فقد صرخوا به ونهروه حتى سكتهم النبي ﷺ.

والإنسان قد يكون لديه غيرة شديدة قوية واندفاع قويّ، فلا يضبط نفسه عند التصرف ، لكن لا يجوز لنا أن نتخذ من مثل هذا الحال سُلما للقدح في جميع أعضاء الهيئة ، أو في جميع أعمال هذا الشخص نفسه، بل الواجب أن نلتمس له العذر وأن نتصل به ونبين له ما هو الطريق الراشد في معالجة الأمور.

ما هو ميزان النصيحة للأمة ؟

فالميزان هو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »(١) فإذا عاملت الناس هذه المعاملة فهذا هو تمام النصيحة.

فقبل أن تعامل صاحبك بنوع من المعاملة فكر ، هل ترضى أن يعاملك شخص بها؟ فإن كنت لا ترضى فلا تعامله (٢).

الواجب تجاه من يصلي الصلوات بعد فوات أوقاتها كمن يصلي الفجر بعد طلوع الشمس :

أما الواجب تجاه هذا الرجل فهو النصيحة ، أن تنصحوه وتخوفوه بالله، وتبينوا له ما في المحافظة على الصلاة من الأجر والثواب ، فإن اهتدى فلنفسه، وإن لم يهتد فلا يضر إلا نفسه .

---

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان ( ) ومسلم كتاب الإيمان ( ) .

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٣) .

أما بالنسبة لفعله ، فهو إذا كان يستيقظ ولكنه يتكاسل ويضع رأسه على الوسادة ، فإن صلاته بعد طلوع الشمس لا تقبل منه ولا تنفعه عند الله ، ودليل ذلك قول النبي ﷺ : « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** »(١)(٢).

فقه النصيحة في الدعوة

وأنت إذا رأيت من أخيك شيئًا تنتقده فيه في عباداته أو في أخلاقه أو في معاملاته ، فعليك بنصيحته ، فهذه من واجبه عليك ، وتنصحه فيما بينك وبينه مشافهة أو مكاتبة ، وبهذا ابن بري ذمتك لكن هنا شيء لا بد منه ، وهو أنك إذا أردت أن تناصحه بالمكاتبة فلا بد أن تذكر اسمك ، ولا تخاف ولا تكن جبانًا ، أذكر وقل من فلان إلى أخيه فلان ابن فلان . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. . . فأنا أنتقد عليك كذا وكذا وكذا ، من أجل أنه إذا عرف اسمك دعاك أو أتى إليك وناقشك في الأمر .

أما أن تكون جبانًا ، ترمي من وراء جدار ، فهذا لا يليق بالمسلم ، وليس هذا بنصح، لأنك ستبقى حاملاً عليه في قلبك فيما تراه أنه أخطأ فيه، وهو سيبقى ويستمر على ما هو فيه ، لأن الذي كتب له بالنصيحة ليس أمامه حتى يشرح له وجهة نظره ، ويستفسر منه عن وجه نظره هو الآخر ، فيبقى الشرع على ما هو عليه، والخطأ على ما هو عليه .

لكن إذا كتب اسمه كان مشكوراً على هذا، وكان بإمكان المكتوب إليه المنصوح أن يخاطبه ، وأن يبين له ما عنده، حتى يقتنع أحد الرجلين بما عند الآخر (٣) .

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم: كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة محدثات الأمور (١٧١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠ ـ ٣١) .

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٤١) .

فهرست الكتاب

الموضوع الصفحة

الباب الأول

أصول الدعوة

الباب الثاني

ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من الصفات والأفعال

الباب الثالث

أقواله رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الباب الرابع

الباب الخامس

أقواله رحمه الله في بعض أحاديث الدعوة

الباب السادس

منهجه رحمه الله في بعض مسائل الدعوة العقائدية

الباب السابع
مسائل وتوجيهات عامة في الدعوة